حرب مكافحة التمرد

النظرية والتطبيق

تأليف: دايفيد جاليولا (داود قَلاَّلة)

ترجمة: أنس الخضر

مراجعة: ضرار الخضر

2023

حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد

النَّظَرِيَّةُ والتَّطْبِيقُ

حقوق الطَّبع محفُوظة

- الطبعة الأولى -

2023 م / 1444 هـ

الآراء التي يتضمَّنها هذا الكتاب لا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الخطَّابي للأبحاث.

حَرْبُ مُكَافَحَةِ التَّمَرُّد

النَّظَرِيَّةُ والتَّطْبِيقُ

تأليف: دايفيد جاليولا (داود قَلاَّلة)

ترجمة: أنس الخضر

مراجعة: ضرار الخضر

صادر عن:

PRAEGER SECURITY INTERNATIONAL

الفهرس

مقدمة المركز..... 12

التقديم..... 16

المقدمة..... 21

الفصل الأول: الحَرْب الثَّوْرِيَّة؛ الطبيعةُ والخصائصُ..... 26

ما هِيَ الحَرْبُ الثَّوْرِيَّة؟..... 26

ثورة، مؤامرة، تمرد..... 27

التَّمَرُّدُ والحَرْبُ الأهليَّةُ..... 29

عدمُ التكافؤِ بين التَّمَرُّد و"مُكَافَحَة التَّمَرُّد"..... 29

الهدف: السكان..... 32

الحَرْب الثَّوْرِيَّة هِيَ حربٌ سِيَاسِيَّةٌ..... 32

الانتقالُ التدريجيُّ من السلامِ إلى الحَرْبِ..... 33

الحَرْب الثَّوْرِيَّة حرب مُطوَّلة..... 34

التَّمَرُّدُ سهلٌ، أما مكافحتهُ فمُكلِفَةٌ..... 35

مرونةُ المتمردُ، وجمودُ مُكَافَحَةِ التَّمَرُّدِ..... 36

قوة الإيديولوجيا..... 38

البروبوغاندا- سلاحٌ ذو حدٍّ واحدٍ..... 39

الحَرْبُ الثَّوْرِيَّةُ تبقى غيرَ تقليديةٍ حَتَّى النهايةِ..... 40

ملخص الفصل الأول..... 42

الفصل الثاني: الشروطُ المسبقةُ لتمردٍ ناجحٍ..... 45

القَضِيَّة..... 46

ضرورةُ القضيَّةِ:..... 46

المعايير الإستراتيجية لـ "القضية"..... 48
طبيعةُ القَضِيَّةِ:..... 49
التلاعبُ التكتيكيُّ بالقضيةِ:..... 52
تناقصُ أهميةِ القضيةِ:..... 53
ضعفُ مُكَافَحَة التَّمَرُّدِ..... 54
نقاطُ القوةِ والضعفِ في النظامِ السياسيِّ:..... 54
الأزمةُ والتَّمَرُّدُ:..... 61
عقيدةً الحدودِ:..... 63
العواملُ الجغرافيَّةُ..... 64
الدَّعْمُ الخَارِجِيُّ..... 69
ملخَّصُ الفصلِ الثاني..... 73
الفصل الثالث: عقيدةُ التَّمَرُّدِ..... 76
الأنماطُ الإستراتيجية للتمردِ..... 76
النمطُ التقليديُّ (الشيوعيُّ)..... 78
الخطوة الأولى: إنشاء حزب..... 78
الخطوة الثانية: الجبهة المتحدة..... 80
الخطوة الثالثة: حرب العصابات..... 81
الخطوة الرابعة: الحَرْبُ النظاميَّةُ:..... 86
الخطوة الخامسة: حملة التدمير..... 89
النمط المختصر (البرجوازي)..... 90
الخطوة الأولى: الإرهاب الأعمى..... 90
الخطوة الثانية: الإرهاب الانتقائي..... 90
مدى ضعف المتمرد في النمط التقليدي..... 92
مدى ضعفِ التَّمَرُّدِ في النمطِ المختصرِ..... 93

خلاصة الفصل الثالث 94
الفصل الرابع: مُكَافَحَةُ التَّمَرُّدِ في الحَرْبِ الثَّوْرِيَّةِ البَارِدَةِ 97
التَّحْرُكُ المُبَاشَرُ ضِدَّ التَّمَرُّدِ 99
العملُ غيرُ المباشرِ ضِدَّ التَّمَرُّدِ 101
اختراقُ حركةِ التَّمَرُّدِ 102
دعمُ الكيانِ السياسيِّ 103
ملخَّصُ الفصلِ الرابعِ 104
الفصل الخامس: مُكَافَحَةُ التَّمَرُّدِ في الحَرْبِ الثَّوْرِيَّةِ الساخنةِ 106
قوانين ومبادئ حرب العصابات المضادة 107
حدود الحَرْب التقليدية 107
لماذا لا تناسب حرب العصابات مُكَافَحَة التَّمَرُّد؟ 108
القانون الأول: دعم السكان ضروري لمكافحة التَّمَرُّد كما هُوَ ضروري للمتمردين 110
القانون الثاني: كسب الدعم من خلال أقلية فاعلة 111
النصرُ في حربِ مُكَافَحَةِ التَّمَرُّدِ 112
القانون الثالث: الدعم من السكان مشروط 113
القانون الرابع: كثافةُ الجهودِ وفعاليةُ الوسائلِ ضروريان 114
إستراتيجيةُ مُكَافَحَةِ التَّمَرُّدِ 115
في منطقة محددة: 115
الاقتصادُ في القوةِ: 116
نقطة اللاعودة 117
المبادرة 117
الاستخدامُ الكاملُ لقدراتِ مُكَافَحَةِ التَّمَرُّدِ 118
البساطة والوضوح 119

إصدار الأمر يعني السيطرة..... 120
ملخَّصُ الفصلِ الخامسِ..... 121
الفصل السادس: من الإستراتيجية إلى التكتيكات..... 124
مشكلات القيادة..... 124
وحدة القيادة:..... 124
أسبقية القوة السياسية على العَسْكَرِيَّة..... 126
تنسيق الجهود..... 127
أولوية القيادة المناطقية..... 129
تكيُّف القوات المسلحة مع حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد..... 129
تكيُّف العقول..... 130
اختيار مجال العمل..... 132
المشكلة الإستراتيجية..... 132
العواملُ التكتيكيَّةُ:..... 135
الإعداد السياسي..... 137
المنطقة الأولى كمنطقة اختبار..... 140
مُلخَّص الفصل السادس..... 142
الفصل السابع: العمليات..... 144
الخطوة الأولى: تدمير أو طرد قوات التَّمَرُّد..... 145
الدعاية الموجهة لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد..... 146
الدعاية الموجهة للسكان..... 146
الدعاية الموجهة للمتمردين..... 147
الخطوة الثانية: نشر الوحدات الثابتة..... 148
الدعاية الموجهة لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد..... 151
الدعاية الموجهة للسكان..... 151

الدعاية الموجهة للمتمردين..... 152
الخطوة الثالثة: مخالطة السكان والسيطرة عليهم..... 153
الدعاية الموجهة لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد..... 157
الدعاية الموجهة للسكان..... 158
الدعاية الموجهة للمتمردين..... 159
الخطوة الرابعة: تدمير الهيكل السياسي للمتمردين..... 160
الخطوة الخامسة: الانتخابات المحلية..... 163
الخطوة السادسة: اختبار القادة المحليين..... 165
الخطوة السابعة: تشكيل حزب..... 167
الخطوة الثامنة: الانتصار، أو القضاء على فلول المتمردين..... 169
ملخص الفصل السابع..... 171
ملاحظات ختامية..... 177
ملحق..... 184

مقدمة المركز

لا تزال الثورات تمثّل ظواهر إنسانية مُعقَّدة للغاية، فلا هِيَ أحداث اجتماعية بحتة، ولا هِيَ حرب عَسْكَرِيَّة محضة، وللدراسات النفسية فيها باع كبير لكنها قاصرة عن تفسيرها، وللسياسة في الثورات دور أساسي رغم أن الثورات لا تبدأ بالسياسة ولا تنتهي بها، لتبقى الثَّورَة ذَلِكَ النشاط الإنساني الجمعي الَّذِي يفاجئ من يمارسونه، كما يفاجئ من يتصدون له.

وإذا كَانَت الحُرُوب العَسْكَرِيَّة وعلوم الاجتماع وعلم النفس والسياسة قد أُشبِعَت دراسة وتفصيلاً، فقد بقيت الثورات من أقل الظواهر الإنسانية والتاريخية دراسة وتحليلاً، ويعود ذَلِكَ لسببين: الأول هُوَ أن الثَّورَة ظاهرة إنسانية، والظواهر الإنسانية، على خلاف الظواهر الفيزيائية، صعبة الدراسة والتقعيد، والثاني أنها ثنائية الطبيعة، يعتبرها أحد الأطراف تمرداً يسير بالبلاد لهاوية الردى، بينما يعتبرها الطرف الثاني منتهى البطولة الَّتِي تسعى بالبلاد وشعبها للحرية والخلاص والازدهار.

ولعل الشعوب العربية الَّتِي عاصرت الثورات بدءاً بإرهاصاتها مروراً باشتعال شرارتها ووصولاً إلى مآلاتها الَّتِي لم تكتمل بعد، هِيَ الأقرب إلى فهم ومعرفة نقاط قوة الثورات من ضعفها، وتحديد أين نجحت وأين أخفقت، فقد لمست هَذِهِ الجماهير قوانين الثَّورَة وقوانين مُكَافَحَة التَّمَرُّد وأحست بها، لكنها لم تُرجعها في الغالب إلى أسبابها المنطقية والعلمية، بل غاصت في نظريات المُؤَامَرَة والمخططات الخارجية، ولا شك في وجود المؤامرات، فَهَذِهِ طبيعة السياسة وتدافع الأمم، لكن الحجم والنجاح الَّذِي يُنسَب لِهَذِهِ المؤامرات بالغ الإفراط، ولعل هَذَا يعود إلى آلية نفسية دفاعية يسعى من خلالها المرء للتنصل من المسؤولية من جهة، ولتبسيط الوضع السياسي وما فيه من تعقيدات وتشابك في المصالح والأساليب من جهة ثانية.

يُعدُّ الكتاب الَّذِي بين أيدينا من أمهات الكتب في دراسة الثورات وطرق التصدي لها، إذ يتسم بالمنهجية والموضوعية من جهة، وبالشمول من جهة ثانية، مع الغنى في احتمالات الأحداث والأمثلة التاريخية، دون الجنوح إلى التطويل الممل أو الاختصار المُخِل. يناقش داود قَـلَّالَة -أو ديفيد جاليولا كما يسميه الغرب- الثورات من وجهة نظر طرفيها: الثائر ومكافحه، وبما أن هَذِهِ الحَرْب تسمى من وجهة نظر من يقوم بها "ثورة" ومن وجهة نظر

من يقمعها "تمرداً"، فقد اصطلح الكاتب على تسمية "الحَرْب الثَّوْرِيَّة" لوصف الحَرْب من كلا الجانبين.

يبدأ الكتاب بتعريف الحَرْب الثَّوْرِيَّة والتمييز بينها وبين المُؤَامَرَة والحَرْب الأهلية، ثُمَّ ينتقل لسرد سمات هَذِهِ الحَرْب، ويتحدث في الفصل الثاني عن الشروط المسبقة لنجاح التَّمَرُّد، وأهمها القضية وقوتها وحمايتها من التلاعب، واستغلال نقاط ضعف السلطة والاستفادة من الجغرافيا والدعم الخارجي. ثُمَّ يتطرق الفصل الثالث لعقيدتيْ التَّمَرُّد الرئيسيتين، وهما:

1. النمط التقليدي: الَّذِي يبدأ بإنشاء الحزب والجبهة المتحدة مع القوى المتمردة، ثُمَّ الانتقال لحرب العصابات ومن ثُمَّ الحَرْب النظامية وصولاً إلى الحَرْب النهائية.
2. والنمط المختصر: ومرحلتيه من الإرهاب الأعمى إلى الإرهاب الانتقائي.

وفي الفصل الرابع يتناول الكتاب مُكَافَحَة التَّمَرُّد خلال المرحلة الباردة من الحَرْب، أي قبل إصدار الأوامر للقوات المسلحة بالتصدي للتمرد، أما المرحلة الساخنة من الحَرْب فيناقشها الفصل الخامس الَّذِي يسرد قوانين الحَرْب الثَّوْرِيَّة وأهمها: ضرورة كسب السكان من خلال الأقلية الموالية الفاعلة.

ويقيم الفصل السادس جسراً بين الإستراتيجيات والتكتيكات في حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد، فيصل إلى ضرورة توحيد القيادة، وأسبقية القوة السياسية على العَسْكَرِيَّة، وتنسيق الجهود، وإيلاء الأولوية للقيادة المناطقية، وتكييف القوات المسلحة مع حرب التَّمَرُّد، وتكييف العقول مع هَذِهِ الحَرْب. فيما يتطرق الفصل السابع والأخير لعمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد بالتسلسل بدءاً بتدمير أو طرد قوات المتمردين وانتهاءً بالقضاء على فلولهم.

أخذ مركز الخطابي على عاتقه ترجمة هَذَا الكتاب لأنه من صلب اهتماماته، الَّتِي ترتكز على الحُرُوب الثَّوْرِيَّة والتحرر، والتوعية بطبيعة الحَرْب الراهنة بين الشعوب الثائرة الَّتِي اتسمت ثورتها بالعفوية والعشوائية بعض الشيء من جهة، وبين الأنظمة الَّتِي واجهت الثورات بالتخطيط والتنظيم والتروي من جهة ثانية، وهَذَا طبيعي فقد استعانت الأنظمة الحاكمة بخبرات الدول الغربية ذات الباع الطويل في قمع الشعوب واحتلالها واستعبادها، واستفادت من وفرة المعلومات لديها عن شعوبها وطبيعتها، بل وتبادلت الخبرات فيما بينها، كما استفادت من المناخ العالمي السائد المعادي للحركات والشعارات الإسلامية.

يمكن للمرء أن يتساءل؛ كيف يمكن للثوار أن يستفيدوا من كتاب أُلِّف لتوجيه عملية إخماد الثورات (التَّمَرُّد)؟! والإجابة كامنة بمقولة "بضدها تُعرف الأشياء". إن أهم قيمة محورية في هَذَا الكتاب أن صاحبه قائدٌ عَسْكَرِيّ متمرس ذو خبرة واسعة، فكل كلمة يقولها تحمل في طياتها فوائد جمة، ولعل أعظم فائدتين قدمهما لنا داود قَـلَّالَة: (1) أنه أصَّل للحرب الثَّوْرِيَّة ووضَّح الطريقة السليمة لممارستها وأبان نقاط ضعفها وقوتها، (2)وكذلك تناول مُكَافَحَة التَّمَرُّد بدراسة عميقة يندُر أن تجد مثلها في كتاب آخر، وإن فهم كلا الفائدتين ضرورة قصوى للنخب الثَّوْرِيَّة في العالم العربي والإسلامي.

منهجيتنا في الترجمة:

حرصنا أن يخرج هَذَا الكتاب بأبهى صورة وأوضح عبارة، ولعلنا وقفنا على العديد من الفقرات لنعيد صياغتها مرات عديدة بما يخدم المعنى العربي والنص الأصلي، ونرجو أن نكون وُفقنا في ذَلِكَ.

الجدير بالذكر أن معظم الأشكال التوضيحية الموجودة في الكتاب، أو الخرائط أو الصور هِيَ من إضافتنا نحن، ولم تكن موجودة في النص الأصلي، فرأينا ضرورة إضافتها لإيضاح المعنى، كما أن جميع الهوامش من إضافة المركز إلا ما ذكرنا في أوله كلمة "المؤلف".

وهناك أمر آخر أخذ منا جهداً كبيراً وهُوَ ملخصات الفصول، حَيْثُ وجدنا فائدة عظيمة فيها، فلم نرد للفصل أن ينتهي دون أن نضع له اختصاراً يجمع فوائده في صفحات قليلة، تجعل القُرَّاءَ يفهمون أهم العِبر والحِكم مما سبق ذكره في الفصل، إذاً فجميع الجداول والملخصات نهاية الفصول هِيَ من إضافة المركز وليست موجودة في الأصل.

وفي الختام، رأينا أن نضع ملحقاً له ارتباط جديد بموضوع هَذَا الكتاب، يوضح تجربة الجيش الأمريكي في العراق أثناء تطبيقه لنظريات جاليولا، ومدى فاعليتها وجدواها، ولكي يعلم القارئ أن هَذَا الكتاب لم يبق حبيس الرفوف، بل أصبح جزءاً أساسياً من العقيدة العَسْكَرِيَّة والمناهج الأمريكية، وأثمر العديد من الممارسات التطبيقية في مختلف دول العالم.

نرجو أن نكون قد أدينا حق الأمانة العلمية في هَذَا العمل، ونسأل الله أن يجعل جهدنا هَذَا سبباً في رفعة أمتنا وتألقها وازدهارها، ومرجعاً مفيداً لنخبة المسلمين في كُلّ زمان ومكان.

مركز الخطَّابي - إدلب يوم الإثنين 21 تشرين الثاني 2022، الموافق لـ 27 ربيع الثاني 1444

التقديم

تشترك أفضل كتابات مُكَافَحَة التَّمَرُّد مع أفضل ما كُتب في عالم "الجنس" في كون مؤلِّفيها يتمتَّعون عمومًا ببعض الخبرة الشخصية في هَذِهِ المجالات. فالنشرات المُلحَقة بمؤلفات براجير،[1] والمتعلقة بمكافحة التَّمَرُّد، يكتبها ضباط الجيش الَّذِينَ يدركون جيدًا الحقائق المُجرَّدَة والثابتة في هَذَا المجال.

وقد نَهَلَ ديفيد جاليولا (داود قَـلَّالَة) من هَذَا المجال الشاق، كما فعل معاصروه، الَّذِينَ أولوه نصيباً وافراً من التفكير. وجاليولا فرنسي[2] نشأ في الدار البيضاء بالمغرب، وتخرج من مدرسة سانت سير العَسْكَرِيَّة عام 1939، حَيْثُ واتته الفرصة للاشتراك في القتال في ميادين شمال إفريقيا وإيطاليا وفرنسا، لتشمل مهامه لاحقًا حروبًا غير نظامية في كُلّ من الصين واليونان والهند الصينية (فيتنام) والجزائر.

كان جاليولا برتبة مقدم عندما انتهز الفرصة للتفكير في تجربته ملياً وألَّف كتاب "حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد: النظرية والتطبيق"، في إطار زمالة مع مركز الشؤون الدولية بجامعة هارفارد. وبعد بضع سنوات، تُوُفيَ جاليولا قبل أن يشهد تجاهل الجيش الأمريكي خلال حرب فيتنام لمعظم نصائحه.

إن أولوية جاليولا في قانون الحَرْب غير النظامية تتعلق بتعليماته الواضحة حول كيفية حماية قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد للسكان وبالتالي كسب دعمهم، والحصول على معلومات عن هوية وأماكن المتمردين، وصولاً إلى هزيمة التَّمَرُّد. وفيما يكمن التحدي الرئيسي للحرب التقليدية في حشد القوة في المكان والزمان المُناسِبَين لتدمير العدو، فإن مفتاح النجاح في حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد يكمن في جمع المعلومات الاستخباراتية المستمدة من السكان المحليين لتحديد العدو؛ وتكون حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد خاسرة حين تغيب هَذِهِ المعلومات.

يوضِّح جاليولا اختلافاً أساسياً بين الحَرْب التقليدية ومُكَافَحَة التَّمَرُّد: في الحَرْب النظامية تعيش الأطراف المشاركة فيها التجربة نفسها، أما في حرب التَّمَرُّد فإنها -رغم

[1] دار براجير هِيَ دار نشر تُعنى بنشر كتب تعليمية وأكاديمية.

[2] الصحيح أن جاليولا هُوَ يهودي تونسي، اسمه الحقيقي داود قلاَّلة، ولد في مدينة جربة بولاية صفاقس التونسية.

خوضها لحرب واحدة- تعيش تجارب مختلفة تتبع فيها قواعد متنوعة. تقتصر قوة المتمردين على قلة من المقاتلين والسلاح مقارنة بعدوِّهم، وهُوَ ما سيسبب هزيمتهم بسرعة فيما لو ظهروا علانية في نفس ميدان المعركة التقليدية، وفي المقابل، يتمتعون بالسيطرة السياسية على بعض السكان، على أقل تقدير، أولئك الَّذِينَ يُشكِّلون لهم درعًا يُمكِّنهم من استهداف خصمهم التقليدي كما يشاؤون.

والتَّمَرُّد في حقيقته تنافسٌ بين المتمردين والحكومة لكسب دعم المدنيين، الَّذِينَ يوفِّرون الحاضنة الشعبية للمتمردين. يُذكِّرنا جاليولا أن قوى مُكَافَحَة التَّمَرُّد "لا تستطيع تحقيق الكثير ما لم يتمتع السكان بالحماية من هجمات المتمردين، ويشعرون بِهَذِهِ الحماية". فالسكان غير الآمنين لن يقدِّموا المعلومات اللازمة لمكافحة التَّمَرُّد "والمعلومات الاستخباراتية يجب أن تأتي من السكان، لكن السكان لن يتحدثوا إلا إذا شعروا بالأمان، ولن يشعروا بالأمان ما لم تُكسر قوة المتمردين". فإذا خشي السكان المحليون انتقام المتمردين، فلن يتعاونوا مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد. إذًا، يجب على القوات الحكومية ووكلائها أن تنشئ لنفسها نفوذًا كافيًا في أي منطقة لفصل المدنيين عن المتمردين الَّذِينَ يستغلونهم.

وفي الحقيقة، فإن هَذِهِ العملية شاقة جدًا. يجب بدايةً فصل المدنيين عن المتمردين باستخدام الحواجز على الطرقات والأوراق الثبوتية والإحصاء السكاني، بعد ذَلِكَ، يجب ضمان أمن المدنيين من خلال تدريب قوات الأمن المحلية لتكون جاهزة لإدارة حواجز الطرقات وإجراء الإحصاء السكاني. وأخيرًا، يجب على الحكومة استهداف المتمردين المسلحين من خلال معلومات محلية محددة مُستَمَدَّة من ارتباط طويل ووثيق مع السكان. وهَذَا ليس بالأمر المُعقَّد، ولكنه لو تحقق، لكانت الجيوش الغربية أفضل حالًا، لكن وللأسف، لا يطوِّر القطاع العسكري العديد من الأدوات لدعم عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

إن مهمة حماية السكان عبر إنشاء قوات أمن محلية تختلف عن مهمة مطاردة المتمردين والقضاء عليهم. فلا شك أن حماية السكان المحليين تتطلب بعض الإجراءات النشطة ضِدّ المتمردين النشطين، إلا أن القوات العَسْكَرِيَّة التقليدية قد تكون عرضة للانزلاق لشن أعمال هجومية، كالقبض على الإرهابيين أو قتلهم، بعيدًا عن المتطلبات السياسية والاقتصادية والأمنية الَّتِي تستلزمها الهزيمة النهائية للمتمردين.

قد يدمج البعض اليومَ بين المعلومات الاستخباراتية المُقدّمَة من المدنيين وأنظمة الأسلحة المتطورة لشن عمليات استهداف واغتيال لقيادة المتمردين، لكن هَذَا النهج لا يقدم سوى

أملاً كاذبًا. فبمقابل كُلّ متمرد يُقبَضُ عليه أو يُقتل، سيظهر آخر، أو آخرون، طالما أنهم يتلقَّون المساعدة من مدنيين مُعارِضين بوجود سلطات محلِّية مُتهالِكَة. لذا، إن أرادت الحكومة الانتصار على المتمردين، فعليها تأمين ومراقبة السكان المحليين.

يتطلب القيام بذلك في عصر الإعلام إجراءات أكثر فعالية من مجرد بناء معسكرات اعتقال، لذا، "من الواضح أن السيطرة على السكان تبدأ بالإحصاء السكاني"، وَالَّذِي وفقًا لجاليولا، "إذا ما أُجري واستُغِلَّ بشكل صحيح، فسيكون عندئذٍ مصدرًا أساسيًا للاستخبارات". وفي المحصلة، تُعتَبَرُ العناصر الثابتة للتحكم بالسكان أكثر أهمية من قتل العدو عبر الغارات الجوية والاقتحامات. تتحول هَذِهِ القوات المُتغلغلة بين السكان المحليين إلى مهمة جمع وتحليل المعلومات الاستخباراتية، والَّتِي تشكل مفتاح النصر النهائي، ولتحقيق ذَلِكَ، ينبغي أن تتألف هَذِهِ القوات عمومًا من قوى محلية مُعززة بمستشارين من قوة مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

إن الهدف من السيطرة على السكان هُوَ قطع التواصل بينهم وبين المتمردين، أو الحد مِنْهُ بشكل كبير على أقل تقدير، ويتم ذَلِكَ من خلال مراقبة أنشطة السكان. وإذا ما قُسِّمَت القرى المحتلة إلى قطاعات، وخُصِصَ لِكُلٍّ منها مجموعةٌ من الجنود يعملون هناك على الدوام، فقد تتسارع عملية الإلمام بشؤون السكان.

والمعلومات الَّتِي يحصل عليها هَؤُلَاءِ الجنود من الميدان، لا يمكن الحصول عليها عبر صور الأقمار الصناعية أو مراقبة الهواتف المحمولة. فمعظم ما تجمعه قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد ليس بمعلومات استخباراتية قابلة للتنفيذ على المدى القصير، في حين أن المعلومات الاستخباراتية المحددة المتعلقة بهويات ومواقع المتمردين لن تتوفر إلا ضمن أجواء من الثقة والعلاقة طويلة الأمد مع السكان. لذا يجب أن يقتنع المدنيون أن قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد ستكون قادرةً على حمايتهم من الانتقام المتوقع إثر تقديمهم مثل هَذِهِ المعلومات الهامة.

والتكنولوجيا ليست بديلاً عن الجنود المتواجدين على الأرض وبين السكان، كما أن الأعداد مهمة- إذ يقول جاليولا أن "نسبة قوة مؤلفة من عشرة أو عشرين فردًا من قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد مقابل كُلّ فرد من المتمردين ليست أمرًا غريبًا". وسبب هَذَا التفاوت في الأعداد بسيط، فـ"الفوضى- الحالة الطبيعية في مناطق التَّمَرُّد- تتحقق بسهولة، لكن

منعها مُكلِفٌ للغاية". فحماية الدولة أو إعادة بنائها أصعب بكثير من الإطاحة بحكومتها، الأمر الَّذِي يتطلب استثمارًا أكبر في الوقت والمال والتفكير.

أمام متطلبات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، تبدو الجيوش التقليدية غير مناسبة تمامًا. فالقوة النارية الَّتِي تتيه هَذِهِ الجيوش بها فخراً لا يمكن أن تستخدم ضِدّ المتمردين؛ في الواقع، يبدو ضروريًا وجود توجه مختلف تمامًا، فوفقًا لجاليولا "قد تكون آلة النسخ أكثر فائدة من المدفع الرشاش، والجندي المدرب كطبيب أطفال أكثر أهمية من خبير الهاون، والإسمنت مطلوب أكثر من الأسلاك الشائكة، والحاجة للكُتّاب أكثر منها للجندي"، كما لو أنها قوة مدرعة خفيفة مجهزة بفائض من المترجمين الفوريين ومحللي الاستخبارات والمتخصصين في الشؤون المدنية والمهندسين.

> إن مكافحي التَّمَرُّد الَّذِينَ لا يستطيعون التواصل مع السكان، أو لا يريدون التواصل معهم، محكوم عليهم بالفشل الذريع.

من الناحية الإستراتيجية، تعتبر السيطرة على المعلومات أمرًا حاسمًا في مُكَافَحَة التَّمَرُّد. فالمعلومات هِيَ السلاح الأساسي للمتمردين، والسكان المدنيون هم هدفهم الرئيسي، وهم أيضًا ساحة المعركة الَّتِي تدور فيها هَذِهِ الحَرْب. فالتضاريس الرئيسية في حرب التَّمَرُّد ليست مساحة مادية، بل الولاء السياسي للناس الَّذِينَ يعيشون في تِلْكَ المساحة. ومُكَافَحَة التَّمَرُّد ليست بالأمر العادل، حَيْثُ أن "المتمرد، الَّذِي لا يتحمل أي مسؤولية، يتمتع بحرية استخدام كُلّ حيلة إذا لزم الأمر، فيمكنه الكذب، والغش، والمبالغة. فهو غير ملزم بإثبات شيء؛ ويُحكم عليه بوعوده، لا بأفعاله".

من الضروري إذن لمكافحة التَّمَرُّد أن تشن حربًا معلوماتية أكثر ذكاءً؛ في الفصل الَّذِي تحدَّثَ فيه عن العمليات، يولي جاليولا اهتمامًا لعمليات المعلومات، يزيد عن ثلاثة أضعاف اهتمامه بالحرب الحركية التقليدية. يدل هَذَا بوضوح أن على القوات التقليدية أن تعيد تنظيم نفسها في نسبة مماثلة من مشغلي المعلومات (بما في ذَلِكَ جامعي المعلومات الاستخباراتية وكذلك الناشرين) لتكون فَعَّالَةً في هَذَا النوع من الحَرْب.

وعلى الرغم من أهمية تعديل تنظيمات وتدريبات ومعدات القوات المسلحة التقليدية، إلا أن ذَلِكَ يبدو غير كافٍ لتلبية متطلبات عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد. يجادل جاليولا بأنه "من الأهمية بمكان أن تتكيف عقول القادة والأفراد أيضًا- المدنيين والعسكريين على حد

سواء- مع المتطلبات الخاصة بحرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد". وبما أنه لا يمكن لجميع الجنود التكيف، فإن الاعتماد على الَّذِينَ لا يستطيعون القيام بجهود مُكَافَحَة التَّمَرُّد يأتي بنتائج عكسية. وأضاف، أن "الحل العملي هُوَ تحديد أولئك الَّذِينَ يقبلون بسهولة المفاهيم الجديدة لحرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد، ومنحهم هَذِهِ المسؤولية. والَّذِينَ يُثبِتُون جدارتهم بعد ذَلِكَ في العمل يجب أن تتم ترقيتهم".

لقد درس الجنود الَّذِينَ سعوا لمحاكاة نجاحات نابليون في القرنين التاسع عشر والعشرين، مناورات الجيوش الكبيرة في ميدان المعركة التقليدي، وأتقنوا التكنولوجيا الَّتِي كوَّنَت جيوشًا صناعية ثُمَّ جيوش عصر المعلومات. ومن خلال نجاحاتها في الحَرْب التقليدية، دفعت الجيوش الغربية أعداء الحضارة الحديثة إلى تكييف أساليب التَّمَرُّد مع هَذَا التقدم. لذا، يتوجب على الَّذِينَ يتطلعون إلى ممارسة القيادة العليا في العصر الجديد للحرب غير النظامية أن يدرسوا الأنثروبولوجيا الثقافية، والاقتصاد، والعلوم السياسية، والعلاقات الدولية، واللغات، فضلاً عن الحَرْب التقليدية. كما يجب أن يتقنوا مبادئ كُلّ من التَّمَرُّد ومكافحته، وفهم الفروقات بين شكلي الحَرْب التقليدية وغير النظامية.

يتعلم العديد من الجنود اليوم هَذِهِ الدروس بالدرجة الأولى في الفصول الدراسية الصارمة لمكافحة التَّمَرُّد في الصحاري والغابات والمدن حول العالم. وعلى الرغم من كون كتاب جاليولا هَذَا قصيرٌ بما يكفي لقراءته في الميدان أثناء التعامل مع العبوات الناسفة وهجمات الهاون، إلا أنه من الأفضل بكثير استيعاب دروسه في الفصول الدراسية لكليات الأركان والأكاديميات العَسْكَرِيَّة.

ولكن، أينما تريد البحث عن كتاب لتقرأه، في هَذَا العصر الَّذِي يشهد حركات تمرد متنافسة أو متعاونة على المستوى العالمي والوطني والإقليمي، فإنه يصعب إيجاد كتاب - مثل كتاب جاليولا- يتعلم مِنْهُ المرء دروساً مفيدة دون أن يتكبد عناء التجربة، فمن المرجح أن يكون خوض حروب مُكَافَحَة التَّمَرُّد قدر الكثير من الجنود في القرن الحادي والعشرين، كما كان قدر أسلافهم من قبل في القرن العشرين.

جون أ. ناجل

John A. Nagl[1]

[1] المقدم جون أ. ناجل، من الولايات المتحدة الأمريكية، وهُوَ مساعد عَسْكَرِيّ لنائب وزير الدفاع من 1988 حَتَّى 2008، ومؤلف كتاب "تعلم أكل الحساء بالسكين: دروس مُكَافَحَة التَّمَرُّد من مالايا وفيتنام".

المقدمة

"قوانين الحَرْب، مشكلة يجب على أي شخص يقود حربًا دراستها وحلها. وقوانين الحَرْب الثَّوْرِيَّة، مشكلة يجب على أي شخص يوجه حربًا ثورية أن يدرسها ويحلها. وقوانين الحَرْب الثَّوْرِيَّة في الصين، مشكلة يجب على أي شخص يخوض حربًا ثورية في الصين أن يدرسها ويحلها". ماو تسي تونغ، المشكلات الإستراتيجية للحرب الثَّوْرِيَّة الصينية (ديسمبر، 1936).

لم يعثر أي لاعب شطرنج على الإطلاق على طريقة مؤكدة للفوز من الخطوة الأولى، ولا يحتمل أن يجدها. فاللعبة تحتوي على العديد من المتغيرات، حَتَّى بالنسبة لأجهزة الكمبيوتر الَّتِي لا أعصاب لها، لا يمكن التخطيط لحركة "كش ملك" مضمونة.

والحَرْب ليست لعبة شطرنج، ولكنها ظاهرة اجتماعية واسعة مع عدد أكبر من المتغيرات المتزايدة باستمرار، والَّتِي يستعصي بعضها على التحليل. وعلى سبيل المثال: من يستطيع إنكار أهمية الحظ في الحَرْب؟ ومن يمكنه تقييم الحظ مسبقًا؟ فموسوليني عندما شن حربه في البلقان،[1] والَّتِي أجبرت هتلر على إهدار أفضل جزء من ربيع عام 1941 في معركة ثانوية وتأخير الهجوم الألماني المُعَد على روسيا السوفيتية، ربما يكون بذلك قد أنقذ موسكو. يمكن المجادلة بأن هَذَا الحدث لم يتضمن أي عنصر من الحظ، بل مجرد خطأ فادح ارتكبته دول المحور، فقد كان على موسوليني استشارة شريكه هتلر. ولكن بما أن ستالين لم يلعب أي دور في قرار موسوليني، فما النتيجة الَّتِي يمكن التوصل إليها سوى أن ستالين كان محظوظًا للغاية؟

إن كثرة المتغيرات في الحَرْب لم توقف أبدًا جهود البحث عن خطط مضمونة. ونظرًا لأن الحَرْب يمكن أن تكون مسألة حياة أو موت للدول والأمم، فلم يحظَ نشاط بشري آخر بنصيب وافر من التحليل المستمر والشامل مثل الحَرْب، فمنذ أن فكر الرجال وقاتلوا (أو قاتلوا قبل أن يفكروا أحياناً)، بُذِلَت محاولات لدراسة الحَرْب فلسفيًا، فالعقل البشري

[1] الحَرْب اليونانية الإيطالية، وهِيَ جزء من الحَرْب العالمية الثانية، حَيْثُ وقفت اليونان مع الحلفاء ضِدّ دول المحور ألمانيا وإيطاليا، وقد استمرت من 28 تشرين الأول 1940 حَتَّى 23 نيسان من عام 1941. وفي 6 نيسان 1941، بدأ التدخل الألماني إلى جانب القوات الإيطالية.

يحب تكوين إطار مرجعي يحتاج للاعتماد عليه عمليًا بهدف استخلاص دروس مفيدة للحرب القادمة.

توصَّلَت بعض هَذِهِ الدراسات الَّتِي تناولت حالات شاذة اتُّخِذَ فيها قرار الحَرْب بشكل ارتجالي تحت ضغط الظروف؛ إلى نفي إمكانية استنتاج أي دروس من الحُرُوب الماضية نفياً مُطلقاً؛ أو أنها، على العكس من ذَلِكَ، أدت إلى بناء عقائد مُحافِظَةِ صارمة، دون مراعاة الحقائق الواقعية والموقف الميداني.

يقدم التاريخ العسكري الفرنسي مثالاً رائعًا للتذبذب بين هذين القطبين. ففي الحَرْب الفرنسية البروسية بين عامي 1870 و1871،[1] لم يكن لدى الفرنسيين نظرية ولا خطة. وفي العام 1940، قاموا بتكرار خطة سبق وأن اتبعوها خلال الحَرْب العالمية الأولى، ليخوضوا الحَرْب بعقلية عام 1918 ضِدّ فرق الدبابات الألمانية. وكَانَت النتيجة في كلتا الحالتين كارثية.

ومع ذَلِكَ، أظهرت الدراسات والتجارب المتراكمة ملاحظات حول بعض الحقائق المتكررة الَّتِي صيغت في شكل قواعد وقوانين للحرب. وعلى الرغم من كون هَذِهِ "القوانين" لا تمتلك نفس القطعيَّة الَّتِي تتمتع بها قوانين العلوم الفيزيائية، إلا أنه من الصعب مواجهتها بشكل جدي، فقط لأنها تؤكد ما تخبرنا به الفطرة السليمة، فضلاً عن كون عددها قليلاً.

وهكذا، فإن أول قانون من هَذِهِ القوانين هُوَ أن "النصر حليف الطرف الأكبر"؛ ومن هنا جاءت بديهية نابليون، "النصر للكتيبة الأكبر". وإذا كان المعسكران المتنافسان متماثلين في الحجم، فإن "الانتصار للأكثر تصميماً" هُوَ القانون الثاني. وإذا تساويا في التصميم وقوة القرار، فإن "الانتصار لمن يمسك بزمام المبادرة ويحافظ عليها" هُوَ القانون الثالث. وحسب القانون الرابع، قد تلعب "المفاجأة" دورًا حاسمًا.

وتُشكِّل هَذِهِ القوانين، المُدعَّمَة بقضايا لا تعد ولا تحصى، القوانين الأولية للحرب. كما أن لِهَذِهِ القوانين مبادئ إرشادية، مثل "تركيز الجهود"، و"ترشيد القوة"، و"حرية العمل"،

---

[1] الحَرْب الفرنسية البروسية، أو الحَرْب الفرنسية الألمانية، امتدت بين عامي 1870 و1871م، بين فرنسا وبروسيا، المدعومة من الاتحاد الألماني الشمالي والدويلات الألمانية الجنوبية: بادن، فورتمبرغ، وبافاريا. انتهت الحَرْب بنصر ألماني شامل.

و"السلامة". وقد يتغير تطبيق هَذِهِ المبادئ بين حقبة وأخرى مع تغير التكنولوجيا والتسليح وعوامل أخرى، لكنها تحتفظ بشكل عام بقيمتها مهما تطورت الحُرُوب.

في معظم الحُرُوب، تنطبق القوانين والمبادئ نفسها على كلا الطرفين المتنازعين. بينما يتمايزان في الطريقة الَّتِي يستخدمها كُلّ طرف، وفقًا لقدرته ووضعه الخاص وقوته النسبية. والحَرْب التقليدية تنتمي إلى هَذِهِ الحالة العامة.

من ناحية أخرى، تمُثِّل الحَرْب الثَّوْرِيَّة حالة استثنائية، ليس فقط لكونها، كما نعتقد، تنطبق عليها قواعد خاصة تختلف عن تِلْكَ الخاصة بالحرب التقليدية، بل لأن معظم القواعد المطبقة على طرف ما لا تعمل لصالح الطرف الآخر. ففي صراع بين ذبابة وأسد، لا يمكن للذبابة أن توجه ضربة قاضية، كما لا يمكن للأسد أن يطير. إنها نفس الحَرْب لكلا المعسكرين من حَيْثُ المكان والزمان، ومع ذَلِكَ هنالك نوعان من الحَرْب المتميزة: الحَرْب الثَّوْرِيَّة، كما يمكننا "تسميتها"، ومُكَافَحَة التَّمَرُّد.

وهنا جانَبَ ماو تسي تونغ الصواب.[1] إذ أن ما يسميه "قوانين الحَرْب الثَّوْرِيَّة" هِيَ في الواقع "قوانين الجانب الثَّوْرِيّ"، أي أنها لصالحه. لذا، فإن من يحارب حركة ثورية لن يجد في ماو وغيره من المنظرين الثوريين إجابات لمشكلاته. من المؤكد أنه سيجد معلومات مفيدة حول كيفية القيام بثورة، وربما يستنتج الإجابات الَّتِي يبحث عنها، لكنه لن يجد ماو يصرح بها في أي من كتاباته. وكما سنبين، وقع بعض المحاربين للثورات في فخ النسخ الكامل لطريقة الثوار في القتال، على المستويين التكتيكي والإستراتيجي، لكنهم لم يلاقوا نصيباً من النجاح.

إذن، ما هِيَ قواعد "حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد"؟ هنا يمكننا أن نلاحظ حقيقة غريبة أخرى. فعلى الرغم من تعدد تحليلات الحُرُوب الثَّوْرِيَّة، من وجهة نظر الثوريين اليوم، إلا أن دراسات الجانب الآخر لا زالت غائبة، لا سيما عندما يتعلق الأمر باقتراح مسارات عملية

[1] مؤسس جمهورية الصين الحديثة وأحد زعماء الشيوعية عالميًا، وله الكثير من الأبحاث والمقالات، منها: "تحليل طبقات المجتمع الصيني"، و"القضايا الإستراتيجية للحرب الثَّوْرِيَّة في الصين" وغيرها.

للثورة المضادة، فلم تقدِّم سوى قلَّة من القواعد محدودة الفائدة من قبيل: "الاستخبارات مفتاح المشكلة"، أو "يجب كسب دعم السكان".

لكن كيف تدير هَذَا المفتاح؟ وكيف تكسب هَذَا الدعم؟ هنا يبدأ التخبُّط عادةً، حَيْثُ يمكن لأي شخص شارك في حرب ثورية، برتبة متواضعة أو عالية، في الجانب الخطأ- الشاق-أن يعاين ذاك الضابط الجديد في ميدان القتال الَّذِي قضى -بعد أسابيع وشهور من التعقُّب اللامتناهي-أخيراً على العشرات من الثوار المعارضين له، ليرى ظهور عشرات جديدة غيرهم؛ والموظف الَّذِي طلب تنفيذ إصلاحات بقيمة خمسة سنتات دون أن يلقى أذاناً صاغية، يؤمرُ الآن بتنفيذ إصلاحات بقيمة مائة دولار على الفور، عندما فقد السيطرة على الوضع في نطاق عمله؛ والجنرال الَّذِي "طهَّر" القطاع (أ)، لكنه يصرخ مُحتجَّاً لأنهم يريدون أخذ كتيبتين من عنده للقطاع (ب)؛ والمتحدث الرسمي الَّذِي لا يستطيع أن يشرح بشكل وافٍ سبب استمرار نشاط المتمردين وتوسعهم، بعد العديد من الانتصارات الحاسمة عليهم؛ وعضو الكونجرس الَّذِي لا يستطيع فهم سبب وجوب حصول الحكومة على المزيد من التمويل فيما لديها القليل جدًا لتستخدمه، مقابل الاعتمادات الضخمة الَّتِي مُنحت سابقًا؛ ورئيس الدولة، الَّذِي يتعرض للضغوطات من جميع الجهات، ويُصرُّ على استكمال مدة ولايته.. فَهَذِهِ أمثلة نموذجية لما تواجهه الثَّورَة المضادة.

من الواضح أن هناك حاجة إلى بوصلة، والغرض الوحيد من هَذَا الكتاب هُوَ التأسيس لِهَذِهِ البوصلة، مهما كَانَت بدائية وقاصرة. لذا، فإننا نسعى في هَذَا الكتاب إلى تحديد قوانين حروب مُكَافَحَة التَّمَرُّد، واستنتاج مبادئها منها، والتكتيكات المناسبة لها.

هَذَا المشروع محفوف بالمخاطر. ففيما يمكن إحصاء المئات من الحُرُوب التقليدية، بغضِّ النظر عن حجمها وشكلها، فإنه لا يوجد سوى عشرات الحُرُوب الثَّوْرِيَّة، والَّتِي وقع معظمها بعد العام 1945. فهل هَذَا كافٍ لاستكشاف القوانين المطلوبة؟ يجب أن يعتمد التعميم والاستقراء من هَذَا العدد المحدود على الحدس إلى حد ما، وَالَّذِي قد يكون، أو لا يكون، صحيحًا. بالإضافة إلى ذَلِكَ، تواجهنا مشكلة الجمود الفكري، فنحن لا ندرس حرب مُكَافَحَة تمرد محددة، بل المشكلة بشكل عام؛ فالأمر الَّذِي قد يبدو ذا صلة في معظم الحالات، قد لا يكون كذلك في حالات أخرى، حَيْثُ أثَّرَت عوامل معينة على الأحداث بطريقة حاسمة.

لذا، لن ندَّعي أننا نُقدِّم الإجابة الكاملة والشاملة لمشكلات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، إنما نأمل فقط إزالة بعض الالتباسات الَّتِي نراها تتكرر كثيراً لدى من يجدر بهم تجنبها.

يتعامل هَذَا البحث بشكل أساسي مع حَرْبِ مُكَافَحَة التَّمَرُّد في المناطق الَّتِي يسميها الشيوعيون بـ "المُستَعمَرَة" و"شبه المُستعمَرَة"، ونسمِّيها من جانبنا بـ "المُتخلِّفَة". من الممكن حدوث حروب ثورية خارج هَذِهِ المناطق، لكن نجاحها سيكون مشكوكًا به، فالمجتمع المستقر عادة ما يكون أقل عرضة للخطر بشكل واضح. في الآونة الأخيرة، اندلعت حرب ثورية في منطقة "رأسمالية" واحدة فقط هِيَ اليونان، بين عامي 1945 و1950، حَيْثُ هُزِم الثوار. ولعلنا اليوم نرى تجربة مماثلة في مقاطعة كيبيك الكندية. وعلى أي حال، نعتقد أن المشكلة لم تبلغ درجة بالغة الخطورة في دول العالم المتقدم.

قبل المضي قدمًا في هَذَا البحث، علينا إيضاح مسألة تتعلق بالدلالات: ليس من الحكمة الاعتراف لماو تسي تونغ بأن خصوم الثوار "معادون للثورة"، لأن هَذَا الوصف "أعداء الثَّورَة" بات مرادفًا لـ "الرجعية"، فيما خصوم الثوار لم ولن يكونوا دائمًا كذلك. لذا، سنطلق على الجانب الأول اسم "المتمرد" وعمله "التَّمَرُّد"، بينما على الجانب الآخر، فسنجد "مُكَافَحَة المُتمرِّد" و"مُكَافَحَة التَّمَرُّد". وبما أن "التَّمَرُّد" و"مُكَافَحَة التَّمَرُّد" وجهان مختلفان للنزاع نفسه، فثمة حاجة إلى تعبير يشمل كليهما، ومصطلح "الحَرْب الثَّوْرِيَّة" سيفي بالغرض.

الفصل الأول: الحَرْب الثَّوْرِيَّة؛ الطبيعةُ والخصائصُ

ما هِيَ الحَرْبُ الثَّوْرِيَّة؟

الحَرْب الثَّوْرِيَّة في أصلها صراع داخلي، رغم أنها نادراً ما تبقى بمنأى عن تأثيرات عواملَ خارجية. وبالرغم من كون المتمردين، في كثير من الحالات، عبارة عن مجموعات وطنية سهلة التمييز -كالإندونيسيين والفيتناميين والتونسيين والجزائريين والكونغوليين، والأنغوليين اليوم- إلا أن هَذَا الأمر لا يغير الحقيقة المهمة من الناحية الإستراتيجية المتمثلة في كونهم يَتَحدَّونَ سلطة حاكمة "محلية" تتحكم في إدارة البلاد وشُرطَتَها وقواتها المسلحة. وفي هَذَا الإطار، لا تختلف الحُرُوب الثَّوْرِيَّة ضِدّ الاستعمار عن الحُرُوب الثَّوْرِيَّة ضِدّ حكومة أهلية، كتلك الَّتِي في كوبا وفيتنام الجنوبية.

تبدأ الحَرْب الثَّوْرِيَّة إثر سعي المتمردين للاستيلاء على السلطة- أو الانفصال عن الدولة القائمة، كما يحاول الأكراد الآن[1]- وما يتبعه من رد فعل "مُكَافَحَة التَّمَرُّد" الَّتِي تهدف إلى الحفاظ على السلطة. وهنا تبدأ الخلافات الكبيرة في الظهور بين المعسكرين. ففيما يستطيع أي طرف بدء النزاع في الحَرْب التقليدية، يمكن لطرف واحد فقط- المتمرد- أن يبدأ حربًا ثورية، لأن مُكَافَحَة التَّمَرُّد ليست سوى نتيجة للتمرد نفسه. علاوة على ذَلِكَ، لا يمكن تحديد ماهية مُكَافَحَة التَّمَرُّد إلا بالرجوع إلى سببها.

فإذا أردنا إعادة صياغة مبدأ كلاوزفيتز[2] (الحَرْب استمرار للسياسة بوسائل أخرى) لينطبق على التَّمَرُّد؛ يمكننا القول إن "التَّمَرُّد هُوَ استكمال لسياسة طرف محدد، داخل الدولة، بِكُلِّ الوسائل". إنه ليس مثل حربٍ عادية، لأن التَّمَرُّد يمكن أن يبدأ قبل وقت طويل من لجوء المتمرد إلى استخدام القوة.

---

[1] الحَرْب العراقية الكردية الأولى، صراع مسلح شهده إقليم كردستان العراق ما بين عامي 1961 م لغاية عام 1970 م، ومن الجهة الكردية كان النضال بقيادة مصطفى بارزاني في محاولة لإنشاء إدارة كردية مستقلة في شمال العراق. خلال الستينيات، وتصاعدت الانتفاضة إلى حرب طويلة.

[2] كارل فون كلاوزفيتز (1780- 1831) جنرال ومؤرخ حربي بروسي، تركت كتاباته حول الفلسفة والتكتيك والإستراتيجية أثرًا عميقًا في المجال العسكري في البلدان الغربية. تُدَرَّسُ أفكاره في العديد من الأكاديميات العَسْكَرِيَّة كما أنها تستعمل في عدة مجالات مثل قيادة المؤسسات والتسويق. ويعتبر من أكبر المفكرين العسكريين شهرة وتأثيرًا على مر التاريخ، ومن أهم مؤلفاته كتاب: عن الحَرْب.

ثورة، مؤامرة، تمرد

الثَّورَة والمُؤَامَرَة (أو الانقلاب) والتَّمَرُّد هِيَ الطرق الثلاث للاستيلاء على السلطة بالقوة. وسيكون من المفيد لتحليلنا محاولة التمييز بينها.

عادة ما تكون الثَّورَة ثورةً انفجارية- مفاجئة، وجيزة، وعفوية، وغير مُخطط لها (فرنسا، 1789؛ الصين، 1911؛ روسيا، 1917؛ المجر، 1956). إنها حادث يمكن تفسيره فيما بعد، ولكن لا يمكن التنبؤ به، ويقتصر الأمر على ملاحظة وجود وضع ثوري، دون التنبؤ بـ (كيف ومتى؟) ستحدث الثَّورَة بالضبط. ففي إيران اليوم، ثمة وضع ثوري، لكن من يستطيع أن يتنبأ بما سيحدث؟ هل سيحدث انفجار؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف ومتى سينفجر؟ [1]

تتحرك الجماهير في الثَّورَة ابتداءً، ثُمَّ يظهر القادة، فقد كان "صن يات سين"[2] في إنجلترا عندما تمت الإطاحة بسلالة مانشو، وكان لينين في سويسرا عندما سقط آل رومانوف.[3]

والمُؤَامَرَة عمل سري لجماعة متمردة هدفها الإطاحة بالقيادة العليا في البلاد، وبسبب طبيعتها السرية، لا تشمل المُؤَامَرَة الجماهير ولا يمكنها ذَلِكَ. وعلى الرغم من أن الاستعدادات لساعة الصفر قد تكون طويلة، إلا أن الفعل نفسه في تِلْكَ الساعة يكون قصيراً ومفاجئًا. والمُؤَامَرَة دائمًا مقامرة قد تنتهي بالفشل (المُؤَامَرَة ضِدّ هتلر عام 1944، والمؤامرات في العراق ضِدّ الملك فيصل ونوري السعيد عام 1958، وضد قاسم عام 1963).

من جهة أخرى، يعتبر التَّمَرُّد صراعًا طويل الأمد يتم بطريقة منهجية، خطوة بخطوة، من أجل تحقيق أهداف وسيطة ومحددة تؤدي في النهاية إلى الإطاحة بالنظام القائم (الصين، 1927-1949؛ اليونان، 1945-1950؛ الهند الصينية، 1945 -1954؛ مالايا، 1948-1960؛ الجزائر، 1954-1962).

كما هُوَ الحال بالنسبة للثورة، من المؤكد أنه لا يمكن توقع التَّمَرُّد قبل وقوعه. في الواقع، تكون بدايات التَّمَرُّد غامضة لدرجة أن تحديد موعد بدء التَّمَرُّد بالضبط يُعَدُّ مشكلةً

---

[1] انفجرت الثَّورَة بالفعل سنة 1979.

[2] قائد سياسي وفيلسوف ومنظر ثوري صيني، شكَّل عام 1912م حكومة مؤقتة في الصين بعد الإطاحة بأسرة تشينج العائلة الإمبراطورية الأخيرة الَّتِي حكمت الصين بين عامي 1644م و1911م، وأعلن قيام الجمهورية في الصين عام 1913م، ويُعد أول رئيس لجمهورية الصين.

[3] هِيَ الأسرة المالكة الثانية بعد أسرة روريك، والأخيرة في حكم روسيا، وقد حكمت بين عامي 1613م و1917م، قبل أن يتنازل القيصر نيقولا الثاني عن العرش، نتيجة للثورة البلشفية.

قانونية وسِيَاسِيَّة وتاريخية صعبة. فعلى سبيل المثال، هل بدأ التَّمَرُّد في الصين عام 1927، عندما انكسر تحالف الكومينتانغ الشيوعي وبدأ استخدام القوة؟ أم عام 1921، عندما تأسس الحزب الشيوعي الصيني وشرع بتشكيل نظام شيوعي في البلاد؟

لكن، وعلى الرغم من عدم إمكانية التنبؤ به، عادة ما يكون تطور التَّمَرُّد بطيئًا. وليس هَذَا من قبيل المصادفة، ففي التَّمَرُّد يظهر القادة ثُمَّ تُجبر الجماهير على التحرك. على الرغم من أن جميع حركات التَّمَرُّد الأخيرة -باستثناء تِلْكَ الَّتِي حدثت في اليونان- كَانَت مرتبطة بشكل واضح بالوضع الثَّوْرِيّ، إلا أن حالات: مالايا (1948-1960)، وتونس (1952-1955)، والمغرب (1952-1956)، وقبرص (1955-1959)، وكوبا (1957-1959)، وغيرها تُبيِّن أن الوضع الثَّوْرِيّ لا يكون بالضرورة شديد الوضوح حَتَّى يبدأ التَّمَرُّد.

التَّمَرُّد	الثَّورَة	المُؤَامَرَة
يظهر القادة ثُمَّ تضطر الجماهير للتحرك.	تتحرك الجماهير ثُمَّ يظهر القادة.	لا تشمل الجماهير ولا يمكنها ذَلِكَ.
عمل مخطط ومنهجي.	تبدأ بشكل عفوي ودون تخطيط.	استعدادات طويلة.
صراع طويل الأمد.	صراع طويل الأمد.	مجرياتها قصيرة زمانياً.
تجري خطوة بخطوة تؤدي في النهاية للإطاحة بالنظام.	تفضي إلى التَّمَرُّد.	مقامرة قد تنتهي بالفشل.

جدول (1): مقارنة بين التَّمَرُّد والثَّورَة والمُؤَامَرَة.

التَّمَرُدُ والحَرْبُ الأهليَّةُ

التَّمَرُد عبارة عن حرب أهلية، لكن الحُرُوب تختلف في الشكل والمضمون بين حالة وأخرى. فالحرب الأهلية تُقسم الأمة أو الشعب فجأة إلى مجموعتين أو أكثر، وبعد فترة وجيزة من الارتباك الأوّلي، تفرض نفسها على مساحة من الأراضي ويشرع أفراد الجماعات المسلحة على الفور في تطوير أساليبهما. وسرعان ما تتحول إلى ما يشبه حربًا تقليدية بين الدول، غير أن أطراف النزاع فيها هم من مواطني البلد الواحد، كما حدث في الحربين الأهليتين الأمريكية والإسبانية.

عدمُ التكافؤِ بين التَّمَرُد و"مُكَافَحَة التَّمَرُد"

هناك عدم تناسق بين المعسكرين المتعارضين في الحَرْب الثَّوْرِيَّة. هَذِهِ الظاهرة ناتجة عن طبيعة الحَرْب نفسها، وعن عدم تكافؤ القوة بين أطراف النزاع في البداية، وعن الاختلاف الجوهري بين قدراتهم ومطالبهم.

وبما أن المتمرد وحده هُوَ من يستطيع بدء النزاع (وهَذَا لا يعني أنه بالضرورة أول من يستخدم القوة)، فإن مبادرته الإستراتيجية هِيَ في تعريف نفسه. فالمتمرد حر في اختيار ساعة الصفر، وفي انتظار الظرف الموات، ما لم تجبره عوامل خارجية على تسريع تحركاته. ومع ذَلِكَ، لا يمكن لأي حرب ثورية أن تظل شأنًا داخليًا بحتًا أمام الاستقطاب الَّذِي يشهده العالم اليوم، كما هُوَ الحال بين الشرق والغرب. من المحتمل أن تكون الأحزاب الشيوعية الملاوية والإندونيسية قد تلقت أوامر ببدء مرحلة العنف في تمرديهما من مؤتمر كلكتا لعام 1948، الَّذِي رعته حركة الشباب والطلاب الشيوعية في جنوب شرق آسيا. وبالتالي، لم يُترك القرار بالكامل للطرفين الماليزيين والإندونيسيين.

وإلى أن يكشف المتمرد عن نيَّاته بوضوح، من خلال الانخراط في التخريب أو العنف المفتوح، فإنه لا يمثل شيئًا سوى تهديد محتمل وغير دقيق، ولا يقدم لمكافحة التَّمَرُد هدفًا ملموسًا من شأنه أن يبرر بذل جهد كبير تجاهه. ومع ذَلِكَ، يمكن أن يصل التَّمَرُد لدرجة عالية من التقدم بالوسائل القانونية والسلمية، على الأقل في البلدان الَّتِي يسود فيها التسامح مع المعارضة السياسية، حَيْثُ يحدُّ هَذَا التقدم بشكل كبير من التحركات الاستباقية الَّتِي قد تقوم بها الجهة المُنفِّذة لمكافحة التَّمَرُد. إزاء هَذَا الحال، فإن أكثر ما

يمكن لمكافحة التَّمَرُّد فعله هُوَ محاولة القضاء على الظروف الملائمة للتمرد أو التخفيف من حِدَّتِها.

يُظهر تقييم القوى المتصارعة في بداية أي حرب ثورية تفوقًا ساحقًا في ميزان القدرات المادية لصالح مُكَافَحَة التَّمَرُّد، فهي تتمتع بالامتيازات المحلية والخارجية الَّتِي تتمتع بها الحكومة القائمة، إنها تتمتع بِكُلِّ شيء تقريبًا: كالاعتراف الدبلوماسي؛ السلطة الشرعية في فروعها التنفيذية والتشريعية والقضائية؛ السيطرة على الإدارة المحلية والشرطة؛ الموارد المالية؛ الموارد الصناعية والزراعية في الداخل أو سهولة الوصول إليها في الخارج؛ مرافق النقل والاتصالات؛ استخدام المعلومات ووسائل الدعاية والتحكم فيها؛ قيادة القوات

المسلحة وإمكانية زيادة حجمها. في المقابل، ليس لدى المتمردين، في الخارج، أي من هَذِهِ الأصول، أو القليل منها فحسب.

لكن، وفي ميزان القدرات غير المادية، ينقلب الوضع كليًا، إذ يمتلك المتمرد رصيداً هائلاً، ألا وهُوَ: القوة الأيديولوجية للقضية الَّتِي يبني عليها عمله، وتتحمل مُكَافَحَة التَّمَرُّد مسؤولية ثقيلة، تتمثَّل في الحفاظ على النظام في جميع أنحاء البلاد. لذا ستهدف استراتيجية المتمرد بشكل طبيعي إلى تحويل قدراته غير المادية إلى قدرات مادية ملموسة، بينما تركز استراتيجية مُكَافَحَة التَّمَرُّد على عدم تشتيت قدراتها المادية الملموسة في ظل مسؤوليتها لحفظ النظام.

وهكذا، يجب على المتمرد خلال الحَرْب أن يتطور من: حجمه الصغير إلى الكبير، ومن ضعفه إلى قوة، وإلا فإنه سيفشل. وبالمقابل، ستتراجع مُكَافَحَة التَّمَرُّد من حجمها الكبير إلى الصغير، ومن القوة إلى الضعف، في انعكاس مباشر لنجاح التَّمَرُّد.

من هَذَا التباين الأولي، نستمد الخصائص الَّتِي تُمَيِّز الحَرْب الثَّوْرِيَّة عن التقليدية فتكون مختلفة تمامًا.

التَّمَرُّد	مُكَافَحَة التَّمَرُّد
لا يملك من القوى المادية سوى القليل.	تفوق ساحق في ميزان القوى والامتيازات في الداخل والخارج: الاعتراف الدبلوماسي، السلطة الشرعية؛ التنفيذية والقضائية والتشريعية...إلخ.
يراهن على القوة الأيديولوجية المستمدة من القضية.	تراهن على شرعيتها المستمدة من قوتها المادية الَّتِي تمكنها من الحفاظ على الأمن.
يجب أن يسعى إلى تحويل قدراته غير المادية إلى قدرات مادية ملموسة.	يركِّز على عدم تشتيت قواته في ظل مسؤوليته على حفظ الأمن.
يتحول من الضعف إلى القوة.	يتحول من القوة إلى الضعف.

جدول (2): مقارنة بين التَّمَرُّد ومُكَافَحَة التَّمَرُّد في البداية

الهدف: السكان

بسبب ضعفه في البداية، سيكون من الحمق أن يحشد المُتَمَرِّدُ كُلّ قوته المتاحة ليهاجم خصمه بطريقة تقليدية، معتبراً أن هدفه تدمير قوات العدو والاستيلاء على الأراضي. وبدلاً من ذَلِكَ، يُملي عليه المنطق نقلَ قوَّته إلى ساحة مختلفة حَيْثُ قد تواتيه فرصة أفضل لتتكافأ موازين القوى.

يمثل السكان هَذِهِ الساحة الجديدة. فإذا تمكن المتمرد من فصل السكان عن قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، والسيطرة عليهم مادياً، والحصول على دعمهم النشط، حينها سينتصر في الحَرْب، لأن ممارسة السلطة السياسية، في التحليل النهائي، تعتمد على اتفاق ضمني أو صريح مع السكان أو في أسوأ الأحوال، على استسلامهم.

وهكذا فإن المعركة من أجل السكان هِيَ السمة الرئيسية للحرب الثَّوْرِيَّة.

الحَرْب الثَّوْرِيَّة هِيَ حربٌ سِيَاسِيَّةٌ

تُخاض جميع الحُرُوب بناءً على غرض سياسي، على الرغم من أن النتيجة السياسية النهائية في بعض الحالات تختلف اختلافًا كبيراً عن النتيجة المقصودة في البداية.

ففي الحَرْب التقليدية، يكون العمل العسكري، المدعوم بالدبلوماسية والدعاية والضغط الاقتصادي، الطريقةَ الرئيسيةَ لتحقيق الهدف بشكل عام، وتميل السياسة كأداة للحرب إلى الكُمُون، قبل أن تعاود الظهور- كأداة- عند انتهاء القتال. ولا نعني هنا أن السياسة تختفي تمامًا كقوة توجيه رئيسية، ولكن بدلاً من ذَلِكَ، في سياق الحَرْب التقليدية، بمجرد تحديد الأهداف السياسية (على الرغم من أن الحكومة قد تغيرها)، وإعطاء التوجيهات للقوات المسلحة (على الرغم من أن الحكومة قد تعدلها)، يصبح العمل العسكري في المقام الأول، "فالكلمة تكون للسلاح"؛ ويصبح الاحتكام الوحيد للبندقية.[1]

مع قدوم العصر النووي وما يترتب عليه من مخاطر التدمير المتبادل، باتت السياسة، بلا شك، تتدخل بشكل أوثق -كما حدث في كوريا مؤخراً- في مجريات الحَرْب (عبر وضع أهداف محدودة) وفي تحديد المسار الفعلي للعمليات (الملاذات المميزة، استبعاد الأسلحة النووية). ومع ذَلِكَ، يبقى العمل العسكري الأداةَ الرئيسية للحرب التقليدية.

---

[1] يقابل هَذَا بيت الشعر: قد نطق السيف فاسكت أيها القلم، وشعر أبي تمام: السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب.

نتيجة لذلك، يسهل نسبيًا توزيع المهام والمسؤوليات بين الحكومة الَّتِي تدير العمليات والسكان الَّذِينَ يوفِّرون الأدوات والجندي الَّذِي يستخدم هَذِهِ الأدوات.

في الحَرْب الثَّوْرِيَّة تبدو الصورة مختلفة، فالهدف هُوَ السكان أنفسهم، والعمليات المصممة لكسبهم (بالنسبة للمتمردين) أو لإبقائهم خاضعين على الأقل (بالنسبة لمكافحة التَّمَرُّد) هِيَ في الأساس ذات طابع سياسي، وبالتالي، يظل العمل السياسي في هَذِهِ الحالة في مقدمة أولويات طرفي النزاع طيلة فترة الحَرْب، فلا يكفي أن تضع الحكومة أهدافًا سِيَاسِيَّة، أو تحدد مقدار القوة العَسْكَرِيَّة القابلة للاستخدام، أو الدخول في تحالفات أو تفكيك أخرى؛ بل تصبح السياسة أداة فعالة لمكافحة التَّمَرُّد. والتفاعل بين العمليات السياسية والعَسْكَرِيَّة مُعقَّد للغاية بِحَيْثُ لا يمكن فصلهما بشكل مُنظَّم؛ وعلى العكس من ذَلِكَ، فإن كُلّ تحرك عَسْكَرِيّ يجب أن يُوزَن بآثاره السياسية، والعكس صحيح.

يتمثل الجناح السياسي للمتمرد بحزب ما، فيما يتكون جناحه العسكري من مسلحي هَذَا الحزب، فهو يتمتع بميزة واضحة على خصمه الَّذِي تكون مؤسسته السياسية هِيَ السلطة الحاكمة في البلاد، مدعومةً من قبل حزب أو تحالف من الأحزاب غير المتفقة على رؤية واحدة، فيما يتمثل الجناح العسكري لمكافحة التَّمَرُّد في جيش الدولة، الَّذِي يعكس حالة التوافق أو الاختلاف في الشعب.

الانتقالُ التدريجيُّ من السلامِ إلى الحَرْبِ

في الحَرْب التقليدية، يكون المُهاجِم قد استعد للحرب داخل حدود أراضيه الوطنية، وموارده مُسخّرة للاستعدادات العَسْكَرِيَّة، ولديه الكثير ليكسبه من خلال الهجوم المفاجئ بِكُلِّ قواته. فيكون الانتقال من السلام إلى الحَرْب مفاجئًا بقدر ما تسمح به أحدث التقنيات؛ وقد تكون الضربة الأولى حاسمة.

لكن هَذَا غير ممكن في الحَرْب الثَّوْرِيَّة، لأن المُهاجِم- المتمرد- يفتقر إلى القوة الكافية في البداية. وفي الواقع، قد تمر سنوات في بعض الأحيان قبل أن يكتسب المتمرد قوة سِيَاسِيَّة كبيرة، ناهيك عن القوة العَسْكَرِيَّة. لذا عادة ما يكون عامل الصدمة محدودًا، أو معدومًا، في بداية الأمر، أو يكون عنصر المفاجأة ضئيلاً أو معدومًا، في ظل غياب الإمكانيات لخوض معركة حاسمة مُبكِّرَة.

لا يهتم المتمرد حقيقة بإحداث صدمة ما لم يشعر بأنه قادر على الصمود تمامًا أمام رد الفعل المتوقع من العدو. ومع تأخر تحقيق هَذِهِ القدرة وهَذَا المستوى من الصمود الَّذِي يظهر فيه التَّمَرُّد كتحدٍ خطير للسلطة، يستمر المتمرد في تأجيل خطته. وقد يطول هَذَا التأخير أكثر مُستغلاً حقيقة جهل الشعب بخطورة المرحلة حَتَّى بعد إدراك قيادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد لِهَذَا التهديد.

الحَرْب الثَّوْرِيَّة حرب مُطوَّلة

إن الطبيعة المطوَّلة للحرب الثَّوْرِيَّة لا تنتج عن تصميم من أي جانب؛ فقد تُفرض على المتمرد بسبب ضعفه الأوَّلي، كما يستغرق الأمر وقتًا بالنسبة لمجموعة صغيرة من قادة المتمردين لتنظيم حركة ثورية، وتجهيز القوات المسلحة وتطويرها، والوصول إلى مرحلة التوازن مع العدو، وصولاً إلى التغلب عليه. وتكون الحَرْب الثَّوْرِيَّة قصيرة فقط إذا انهارت قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد في مرحلة مبكرة، كما كان الحال في كوبا، حَيْثُ تفكك نظام باتيستا[1] فجأة، بفعل ضربات المتمردين أكثر من مجرد ضعفه؛ أو إذا توصَّل المتنازعون، بطريقة ما، إلى تسوية سِيَاسِيَّة، كما حصل في تونس والمغرب وقبرص. وحَتَّى الآن، لم يحصل هناك أي انهيار مبكر لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

استمرت الحَرْب الثَّوْرِيَّة في الصين مدة اثنين وعشرين عامًا، إذا ما اعتبرنا عام 1927 عام البداية. واستمرت الحَرْب خمس سنوات في اليونان، وتسعة في الهند الصينية، وتسعة في الفلبين، وخمس سنوات في إندونيسيا، واثني عشر في مالايا، وثلاثة في تونس، وأربعة في المغرب، وثمانية في الجزائر. كما بدأت الحَرْب في بورما عام 1948 وما زالت مستمرة إلى الآن (سنة 1964)، وإن كان بوتيرة منخفضة.

[1] فولجنسيو باتيستا (1901- 1973) كان رئيسًا ديكتاتوريًا لكوبا. قاد الجيش بشكل صارم بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، وترأس كوبا خلال أعوام 1933- 1944 و1952- 1959، قبل أن تسقطه الثَّورَة الكوبية.

التَّمَرُّدُ سهلٌ، أما مكافحتهُ فمُكلِفَةٌ

يُعَدُّ الترويج للفوضى هدفًا مشروعًا للمتمردين، إذ يساعد على تعطيل الحركة الاقتصادية، وبالتالي إذكاء السخط بين السكان؛ إنه يعمل على تقويض قوة وسلطة مُكَافَحَة التَّمَرُّد. علاوة على ذَلِكَ، فإن الفوضى- الحالة الطبيعية للتمرد- زهيدة الثمن، لكن منعها مكلف للغاية. فالمتمرد يفجِّر جسرًا، لذا يجب حراسة كُلّ جسر؛ ويلقي قنبلة يدوية في دار سينما، لذا يجب تفتيش كُلّ شخص يدخل مكانًا عامًا. وعندما يحرق المتمردون مزرعة، يطالب جميع المزارعين بحماية مزارعهم؛ وإذا لم يحصلوا على الحماية، فلربما يميلون للتعامل مع المتمردين بشكل شخصي، كما حدث في الهند الصينية والجزائر، كمثالين فقط. بمجرد إجراء مكالمات هاتفية مجهولة تحذر من وجود قنابل مزروعة في الأمتعة، يمكن للمتمردين عرقلة حركة الملاحة الجوية المدنية وإخافة السياح.

ولأن قيادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد لا تستطيع التهرُّب من مسؤولية حفظ النظام، فإن نسبة نفقاتها مقارنة بنفقات المتمردين مرتفعة للغاية، وذَلِكَ بنسبة عشرة أو عشرين ضعفًا، أو أكثر. وبالطبع، تتباين التأثيرات بشكل كبير، من حالة إلى أخرى، خلال مسار الحَرْب الثَّوْرِيَّة، خاصة عندما يصل المتمردون إلى المراحل الأولى من العنف ويلجؤون إلى الإرهاب وحرب العصابات.

> قدَّر البريطانيون ما يكبِّدهم كُلّ متمرِّدٍ واحد من خسائر في مالايا بما يزيد على مئتي ألف دولار. بينما في الجزائر، بلغت ميزانية جبهة التحرير الوطني في ذروتها ثلاثين أو أربعين مليون دولار في السنة، وهُوَ أقل مما كان على القوات الفرنسية إنفاقه في أسبوعين.

يبدو أن هناك حدًا أعلى لِهَذِهِ النسبة، فعندما يزيد المتمرد من إرهابه، أو نشاطه في حرب العصابات، بمعدَّل الضعف أو الضعفين أو الثلاثة أو الخمسة أضعاف، فإنه لا يجبر مكافح التَّمَرُّد على مضاعفة نفقاته بنفس المعدَّل. وعاجلاً أم آجلاً، سيصل الصراع إلى نقطة الإشباع، وهِيَ النقطة الَّتِي يعمل فيها قانون الإنتاجية المتناقصة[1] لدى كلا الجانبين.

[1] قانون اقتصادي ينص على أن معدل الربح الناتج عن استثمار معين لا يمكن له أن يستمر بالارتفاع بعد نقطة معينة، في حال بقيت المتغيرات الأخرى ثابتة، بل يؤدي ذَلِكَ إلى تناقص العائد بشكل تدريجي.

وبمجرد أن ينجح المتمرد في الحصول على قواعد جغرافية مستقرة، كما فعل الشيوعيون الصينيون في شمال غرب الصين على سبيل المثال، أو فييت مينه[1] في تونكين، فإنه يصبح بحكم الواقع سلطة قائمة بذاتها داخل منطقته، بهدف إظهار الفرق بين فعالية حكمه وتقصير حكم خصمه.

وبالتالي، بسبب التفاوت في التكلفة والجهد، يمكن للمتمردين قبول حرب طويلة؛ وهَذَا ما لا يسع مُكَافَحَة التَّمَرُّد قبوله.

مرونةُ المتمردُ، وجمودُ مُكَافَحَةِ التَّمَرُّدِ

يتميز المتمرد بكونه مرنًا، إذ لا مسؤولية منوطة به ولا أصول ملموسة لديه، أما مُكَافَحَة التَّمَرُّد فتتسم بالجمود لأنها تمتلك كلا الأمرين، ولا يمكن لأي قدر من الشكوى أن يغير هَذِهِ الحقيقة لأي من الجانبين. لذا يجب على كليهما قبول الموقف كما هُوَ والاستفادة مِنْهُ على أفضل وجه.

إذا ما أرادت قيادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد التخلص من جمودها، فعليها التخلي عن حكم بعض المساحات من البلاد، أو التقليل من أصولها الملموسة. وللقيام بذلك، يمكنها الانسحاب وتسليم كُلّ شيء إلى المتمردين، ثُمَّ بدء تمرد مضاد، لكن لم تجرؤ أي من سلطات مُكَافَحَة التَّمَرُّد حَتَّى الآن على تطبيق هَذِهِ الطريقة الخطرة.

في المقابل، يجب على المتمرد أن يحافظ على مرونته، حَتَّى يصل إلى مرحلة توازن القوى مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد على أقل تقدير. وعلى الرغم من توق المتمردين للسيطرة على الأراضي، وتشكيل قوات نظامية كبيرة، وحيازة الأسلحة المتقدمة، فإن السعي للوصول لِهَذَا المستوى قبل أوانه قد يؤدي إلى هلاكهم. ولعلَّ فشل المتمردين الشيوعيين في اليونان يعود في جزء مِنْهُ إلى مجازفتهم عندما نظموا قواتهم في كتائب وأفواج وخاضوا معركة تقليدية، كما ارتكب "الفييت مينه" الخطأ نفسه في تونكين عام 1951، وعانوا من نكسات خطيرة.

لذا، وإلى أن يصل الصراع في الحَرْب الثَّوْرِيَّة إلى مرحلة توازن القوى، يستطيع المتمرد وحده شن عمليات كر وفر ناجحة، لأن سلطات مُكَافَحَة التَّمَرُّد وحدها هِيَ الَّتِي تشكل أهدافًا ثابتة ومُحكمة؛ أما المتمرد عمومًا فله الحرية في قبول أو رفض المعركة، فيما تكون

[1] اتحاد استقلال فيتنام الشيوعي، تشكّل عام 1941 للسعي لاستقلال فيتنام من فرنسا، بالإضافة إلى معارضة الاحتلال الياباني.

سلطات مُكَافَحَة التَّمَرُّد مُلزَمَة بمسؤولياتها، لكنها في المقابل تستطيع دون غيرها استخدام أساليب وأسلحة ومقدَّرات متقدمة لأنها وحدها من يمتلكها.

أضف إلى ذَلِكَ أن مرونة الجانب الأول وجمود الجانب الآخر تُحدَدَان من خلال طبيعة العمليات. وطبيعة هَذِهِ العمليات بسيطة نسبيًا بالنسبة للمتمرد؛ إذ تقوم على نشر الفوضى بِكُلِّ الطرق حَتَّى الوصول للسلطة؛ بينما الأمر مُعقَّد بالنسبة لسلطات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، الَّتِي يجب أن تأخذ في الاعتبار المسؤوليات المتضاربة (حماية السكان والاقتصاد، والعمليات الهجومية ضِدّ المتمردين)، ويتعين عليها تنسيق كافة مكونات قواتها من البيروقراطيين، والشرطة، والجنود، وأخصائيي الاجتماع، إلخ. يستطيع المتمرِّد تولي أمر تنظيم فضفاض يتمتّع أفراده بهامش واسع من المبادرة، لكن هَذَا لا ينطبق على مُكافِح التَّمَرُّد.

التَّمَرُّد	مُكَافَحَة التَّمَرُّد
يتسم بالمرونة.	يتسم بالجمود.
نشر الفوضى لإسقاط شرعية الحكومة.	حفظ السلام للحفاظ على الشرعية.
نفقات متدنية.	نفقات عالية.
سرعة اتخاذ القرار.	بطء في اتخذا القرار بسبب الآليات البيروقراطية.
يمكنه قبول حرب طويلة.	لا تستطيع تحمل كلفة الحَرْب الطويلة.
ليس لديه أصول ثابتة ومسؤوليات.	لديه أصول ثابتة ومسؤوليات منوطة به.
لا ينبغي أن يركز على السيطرة على الأرض وتشكيل قوات كبيرة وحيازة الأسلحة المتقدمة.	لابد من التخلي على بعض المساحات أو التقليل من الأصول الملموسة.
شن عمليات كر وفر لا تعتمد على قدرات عَسْكَرِيَّة عالية.	عمليات دفاع ثابت تعتمد على مقدرات عَسْكَرِيَّة ضخمة.
رؤية واحدة في للقيادة السياسية والعَسْكَرِيَّة.	في معظم الأحيان هناك صراع حزبي وعدم تجانس في الجيش.
له الحرية في رفض أو قبول المعركة.	يشكِّل أهدافاً ثابتة لأنه مسؤول عن الأمن.

جدول (3): الفروقات بين التَّمَرُّد ومُكَافَحَة التَّمَرُّد بعد انطلاق الحَرْب

قوة الإيديولوجيا

لا يستطيع المُتمرِّد الشروع بجدية في التَّمَرُد ما لم يمتلك سببًا راسخًا يجتذب من خلاله مؤيِّدين له من بين السكان، وذلك لأن الدافع -كما رأينا- هُوَ رأس ماله الوحيد في البداية، ويجب أن يكون دافعاً قويًا إذا ما أراد التغلب على ضعفه.

هل يمكن توافر دافعين متفجرين ومتضادين في آن معًا داخل بلد واحد أحدهما للمتمردين والآخر لخصمهم؟ قد يحدث شيء من هَذَا القبيل من حين إلى آخر، فعلى سبيل المثال، عندما اصطدمت الحركة المناهضة للعبودية في الولايات المتحدة بقانون الولايات،[1] كَانَت النتيجة المرجحة في هَذِهِ الحالة هِيَ اندلاع حرب أهلية، لا مجرد تمرد.

ومن المحتمل وجود دافع واحد فقط للتمرد، فإذا ما استبقت سلطات مُكَافَحَة التَّمَرُد ذَلِكَ، فإن قوة الأيديولوجيا تعمل لصالحها لا لصالح المتمردين، لكن هَذَا صحيح إلى حد كبير في المراحل الأولى من الصراع فحسب. لكن ومع تطور الحَرْب لاحقًا، تصبح الحَرْب نفسها هِيَ القضية الأساسية، وبالتالي يفقد الدافع الأصلي بعضًا من أهميته.

> من المُسلَّم به أن المواجهة بين تمرَّد ذي أيديولوجيا فعالة ومُكَافَحَة تمرد تفتقر إليها محسومٌ لصالح الأولى، فما من تكتيكات ولا تقنيات يمكن أن تعوِّض القصور الأيديولوجي.

لكنها ليست حالة مضطردة، فموقف السكان في المرحلة الوسطى من الحَرْب لا تمليه الشعبية النسبية ومزايا الخصوم بقدر ما يمليه الاهتمام بمبدأ الأمن والسلامة. فالجانب الَّذِي يمنح أفضل حماية، ستكون له اليد العليا، وهُوَ الَّذِي يُرجح أن يفوز، وَهَذِهِ المعايير هِيَ الَّتِي تحكم موقف السكان. وبالطبع، يكون ذَلِكَ أفضل بكثير، في حال الجمع بين الشعبية والفعالية.

[1] حقوق الولايات هِيَ مجموعة من التعديلات على الدستور الأمريكي دخلت حيز النفاذ سنة 1791، ضمنت عدداً من الحقوق للولايات على حساب الفدرالية المركزية، وكان من قوانين هَذَا الدستور: السماح بالعبودية وتجريم التعاون مع العبيد الفارين من أسيادهم.

البروبوغاندا- سلاحٌ ذو حدٍّ واحدٍ

يؤدي الوضع غير المتكافئ إلى تأثيرات مهمة على الدعاية. فالمتمرد، الَّذِي لا يتحمل أية مسؤولية، يتمتع بحرية استخدام كُلّ الحيل؛ فإذا لزم الأمر، يمكنه الكذب والغش والمبالغة، لأنه غير مُلزَم بإثبات ذَلِكَ؛ ويُحكم عليه بما يعد به لا بما يفعله. وبالتالي فإن الدعاية سلاح قوي بالنسبة له. لذا فإنه وإن غابت السياسة الإيجابية، فإن توفر دعاية جيدة قد يحسم الصراع لصالح المتمردين.

بينما ترتبط مُكَافَحَة التَّمَرُّد بمسؤوليات السلطة وماضيها، وبالنسبة لها يكون للحقائق وقعٌ أبلغُ من الكلمات، فيُحكم على ما تفعله لا على ما تقوله. فإذا استباحت السلطة الكذب، والغش، وبالغت في الدعاية دون أن تُثبت، فقد تُحقِقُ بعض النجاحات المؤقتة، لكنها ستكون على حساب فقدان مصداقيتها بشكل نهائي.

ولا تستطيع السلطة الغش كثيرًا ما لم تكن هياكلها السياسية متجانسة، لأن المعارضة الشرعية في معسكرها ستكشف قريبًا عن كُلّ مناوراتها النفسية المنطقية. لذا بالنسبة لسلطة مُكَافَحَة التَّمَرُّد، لا يمكن أن تكون الدعاية أكثر من سلاح ثانوي، ذا قيمة فقط فيما لو كان المقصود منها الإعلام لا الخداع. ونادراً ما تستطيع سلطة مُكَافَحَة التَّمَرُّد تغطية السياسة السيئة أو المكذوبة بالدعاية.

التَّمَرُّد	مكافح التَّمَرُّد
يمكنه استخدام الكذب والمبالغة.	يحقق له الكذب مكاسب مؤقتة، لكنه سرعان ما يُفقده مصداقيته.
يمكنه المراوغة في الدعاية.	لا يمكنه ذَلِكَ لأن المعارضة سرعان ما تكشفه.
يُحكم عليه بما يَعِدُ، وليس بما يفعل.	يُحكَم عليه بما يفعل، وليس ما يقول.
الإعلام سلاح رئيس يمكنه حسم الصراع لصالحه.	الإعلام سلاح ثانوي.

جدول (4): الفروقات بين التَّمَرُّد ومُكَافَحَة التَّمَرُّد فيما يخص البروباغندا

الحَرْبُ الثَّوْرِيَّةُ تبقى غيرَ تقليديةٍ حَتَّى النهايةِ

يظن البعض أنه وبمجرد اكتساب المتمردين لعناصر القوة وتشكيل قوات نظامية كبيرة، فإن الحَرْب يجب أن تصبح حربًا تقليدية، كنوع من الحَرْب الأهلية الَّتِي يحتفظ فيها كُلّ معسكر بجزء من الأراضي الوطنية الَّتِي يوجه الضربات انطلاقًا منها تجاه الطرف الآخر. لكن لو فهم المتمردُ مشكلاته الإستراتيجية جيدًا، فإن حربه الثَّوْرِيَّة لن تتحول أبدًا إلى الشكل التقليدي. وذَلِكَ لسببين:

الأول: لا يعني إنشاء المتمردين جيشًا نظاميًا إنهاء عمليات التخريب وحرب العصابات، بل على العكس من ذَلِكَ، يتسع نطاق هَذِهِ العمليات وتشتد لتسهيل عمليات جيش المتمردين النظامي ومضاعفة تأثيرها.

والثاني: يُشرِك المتمردون السكان في الصراع منذ بدايته، كشرط لا غنى عنه لنجاح التَّمَرُّد. فبعد أن يكتسب المتمردون الميزة الحاسمة المتمثلة في سكان مُنظَّمين ومعبَّأين إلى جانبهم، لن يكون من المنطقي التخلي عن هَذِهِ المزيَّة الَّتِي تمنح قواتهم النظامية المرونة وحرية العمل والَّتِي لا يمكن لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد تحقيقها. فطالما بقي السكان تحت سيطرتهم، يحتفظ المتمردون بحرية رفض دخول أي معركة إلا بشروطهم الخاصة.

في العام 1947، شن القوميون الصينيون هجومًا على "ينان"، العاصمة الشيوعية في شمال "شنسي"، واستولوا عليها دون صعوبة تذكر. فقد أخلت الحكومة الشيوعية والقوات النظامية المنطقة دون قتال. لكن وبعد فترة وجيزة، بدأ السكان والميليشيات المحلية ونواة صغيرة من حرب العصابات والقوات الإقليمية بمضايقة القوميين، بينما هاجمت الوحدات الشيوعية النظامية خطوط الإمداد الطويلة الَّتِي امتدت شمالاً من سيان. فاضطر القوميون للانسحاب في نهاية المطاف، بعد فشلهم في تحقيق أي مكاسب وخسارتهم الكثير فيما يتعلق بقضيتهم.

وفي العام 1953، وجدت القوات الفرنسية في الهند الصينية دراسة أجرتها قيادة "فييت مينه" لتحديد ما إذا كان هناك أي منطقة في أراضي فيتنام، وأي موقع ثابت يستحق الدفاع عنه، وكان الجواب: لا. في الحقيقة، وفي نفس العام، في أراضي "فييت مينه" شمال غرب "هانوي"، استولى الفرنسيون على مستودع ضخم للشاحنات والذخائر الَّتِي تُركت دون أي حراسة.

أشرنا أعلاه إلى الخصائص العامة للحرب الثَّوْرِيَّة، والَّتِي تُعتَبَرُ نتيجةً حتميَّةً لطبيعة هَذِهِ الحَرْب. فالمتمرد أو المُكافِح للتمرد، الَّذِي سيخوض حربه معارضًا أو متجاهلاً هَذِهِ الخصائص، لن يزيد بالتأكيد من فرصه في النجاح.

ملخص الفصل الأول

- الحَرْب الثَّوْرِيَّة صراع داخلي غالباً ما يتأثر بعوامل خارجية، يبدأ إثر سعي المتمردين الاستيلاء على السلطة، ووفقاً لمبدأ كلاوزفيتز فإن التَّمَرُّد هُوَ (استمرار سياسة طرف محدد داخل الدولة بجميع الوسائل).
- لا يمكن التنبؤ بالثورة، ولكن يمكن ملاحظة وضع ثوري، وفي الثَّورَة العفوية تتحرك الجماهير ثُمَّ يظهر القادة.
- تختلف الثَّورَة عن المُؤَامَرَة، فالمؤامرة عمل سري لجماعة متمردة تهدف للإطاحة بالقيادة العليا في البلاد، وهِيَ لا تشمل الجماهير ولا يمكنها ذَلِكَ، وقد تتطلب استعدادات طويلة، فيما يكون التنفيذ قصير الأمد، وغالباً ما تكون أشبه بالمقامرة الَّتِي تنتهي بالفشل. أما التَّمَرُّد فهو صراع طويل الأمد، يتم بطريقة منهجية خطوة بخطوة تؤدي في النهاية إلى الإطاحة بالنظام القائم.
- التَّمَرُّد شكل من أشكال الحَرْب الأهلية، لكن الحَرْب الأهلية تقسِّم الأمة أو الشعب إلى فسطاطين أو أكثر، ثُمَّ تتحول إلى ما يشبه الحَرْب التقليدية بين الدول، غير أن أطراف النزاع فيها هم من مواطني البلد الواحد، مثل الحربين الأهليتين الأمريكية والإسبانية. ولا يمكن للحرب الأهلية أن تظل شأناً داخلياً بحتاً، في ظل الاستقطاب الَّذِي يشهده العالم اليوم.
- عند بداية التَّمَرُّد يميل ميزان القوى المادية بشدة لصالح مُكَافَحَة التَّمَرُّد، فهي الطرف الَّذِي يملك جميع السلطات وما يرافقها من اعتراف دولي وأدوات تنفيذية، فيما يميل ميزان الأيديولوجيا بشدة لصالح المتمرد بناءً على القضية الَّتِي يعمل لها. لذا تسعى مُكَافَحَة التَّمَرُّد إلى تركيز القوة والقدرات المادية المتوافرة بيدها ومنع تشتيتها، فيما يسعى المتمرد إلى تحويل قدراته الإيديولوجية إلى قوة مادية ملموسة.
- الصراع لكسب السكان هُوَ السمة الرئيسة للحرب الثَّوْرِيَّة، فيسعى المتمردون لكسبهم، وتسعى مُكَافَحَة التَّمَرُّد لإبقائهم خاضعين على الأقل، وبالنسبة للحكومة فكل عمل عَسْكَرِيّ يجب أن يوزن بنتائجه السياسية والعكس بالعكس.
- تتخذ الحَرْب مساراً تصاعدياً تدريجياً، لأن المتمرد يفتقر إلى القوة الكافية في البداية، كما تتسم الحَرْب الثَّوْرِيَّة بطول المدة، لحاجة المتمرد لتنظيم حركة ثورية وتجهيز القوات المسلحة وتطويرها وصولاً إلى مرحلة التوازن مع العدو والتغلب عليه.

- تكون تكلفة الحَرْب زهيدة بالنسبة للمتمرد مقارنة بمكافحة التَّمَرُد، لذا يمكن للمتمرد قبول خوض حرب طويلة، لكن هَذَا ما لا يسع مُكَافَحَة التَّمَرُد قبوله.
- تتمتع قوى التَّمَرُد بالمرونة فلا مسؤوليات منوطة بها ولا أصول ملموسة بيديها، أما مُكَافَحَة التَّمَرُد فعلى العكس من ذَلِكَ؛ لديها مسؤوليات وأصول ملموسة مضطرة لحمايتها. لكن سعي المتمردين للسيطرة على الأرض وتشكيل قوات نظامية كبيرة وحيازة أسلحة متقدمة قبل الأوان قد يؤدي إلى هلاكهم.
- يمكن للمتمرد أن يستخدم كُلّ الحيل من غش وخداع ومبالغة في الإعلام فهو غير مُلزم بإثبات شيء، ولا يُحكم عليه وفقاً لما يفعل بل بما يعد به، أما الكذب من قِبَل مُكَافَحَة التَّمَرُد فقد يحقق لها مكاسب مؤقتة لكنها سرعان ما تفقد مصداقيتها.
- حَتَّى لو سيطر المتمرد على جزء من الأرض، وحاز الأسلحة المتقدمة، فليس من الضروري أن يتحول الصراع إلى حرب أهلية، إذ إن عمليات التخريب وحرب العصابات تسهل عمل قواته النظامية وتمهِّد لها، كما أن إشراك السكان في المعركة ميزة لا يجب أن يضيعها.

****

السمات العامة للحرب الثَّوْرِيَّة:

1. الحَرْب الثَّوْرِيَّة عمل داخلي.
2. طويلة الأمد في الغالب.
3. هدف الأطراف كسب السكان.
4. الصراع فيها طبيعته سِيَاسِيَّة ووسائله متنوعة.
5. غير تقليدية من بدايتها حَتَّى نهايتها.
6. تتصاعد تدريجياً من السلام إلى الحَرْب.
7. يتحول المتمرد من الضعف إلى القوة على حساب مكافح التَّمَرُد.

****

سمات التَّمَرُّد:

1. **الاعتماد على الأيدلوجيا المستمدة من القضية.**
2. **تكتيكات مرنة تتميز بطابع الكر والفر واختيار الوقت والمكان المناسب للمعركة.**
3. **دعاية تعتمد على المراوغة والوعود.**
4. **لا يحتاج إلى موارد مادية كبيرة.**
5. **الرؤية السياسية والعَسْكَرِيَّة الموحدة تكسبه أفضلية على خصمه.**
6. **يركز على نشر الفوضى والقلاقل والتخريب كوسيلة أساسية لتحقيق النصر.**

****

سمات مكافح التَّمَرُّد:

1. **تفوق كبير مع وجود الاعتراف الدبلوماسي والإمكانية المادية الضخمة.**
2. **الحفاظ على الشرعية من خلال الحفاظ على الأمن.**
3. **عمليات تتسم بالجمود وضرورة الدفاع عن المرافق والمؤسسات.**
4. **تحتاج نجاحات حقيقية للرد على دعاية المتمردين.**
5. **تستهلك نفقات وموارد كبيرة.**
6. **التخلي عن بعض المساحات والأصول لمجاراة التَّمَرُّد.**

الفصل الثاني: الشروطُ المسبقةُ لتمردٍ ناجحٍ

الشكل (1): شروط نجاح التَّمَرُّد

يمكننا بسهولة أن نعزوَ سبب أحدث حركات التَّمَرُّد إلى الأوضاع الثَّوْرِيَّة الَّتِي ربما تكون قد انفجرت مسبقاً في شكل ثورات عفوية، ولكنها سرعان ما أفرزت مجموعة من القادة الَّذِينَ شرعوا بعد ذَلِكَ في تنظيم وإدارة التمردات. في ضوء هَذِهِ الحقيقة، سيكون من الخطأ والظلم الاستنتاج بأن حركات التَّمَرُّد هِيَ مجرد نتاج لطموحات شخصية من جانب قادتها الَّذِينَ طوَّروا الحركة بأكملها، بأيديهم، إذا جاز التعبير.

وللإيضاح، دعنا نفترض أن مجموعة صغيرة من الرجال الساخطين في البلد (س) يمتلكون سمات القيادة، المستوحاة من نجاح العديد من حركات التَّمَرُّد في السنوات العشرين الماضية، ويدركون جيدًا المشكلات الإستراتيجية والتكتيكية الَّتِي يكتنفها مثل هَذَا المشروع- اجتمعوا وقرروا الإطاحة بالنظام القائم عبر التَّمَرُّد، في البداية، وفي ضوء التفوق المادي لمكافحة التَّمَرُّد، ستعتمد فرصهم في النصر بشكل واضح على تحقق شروط أولية معينة، فما هِيَ هَذِهِ الشروط؟ وهل هِيَ ضرورية؟ وبمعنى آخر، ما هِيَ المتطلبات الأساسية لتمرد ناجح؟

إن الإجابة على هَذَا التساؤل من شأنها أن تساعد في تقييم، مدى ضعف بلد ما أمام التَّمَرُّد، من وجهة نظر مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

القَضِيَّة

ضرورةُ القضيَّةِ:

كيف يمكن للمتمرد أن ينجح في إبعاد السكان عن قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، للسيطرة عليهم، وتعبئتهم؟ من خلال إيجاد المؤيدين للتمرد من بين السكان، سيتراوح دعم هَؤُلَاءِ بين المشاركة النشطة في التَّمَرُّد -والتأييد السلبي- دون مشاركة، إن الحاجة الأساسية الأولى للمتمرد، الَّذِي يهدف إلى أكثر من مجرد إثارة المتاعب، هِيَ إيجاد "قضية جذابة"، لا سيما في ضوء المخاطر الَّتِي ينطوي عليها التَّمَرُّد، خاصة وأن المؤيدين الأوائل والداعمين النشطين- وليس بالضرورة نفس الأشخاص- يجب أن يُجنَّدوا عن طريق الإقناع.

بوجود "القضية"، يمتلك المتمرد رأس مال معنوي كبير، يمكنه تحويلها تدريجياً إلى قوة ملموسة. يمكن لمجموعة صغيرة من الرجال بلا "قضية جذابة" الاستيلاء على السلطة بمؤامرة يحالفها الحظ -وقد حدث هَذَا في التاريخ- لكن هَذِهِ المُؤَامَرَة ليست تمردًا. إن الافتقار إلى "قضية جذابة" هُوَ ما يمنع عصابات الجريمة غير السياسية بشكل تلقائي من محاولة تولي السلطة، لأنهم يدركون أن المجرمين فقط هم من سيتبعونهم.

كان التَّمَرُّد الشيوعي في اليونان، بين عامي 1945 و1950، حالة نموذجية لِكُلِّ ما يمكن أن يحدث بشكل خاطئ في التَّمَرُّد. إنه مثال على الفشل الَّذِي يرجع، من بين أسباب أخرى أقل أهمية، إلى عدم توافر "القضية الجذابة". خلال الحَرْب العالمية الثانية، تنامت "جبهة التحرير الوطنية الشيوعية EAM"، وذراعها العَسْكَرِيَّة "الجيش الديمقراطي اليوناني ELAS"، في اليونان، حينها كان جميع اليونانيين يقاومون الألمان. وبمجرد تحرير البلاد، لم يجد هَؤُلَاءِ أي سبب وجيه لإقناع الناس بمشروعهم.

كان القطاع الصناعي لدى اليونان محدودًا، وبالتالي لم يكن هناك بروليتاريا،[1] باستثناء عُمَّال مرفأ بيرايوس[2] ومصانع التبغ؛ ولم يستطع البحارة التجار، الَّذِينَ كَانَت وظائفهم تدفعهم للتنقل، أن يقدموا دعمًا مستمرًا لجبهة التحرير الوطنية الشيوعية. كما لم تكن ثمة مشكلة زراعية خطيرة لاستغلالها. بينما كان الرأسماليون اليونانيون الأثرياء -الَّذِينَ يستثمرون ثرواتهم في الخارج عادةً- موضع إعجاب لا كُره بالنسبة لشعبٍ ذي

---

[1] البروليتاريا مُصطَلَح يُستخدم لوصف طبقة العمال (خاصة العمال الصناعيين) الَّذِينَ تكمن قيمتهم المادية في قدرتهم على العمل، والبروليتاريا بالمفهوم الماركسي تختلف عن الطبقة العاملة التقليدية، فهي تضم فئات من جميع الشرائح الاجتماعية، وقد برزت في فترة تفسخ النظام الإقطاعي وظهور المجتمع الرأسمالي.

[2] مرفأ بيرايوس: هُوَ أكبر مرفأ في اليونان.

عقلية تجارية. كما لم يكن ثمة طبقية محددة بشكل بارز؛ فقد يكون وزير البحرية هُوَ ابن عم نادل في مقهى.

ومما زاد الطين بلة، أن الشيوعيين اليونانيين كانوا متحالفين مع بلغاريا بحكم الاضطرار، رغم أنها العدو التقليدي لليونان، ومع يوغوسلافيا الَّتِي تطالب بجزء من مقدونيا اليونانية؛ ومع ألبانيا الَّتِي تطالب اليونان بجزء من إقليم إبيروس. ومع ارتفاع المشاعر القومية كما هُوَ الحال في البلقان، فشلت جبهة التحرير في تعزيز شعبية الشيوعيين اليونانيين.

ومن الناحية العَسْكَرِيَّة، تمكَّنَ المتمردون الشيوعيون، باستخدام القوات الَّتِي كَانَت لديهم في نهاية الحَرْب، وبالاستفادة من التضاريس الصعبة، والانسحاب إلى ملاذ آمن عبر الحدود عند الضرورة، من شن عمليات كوماندوس، ولكن ليس حرب عصابات حقيقية؛ وفي الواقع، كان على وحداتهم المتسللة الاختباءَ من السكان عندما لا يأمنونهم، وتوقف استمرار عمليات هَؤُلَاءِ المتسللين على ما يحملونه معهم من طعام وذخيرة فإذا نفدت انسحبوا، ثُمَّ اضطر المتمردون في اليونان لتجنيد السكان إلزامياً، فلم يدَّخر هَؤُلَاءِ المجنَّدون المكرَهون فرصة للفرار كلما وجدوا إليه سبيلاً، فإذا لمسوا أن المفوَّضين السياسيين ورائهم أقل خطراً من القوات الَّتِي يواجهونها أمامهم فروا وانشقوا إلى السلطات.

كان السبب الرئيسي لاستمرار التَّمَرُّد لفترة طويلة هُوَ أن القوات الحكومية النظامية، في البداية، كَانَت تتألف من لواء واحد فقط، كان قد قَاتَلَ مع الحلفاء في مسرح البحر الأبيض المتوسط، وفاق المتمردون اللواءَ عدداً بشكل كبير، لكن، حالما أُعِيدَ تنظيم الجيش وتقويته، أولاً بالتعاون مع البريطانيين، ثُمَّ بمساعدة الولايات المتحدة، تعهدت القيادة القومية بتطهير البلاد، من خلال العمل العسكري البحت، واستطاعت السلطات تطهيرَ بقعة من البلاد من خلال تسليح ميليشيات محلية، حَيْثُ لم تجد صعوبة بالغة في ذَلِكَ لأن السكان كانوا معادين للشيوعية بشكل واضح وبالإمكان الاعتماد عليهم.

المعايير الإستراتيجية لـ "القضية"

إن أفضل "قضية" لتحقيق أهداف المتمرد هِيَ الَّتِي -وفق تعريفنا- يمكنها جذب أكبر عدد من المؤيدين ومواجهة أقل عدد من المعارضين، وبالتالي، فالقضية الَّتِي تنادي البروليتاريا بها في بلد صناعي (أو للفلاحين في بلد نامٍ) هِيَ قضية جيدة.

إن حركة الزنوج البحتة الَّتِي تحاول استغلال مشكلة الزنوج كأساس للتمرد في الولايات المتحدة (الَّتِي يبلغ عدد سكانها عشرين مليون زنجي ومئة وستين مليون من البيض) محكوم عليها بالفشل منذ البداية، بينما في جنوب إفريقيا (حَيْثُ يوجد أحد عشر مليون زنجي وأربعة ملايين من البيض)، ستكون فرصها جيدة بغض النظر عن عوامل أخرى.

وكان الاستقلال عن الحكم الاستعماري بطبيعة الحال قضية مناسبة لحركات التَّمَرُّد في إندونيسيا والهند الصينية وتونس والمغرب والجزائر وقبرص والكونغو البلجيكية والآن أنغولا.

يجب أن يكون المتمرد، بالطبع، قادرًا على تقديم نفسه بما يتناسق تمامًا مع القضية، أو بشكل أكثر دقة، مع الأكثرية السكانية الَّتِي تنجذب إليه نظريًا. ففي مالايا، كان الاستقلال عن بريطانيا العظمى هُوَ القضية الَّتِي اختارها المتمردون، "الحزب الشيوعي الماليزي". ومع ذَلِكَ، كان 90% من أعضاء الحزب صينيي الأصل، لا ماليزيين، لذا لم يبالِ الملايو بِهَذَا النضال.

وتكررت نفس الحالة في كينيا (فيما لو صنَّفنا ما حدث هناك على أنه حرب ثورية؛ فقد نُفِّذَ التَّمَرُّد بطريقة فجة إلى حد جعل تصنيفها ضمن هَذِهِ الفئة أمرًا مشكوكًا فيه)، حَيْثُ لم يدعم الاستقلالُ سوى أفراد قبيلة الكيكويو[1]، دون أن تتحرك أي قبيلة أخرى لدعمها.

> ولكي تكون "القضية" سليمةً تمامًا، يجب ألا تتمكن قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد من تبنِّيها أيضًا، أو أن تشكل خطرًا على نفوذها وسلطتها فيما لو تبنَّتها، وهُوَ في النهاية الهدف الَّذِي يكافح المتمردون من أجله.

[1] الكيكويو: هم أكثر الجماعات العرقية انتشاراً في كينيا، ويشكلون حوالي 22% من إجمالي عدد السكان.

في الفلبين، بدا الإصلاح الزراعي قضيةً بارزةً لمتمردي الجيش الشعبي بعد هزيمة اليابان في الحَرْب العالمية الثانية واستقلال البلاد، ولكن عندما عرضت الحكومة الأراضي على أنصار المتمردين الفعليين والمحتملين، فقدَ المتمردون قضيتهم وخسروا اللعبة، وتكرر الأمر نفسه مع الحزب الشيوعي في ملايو، بمجرد أن وعدت بريطانيا باستقلال البلاد وحددت موعدًا لذلك.

في النهاية، يجب أن تكون "القضية" أيضاً دائمة، إن لم يكن طوال فترة الحَرْب الثَّوْرِيَّة، فعلى الأقل حَتَّى تبلغ حركة التَّمَرُّد مرحلة من القوة الفاعلة، وهَذَا ما يُمَيِّز "القضية الإستراتيجية" عن "القضية التكتيكية"، فالأولى قضية عميقة الجذور والثانية قضية مؤقتة ناتجة عن استغلال ظرف طارئ سريع الزوال، كارتفاع الأسعار وندرة الغذاء بعد عام من الكوارث الطبيعية.

طبيعةُ القَضِيَّةِ:

ما هِيَ المشكلة السياسية؟ وفقًا "لماو تسي تونغ"، تُعرَّفُ المشكلة السياسية على أنها "تناقض لم يُحل"، فإذا قبلَ المرءُ هَذَا التعريف، فهَذَا يعني أن القضية السياسية هِيَ مُناصَرة جانب واحد من التناقض. بمعنى آخر: حَيْثُ لا توجد مشكلة، لا توجد قضية، ولكن المشكلات موجودة دائمًا في أي بلد. غير أن ما يجعل دولة ما أكثر عُرضَةً من غيرها للتمرد هُوَ عمق وخطورة مشكلاتها الراهنة.

والمشكلات على مختلف أنواعها قابلة للاستغلال في التَّمَرُّد، بشرط أن تُؤدي الأسباب إلى استيفاء المعايير المذكورة أعلاه. وقد تكون المشكلة سِيَاسِيَّة في الأساس، وتتعلق بالوضع الداخلي أو الخارجي للبلد. فدكتاتورية باتيستا بالنسبة للمتمردين الكوبيين، والهجوم الياباني على الصينيين، هِيَ أمثلة على هَذِهِ المشكلات السياسية.

بناء على ذَلِكَ، إن أي بلد تمارس فيه القوة لفرض حكم الأقلية، سواءً أكانت أجنبية أم من أبناء هَذَا البلد، تُمَثِّلُ أرضيةً محتملةً لحرب ثورية.

وقد تكون المشكلة اجتماعية أيضًا، كما هُوَ الحال عندما تُستَغَلُ فئة من قبل طبقة أخرى، أو تُحرَم من حقوقها وتُمنَع من تحسين أوضاعها. وقد نوقشت هَذِهِ المسألة باستفاضة منذ كارل ماركس،[1] وليس هَذَا مجال تفصيلها، لكن هَذِهِ المشكلة تزداد خطورتها عندما لا يتبوأ المثقفون وذوي الإنجازات المكانةَ الاجتماعية اللائقةَ بهم، ولا يجدون أنفسهم ضمن النخبة الحقيقية، فمن بين هَذِهِ النخبة المنبوذة يمكن أن يحصل المتمردون على القادة الَّذِينَ يحتاجونهم بشدة.

وقد تكون المشكلة اقتصاديةً، كانخفاض أسعار المنتجات الزراعية بالنسبة للسلع الصناعية، أو انخفاض سعر المواد الخام بالنسبة للمنتجات النهائية، أو استيراد السلع الأجنبية بدلاً من تطوير صناعة وطنية. وترتبط قضية الاستعمار الجديد اليوم ارتباطًا وثيقًا بِهَذِهِ المشكلة.

> وقد تكون المشكلة عنصرية، كما هُوَ الحال في جنوب إفريقيا. أو دينية، كما هُوَ الحال في لبنان، رغم أن اللبنانيين منقسمون بالتساوي بين المسيحيين والمسلمين. أو ثقافية، كما هُوَ الحال في الهند، حَيْثُ أدى تعدد اللغات بالفعل إلى إثارة قدر كبير من المشكلات.

بل قد تكون المشكلة مُفتَعَلَةً أيضًا، طالما أن هناك فرصة لفرضها كحقيقة وأمر واقع. فقد كان واقع المزارعين الصينيين بلا شك صعبًا -حَيْثُ كانوا ضحايا ابتزاز السلطات وجشع المرابين المحليين- لكن الشيوعيين الصينيين لم يستغلُّوا هَذِهِ المشكلة، بل كَانَت قضيتهم الرئيسية هِيَ الإصلاح الزراعي، مستوحاةً من "سون يات سين".[2] تكمن القيمة الثَّوْرِيَّة لِهَذِهِ القضية في كون ملكية الأراضي تتركز في يد أقلية صغيرة، لذا فإن حربًا طبقية حولها كَانَت ستجلب إلى جانبهم نظريًا أغلب المزارعين. يناقض التصور الشيوعي عن الوضع الصورة الحقيقية الشاملة الَّتِي قدمها جون لوسينغ باك[3] حول موضوع "حيازة

---

[1] كارل ماركس (1818- 1883) فيلسوفٌ ألماني وناقدٌ للاقتصاد السياسي ومؤرخ وعالم اجتماعٍ ومنظرٌ سياسي وصحفي وثوري اشتراكي؛ من أشهر كتاباته (البيان الشيوعي) و(رأس المال) بأجزائه الثلاثة. كان لفكره السياسي والفلسفي تأثير هائل على التاريخ الفكري والاقتصادي العالمي واستُخدم اسمه للتعبير عن مدرسةٍ فكرية كثيرة التطورات وهِيَ المدرسة الماركسية.

[2] قائد سياسي وفيلسوف ومنظر ثوري صيني. قام سين عام 1912م بتشكيل حكومة مؤقتة في الصين بعد الإطاحة بأسرة تشينج الَّتِي حكمت الصين من عام 1644م حَتَّى عام 1911م، وأعلن قيام الجمهورية في الصين عام 1913م.

[3] "استغلال الأراضي في الصين"، جون لوسينغ باك (لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، (1937): استند على تحقيقات أجريت بين عامي 1929- 1933 في ست عشرة ألف وسبعمئة وست وثمانين مزرعة، ومئة وثمانية وستين منطقة محلية، ومئة وأربع وخمسين مقاطعة، واثنتين وعشرين محافظة. يُبين الجدول النسب المئوية للمزارعين الَّذِينَ كانوا مُلَّاكاً، وأصحابًا جزئيين، ومستأجرين: الملّاك: 54.2٪، الملاك الجزئيون: 39.9٪، المستأجرون: 5.9٪.

الأراضي في الصين"، (حَيْثُ أثبت في دراسته أن الأراضي في الصين معظمها ملك للمزارعين وليس للأقلية الحاكمة) لكن هَذَا التناقض لم يُنقِص في الحد الأدنى من القيمة النفسية لشعار "الأرض لمن يحرثها"، فيمكن لآلة الدعاية الفعَّالة أن تُحوِّلَ مشكلة مُفتَعَلة إلى مشكلة تفرض نفسها كأمر واقع.

لا يلزم تمامًا أن تكون المشكلة شديدة الوضوح، بالرغم من أن من شأن هَذَا تسهيل عمل المتمردين في هَذِهِ الحالة. فإذا كَانَت المشكلة ما تزال غير ناضجة فعلى المتمردين جعلها أكثر وضوحًا من خلال "رفع الوعي السياسي للجماهير".

قد يكون الإرهاب وسيلة سريعة لإحداث هَذَا التأثير، إذ لم تتحول ديكتاتورية باتيستا في حد ذاتها فجأة لمشكلة كبيرة بالنسبة للشعب الكوبي، فقد عاشوا في ظل دكتاتوريات أخرى في الماضي، بما في ذَلِكَ نظام باتيستا السابق. كما كَانَت البلاد مزدهرة في العام 1958، على الرغم من وجود تفاوت كبير في توزيع الثروة الوطنية. وربما كان من الممكن أن يستمر حكم باتيستا لسنوات عديدة أخرى لولا كاسترو وأتباعه، الَّذِينَ أثاروا القضية بشكل مذهل وضمَّوا جهود المعارضة الضعيفة إلى حركتهم.

في منطقة القمح بشمال الصين، حَيْثُ النفوذ الشيوعي الراسخ، كَانَت النسب كما يلي: الملاّك: 76.1٪، الملاك الجزئيون: 21.8٪، المستأجرون: 2.1٪.

يعطي الجدول 23 متوسط مساحات المزارع (بالهكتار) حسب فئة الملكية. في منطقة القمح: الملاك: 2.25، الملاك الجزئيون: 2.25، المستأجرون: 2.0.

يعطي جدول آخر الأرقام والنسب المئوية لحجم المزارعين في كُلّ فئة حجمية. منطقة القمح: صغير جدًا: 2، صغير: 24، متوسط: 34، متوسط كبير: 17، كبير: 12، كبير جدًا: 9، كبير جدًا جدًا: 2، كبير جدًا جدًا جدًا: 0.

كَانَت الإجراءات الشيوعية الصينية بشأن توزيع الأراضي، استنادًا إلى تقرير ليو شاو تشي في يونيو 1950، كما يلي: يمتلك أصحاب العقارات والفلاحون، الَّذِينَ يمثِّلون أقل من 10% من سكان الريف، ما بين 70% إلى 80% من مجموع الأراضي، في حين يمتلك الفلاحون الفقراء والعمال الزراعيون والفلاحون المتوسطون، الَّذِينَ يمثلون حوالي 90% من سكان الريف، من 20% إلى 30% فقط من الأراضي..." (الافتتاحية في Jen-min Jih-Pao، كما هُوَ مقتبس في C.K Yang ، "قرية صينية في مرحلة التحول الشيوعي المبكر"، Mass: The Technology Press، Massachusetts Institute of Technology، 1959).

التلاعبُ التكتيكيُّ بالقضيةِ:

لا يقتصر المتمرد على اختيار قضية واحدة. فإذا لم يجد قضية شاملة، كمعاداة الاستعمار، والَّتِي تكون كافية في حد ذاتها لكونها تجمع بين جميع القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعرقية والدينية والثقافية الموصوفة أعلاه، فإنه سيكسب الكثير من خلال اختيار مجموعة متنوعة من القضايا المصممة خصيصًا للمجموعات المختلفة في المجتمع والَّتِي يسعى إلى جذبها.

لنفترض أن الحركة الثَّوْرِيَّة تتكون مبدئيًا، كما كَانَت في الصين، من الحزب الشيوعي ("طليعة الثَّورَة، حزب العمال والفلاحين الفقراء") وحلفائه (الفلاحون المتوسطون والأغنياء والحرفيون، بالإضافة إلى "البرجوازية الوطنية" والرأسماليين الَّذِينَ يعانون من "الرأسمالية البيروقراطية" ومن التعدِّيات الاقتصادية للإمبرياليين). على المتمرد في هَذِهِ الحالة أن يناشد الكل ويستثيرهم جميعًا ويفجر طاقاتهم، والقضية ضرورية لذلك.

ونظرًا لسهولة الاتحاد "ضِدّ" بدلاً من "من أجل"، خاصةً عندما تكون المُكوِّنات متنوِّعة جدًا، فمن المحتمل أن تكون القضية العامة سلبيَّة، كـ "التخلص من الأوغاد" (الأوغاد في هَذِهِ الحالة: الحزب القومي الصيني، أمراء الحَرْب الإقطاعيون، "الرأسمالية البيروقراطية"، البرجوازيون "الكلاب الجريئة للإمبريالية"، ومُلَّاك الأراضي). وكما يجب على التَّمَرُّد أن يستثمر جهود كُلّ مكونات الحركة وطاقاتهم، يجب عليه أيضاً أن يناشد كُلّ مكون من مكونات الحركة في إطار قضية قد تشتمل على عدة عناصر بنّاءة: فالجماهير يهمها الحصول على مجتمع ماركسي؛ والمزارعون الفقراء يهمهم الحصول على الأرض؛ والمزارعون المتوسطون تهمهم ضرائب عادلة؛ والمزارعون الأغنياء تهمهم تسوية عادلة ومعقولة ودائمة، والبرجوازيون الوطنيون يهمهم الدفاع عن المصالح الوطنية المتمثلة في: النظام، الضرائب العادلة، تنمية التجارة والصناعة، والحماية من المنافسة الإمبريالية.

لا شيء يُلزم المتمردين بالتمسك بنفس القضية إذا ما وجدوا قضية أخرى أجدى. وهكذا، في الصين، اتخذ الشيوعيون في البداية الموقفَ الماركسي الكلاسيكي لصالح العمال (1921-1925). ثُمَّ تبنَّوا بنشاط القضية الوطنية للحزب الوطني الصيني، من أجل اتحاد الصين ضِدّ أمراء الحَرْب (1925-1927). وبعد انشقاق الحزب الوطني، أهملوا العمال إلى حد

كبير لصالح الفلاحين الفقراء، ودعوا إلى الإصلاح الزراعي بطرق جذرية (1928-1934).

ثُمَّ أصبح العدوان الياباني القضية المركزية في الصين، وشكَّل الشيوعيون جبهة وطنية مُوحَّدَة ضِدّ اليابان (1927-1945)، معتمدين في الوقت نفسه سياسة زراعية معتدلة: فأنهوا إعادة توزيع الأراضي، وبدلاً من ذَلِكَ، فرضوا ضوابط صارمة. على الإيجارات وأسعار الفائدة، وبعد استسلام اليابان، عاد الشيوعيون أخيراً إلى الإصلاح الزراعي، واشترطوا أن يتمتَّع أصحاب العقارات بحق الحصول على حصة من الأرض (1945-1949).

في الحقيقة، ما فعله الشيوعيون بعد انتصارهم، بين عامي 1950 و1952، هُوَ أنَّهم نفَّذوا إصلاحات ملكية الأراضي "من خلال النضال العنيف" بهدف افتعال حرب طبقية بين سكان الريف، وبالتالي، أجبروا النشطاء على العمل إلى جانبهم، لا لشيء إلا لأنهم شاركوهم مُسبقًا في جرائمهم. وبمجرد تحقيق ذَلِكَ، تخلص الشيوعيون من قضية الإصلاح الزراعي للأبد وبدأوا بنزع الملكية من الجميع وتأميمها لصالح الدولة.

لذا، فإذا كَانَت المثالية والوازع الأخلاقي يدفعان صاحبهما نحو موقف ثابت، فإن التكتيكات العملية تتيح له مجالاً من المناورة.

تناقصُ أهميةِ القضيةِ:

مع اكتساب المتمردين القوة، تتناقص أهمية القضية بشكل تدريجي، بعد أن كَانَت ضرورية بشكل أساسي في بداية التَّمَرُّد. لقد أصبحت الحَرْب نفسها هِيَ القضية الرئيسية، مما يجبر السكان على الانحياز إلى جانب واحد، وعادة ما يفضلون الطرف المنتصر. وقد شرحنا ذَلِكَ بالفعل في الفصل السابق.

ضعفُ مُكَافَحَة التَّمَرُّدِ

لنفترض الآن أن مجموعتنا الصغيرة من قادة المتمردين في الدولة "س" قد وجدت العديد من القضايا الجيدة، بعضها واضح الخطورة وبعضها غامض، وبعضها مصطنع، ليؤسسوا تمردهم عليها، وقد اتفقوا جميعًا على برنامج فعال. إلا أن هَذَا لا يخوّلهم البدء بالتمرد، فثمة شرط مهم آخر عليهم تحقيقه. فالمتمرد، الَّذِي يبدأ من الصفر تقريبًا بينما لا يزال لدى عدوه كُلّ الوسائل المتاحة، يكون ضعيفًا كالطفل حديث الولادة. فلا يستطيع أن يعيش وينمو بدون نوع من الحماية، ومن غير مُكَافَحَة التَّمَرُّد نفسها يستطيع حمايته؟ لذا، يجب أن نحلل العوامل الَّتِي تجعل النظام السياسي مقاومًا للأخطار.

نقاطُ القوةِ والضعفِ في النظامِ السياسيِّ:

1. غياب المشكلات: إن دولة تخلو من المشاكل المستعصية تتمتع بشيء من حسن الحظ، وتكون مُحصَّنة بشكل واضح من محاولات التَّمَرُّد. ولكن بما أننا افترضنا أن زعماء المتمردين المحتملين قد وجدوا "قضية"، فلنستبعد هَذِهِ البلدان من اعتبارنا (إن وجدت).

2. التوافق الوطني: تعتمد صلابة النظام في المقام الأول على هَذَا العامل. فقد تعيش تايلاند في ظل حكم ديكتاتوري أو نظام ديمقراطي، لكن إجماعها الوطني المهتم بالشأن العام، وَالَّذِي يدفع التايلانديين بقوة للتفاعل مع أي تهديد يستهدف نظامهم وأسلوب حياتهم؛ دائمًا ما كان يعزز سلطة النظام الحاكم، وحَتَّى اليوم. وفي المقابل، يغيب هَذَا التوافق الوطني عن حكومة ألمانيا الشرقية.

3. صمود القيادة المناهضة للتمرد: الحزم والثبات عامل رئيسي في أي نوع من أنواع الصراع، وبشكل خاص في الحَرْب الثَّوْرِيَّة، وذَلِكَ لأسباب هِيَ:

   أ- أن المتمرد يحصد الفائدة الأولية من أي قضية ديناميكية.

   ب- أن التَّمَرُّد لا يتحول فجأة إلى خطر قومي، لذا تكون ردود فعل الناس عليه بطيئة. وبالتالي، فإن دور قادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد هُوَ الدور الأساسي في هَذِهِ المرحلة.

4. معرفة قادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد بقواعد حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد: قد لا يكون ثبات القيادة المناهضة للتمرد كافيًا، لذا يجب أن تكون على دراية بالإستراتيجيات والتكتيكات

المطلوبة لمحاربة التَّمَرُّد. لا يمكن التشكيك في عزم الجنرال شيانج كاي شيك،[1] فقد أثبت ذَلِكَ في مواجهة اليابان ولم يزل يُظهِرهُ في تايوان، لكن هل تعامل مع أساليب الشيوعيين كما ينبغي؟

5. أدوات السيطرة على السكان: هناك أربع أدوات رقابية مهمة في حالة الحَرْب الثَّوْرِيَّة: النظام السياسي، والبيروقراطية الإدارية، والشرطة، والقوات المسلحة.

الشكل (2): أدوات سيطرة مكافح التَّمَرُّد على السكان

أ. <u>النظام السياسي:</u> إذا كَانَت الدولة "س" محكومة بنظام شمولي، حَيْثُ لا تسامح مع المعارضة السياسية، ويعيش السكان في ظل نظام من الإرهاب والشك المتبادل، فإن المجموعة الأولى من المتمردين لا تمتلك فرصة للتطور؛ وفي أحسن الأحوال، ستكون قادرة على البقاء في ظل سرية تامة، وبالتالي لا تقوم بأي نشاط يذكر بانتظار ظروف أفضل.

نظرًا لوجود أشخاص يحلمون بإطلاق العنان لحركات التَّمَرُّد في بعض البلدان الشيوعية "ألا يكره الناس النظام هناك؟"، قد يكون من المفيد إعطاء فكرة عن مدى السيطرة الَّتِي

[1] شيانج كاي شيك (1887- 1975)، قائد سياسي وعَسْكَرِيّ صيني تولى رئاسة الحزب الوطني الصيني بعد وفاة صن يات سين عام 1925 وقاد الحكومة الوطنية لجمهورية الصين بين عامي 1928 و1975، وقاد (حملة الشمال) لتوحيد الصين ضِدّ أمراء الحَرْب والَّتِي أدت لأن يصبح رئيس جمهورية الصين عام 1928.

حققتها الأساليب الشيوعية على السكان بالإرهاب والشك المتبادل، الَّذِي كان الصينيون الحمر أسياده في الماضي.

في عام 1954، رأى رجل في مدينة كانتون، عاصمة محافظة غواندونغ الصينية، جارته العجوز الصينية تطعم قطتها بعض الرز.

- **قَالَ لها الرجل: "أنا آسف، لكنني سأكون مضطرًا للإبلاغ عنك لدى السلطات".**
- **"لماذا؟" سألت السيدة العجوز.**
- **"لأن الأرز يتم تقنينه وأنت تهدرينه على قطتك."**
- **"إذا أبلغت عني، فسيقطعون حصتي من الأرز، لم لا تبقى صامتًا وحسب؟"**
- **"افترضي أن شخصًا آخر رآك وأبلغ عنك. ماذا سيحدث لي حينها وأنا جارك؟ أنا صديقك، وإذا منعوا عنك حصتك الغذائية، فسأعطيك نصف حصتي ".**

هَذَا بالضبط ما حدث، في المدينة الَّتِي كَانَت سطوة الشيوعيين الصينيين فيها -وفقًا لبعض الزوار الغربيين- دون غيرها من المدن الأخرى في الصين.

في نهاية عام 1952، طُرد أوروبي من جزيرة هاينان الصينية، حَيْثُ عاش لسنوات عديدة. وعند وصوله إلى هونغ كونغ، أفاد بأن الفلاحين "يكرهون" النظام، وقدم أدلة مُقنِعَة على ذَلِكَ. وذكر لاحقًا أن القوميين حاولوا مرتين القيام بعملية إنزال عملاء لهم في منطقته من تايوان. وفي كُلّ مرة، تسمع الميليشيا المناوبة ليلاً (والمُشكَّلَة من الفلاحين أنفسهم) قدوم الطائرات، وترى هبوط المظلات، تعطي على الفور إنذارًا بذلك، ويحاصر المئات منهم عملاء القوميين فتفشل العملية.

فقيل لِهَذَا الأوروبي: "ألا ترى تناقضًا بين تصريحك بشأن مشاعر الفلاحين تجاه النظام وموقف رجال الميليشيات، الَّذِينَ هم فلاحون أيضًا؟ لماذا لم يصمتوا؟ "

فرد موضحًا: "ضع نفسك مكان أحد رجال الميليشيات هَؤُلَاءِ، كيف له أن يعرف ما إذا كان أعضاء الميليشيا الآخرون لن يصدروا إنذارًا؟ إذا فعلوا ذَلِكَ ولم يفعل، فسيقع في ورطة كبيرة عندما تُحَقِق الكوادر الشيوعية في الحادثة كالعادة".

في يوليو/حزيران 1953، وأثناء الحَرْب الكورية، قرر القوميون شن غارة على البر الرئيسي للصين، واختاروا شبه جزيرة تونغشان الصغيرة هدفًا لهم، والَّتِي يمكن رؤيتها من ساحل فوكيان، وتتحول تونغشان إلى جزيرة عند ارتفاع المد. كَانَت الحامية الشيوعية

مكوَّنة من كتيبة نظامية بالإضافة إلى ميليشيا من ألف رجل من السكان المحليين. واعتقد القوميون أن رجال الميليشيا لن يشكلوا أي خطر حقيقي، حَيْثُ أشارت كُلّ المعلومات الاستخباراتية المتاحة إلى أن السكان قد سئموا تمامًا من الشيوعيين. وتمثلت الخطة في إنزال فوج من المظليين لتحييد الكتيبة الشيوعية والسيطرة على الممر الواصل بين الجزيرة والبر الرئيسي لمنع وصول التعزيزات، ليتبع ذَلِكَ إنزال برمائي للقضاء على المقاومة.

لكن، وبسبب سوء التقدير في حساب المد المحلي، تأخر الإنزال البرمائي، وتحمل المظليون من القوميين وطأة المقاومة وحدهم، ليتم القضاء عليهم عمليًا. حينها قاتل رجال الميليشيا كالشياطين، فهل كان بإمكانهم أن يتصرفوا بطريقة أخرى وهم يعرفون أن هجوم القوميين كان مجرد غارة؟

إن ضبط هَذَا الأمر يستبعد إمكانية بدء تمرد ما، فطالما تنتشر ثقافة التجسس والوشاية فسيتم الإبلاغ عن كُلّ خطوة أو حادثة غير عادية والتحقق منها. وطالما أن الآباء يخشون التحدث أمام أطفالهم، فكيف لهم أن يجروا الاتصالات مع المتمردين وينشروا أفكارهم ويقوموا بالتجنيد لصالحهم؟

إن الممكن هُوَ القيام بعمل إرهابي بشكل محدود، فالرجل بمفرده، وإن كان معزولاً كلياً، يستطيع أن يقوم بعملية إرهابية، كحالة "المُفجِّر المجنون" في شوارع نيويورك. لكن الإرهاب نفسه أقل قيمة بكثير من الدعاية الَّتِي يُتوقع أن ينتجها، ومن غير المؤكد، إلى حد ما، أن تقدم السلطات الشيوعية هَذِهِ المادة الدعائية برضاها.

ثمة تكتيك آخر لا يزال ممكناً، وقد استخدمه الشيوعيون في اليونان، وهُوَ الغارات السريعة، حَيْثُ تكون الظروف والتضاريس مواتية.

في المقابل، إذا سادت الفوضى في البلد، فسيحصل المتمرد على جميع التسهيلات الَّتِي يحتاجها لعقد اللقاءات والتنقل بين المناطق والتواصل مع السكان والتعريف ببرنامجه والبحث عن طلائع المؤيدين لتمرده وتنظيمهم، وتلقي وتوزيع الأموال، أو التحريض على التخريب أو شن حملة إرهابية واسعة النطاق.

بين هذين الطرفين توجد مجموعة واسعة من الهياكل السياسية الَّتِي تُسهِّل بدرجات متفاوتة مهمة المتمرد أو تعيقها: دكتاتورية بنظام الحزب الواحد، ديكتاتورية لا علاقة لها بالقواعد الشعبية، ديمقراطية صارمة، ديمقراطية متراخية، إلخ..

ب. <u>البيروقراطية الإدارية:</u> تُسيرِّ البيروقراطية حياةَ الدولة اليومية، الَّتِي تتمتع بقوة خاصة لا علاقة لها أحيانًا بقوة أو ضعف القيادة السياسية العليا. كَانَت القيادة الفرنسية، في ظل الجمهوريتين الثالثة والرابعة، ضعيفة، بينما كان جهازها الإداري قويًا؛ ولكن الحال يبدو مغايرًا في جنوب فيتنام اليوم. وبما أن التَّمَرُد حركة من الأسفل إلى الأعلى، فإن الفراغ الإداري في الأسفل، والبيروقراطية غير الكفؤة، هِيَ عوامل تصب في مصلحة المتمردين.

يمكن أخذ حالة الجزائر كمثال لذلك. لقد كان معلومًا أن إدارة البلاد قد قُوضت عشية التَّمَرُد، ليس لأن موظفي الخدمة المدنية كانوا غير أكفاء بل لأن تماسك المؤسسة البيروقراطية غير مرتبط بحجم البلاد وعدد سكانها. تمتد الجزائر (باستثناء الصحراء) لأكثر من 650 ميلاً على طول البحر الأبيض المتوسط و350 ميلاً داخلياً، وتبلغ مساحتها 115,000مئة وخمسة عشر ألف ميلٍ مربعٍ، ويبلغ عدد سكانها عشرة ملايين وخمسمئة ألف نسمة، منهم مليون ومئتي ألف من أصل أوروبي.

تحت حكم الحاكم العام في الجزائر العاصمة، قُسِّمَ الإقليم إلى ثلاث مقاطعات بمقاعد في وهران والجزائر العاصمة وقسنطينة، يحكم كُلّ منها حاكم يساعده عدد كبير من الموظفين. وقسمت المقاطعة بدورها إلى محافظات فرعية؛ على سبيل المثال، في ولاية الجزائر العاصمة، كَانَت هناك محافظة القبائل، ومقرها في تيزي وزو. تتكون منطقة القبائل من خمسة آلاف ميل مربع من التضاريس الجبلية الوعرة، ويبلغ عدد سكانها مليون ومئتي ألف نسمة، 90٪ منهم من المسلمين.

كَانَت البلدية هِيَ الطبقة الدنيا في المناطق ذات الغالبية المسلمة، يديرها حاكم فرنسي مع مساعد أو اثنين من المساعدين وخمسة من رجال الدرك؛ فبلدية تقزيرت مثلاً تقع في منطقة القبائل، تبلغ مساحتها ثلاثين ميلاً في عشرين ميلاً، ويبلغ عدد سكانها ثمانين ألف نسمة.

ودون مرتبة البلدية كان "الدوّار"، وهُوَ تجمع قروي تتجسد قوة الدولة فيه بـ "شرطة الريف"، وهِيَ عبارة عن رجل شرطة ريفي محلي مسلح بمسدس قديم في محفظة تحمل علامة نحاسية محفور عليها كلمة: "القانون". وتبلغ مساحة هَذَا الدوار قرابة عشرة أميال في ستة أميال، ويبلغ عدد سكانه خمسة عشر ألف قروي.

وفي ظل هَذَا الوضع، كان لدى المتمردين فرصة ذهبية.

ج. الشرطة: وهِيَ عين وذراع الحكومة في جميع الأمور المتعلقة بالنظام الداخلي، كما أنها عامل رئيسي في المراحل الأولى من التَّمَرُّد. فالشرطة أول كيان مناهض للتمرد يجب تحييده.

تعتمد كفاءة الشرطة على قوتها العددية، وكفاءة أعضائها، وولائهم للحكومة، وأخيراً وليس آخراً، على الدعم الَّذِي يتلقونه من الفروع الأخرى للحكومة لا سيما النظام القضائي. إذا استفاد المتمردون، بالرغم من تحديد هوياتهم واعتقالهم من قبل الشرطة، من العديد من الضمانات العادية الموجودة في النظام القضائي، وأُطلق سراحهم، فلن تستطيع الشرطة حينها فعل الكثير. فالتكيف الفوري للنظام القضائي مع الظروف الاستثنائية للتمرد، أو أي مشكلة ذات تهديد في أحسن الأحوال، ضرورة مُلحَّة.

قد تكون الجزائر مرة أخرى مثالاً يُحتذى به. ففي العام 1954، كان إجمالي قوة الشرطة أقل من خمسين ألفٍ، وَالَّذِي بالكاد يتجاوز عديد الشرطة في مدينة باريس وحدها. وعندما كان التَّمَرُّد يتصاعد، أطلقت الشرطة الجزائرية إنذارات في الوقت المناسب، لكن السلطات لم تلتفت لها آنذاك. وبعد مرور عام على اندلاع التَّمَرُّد، منحت الجمعية الوطنية الفرنسية الحكومةَ في النهاية "الصلاحيات الخاصة" المطلوبة للتعامل مع الوضع. لكن، وبحلول ذَلِكَ الوقت، كَانَت الشرطة -ولا سيما أفرادها المسلمون- قد دخلت في حالة من الفوضى.

د. القوات المسلحة: بغض النظر عن عوامل القوة المطبقة على القوات المسلحة في جميع الحُرُوب، فإن العوامل ذات الصلة بالحرب الثَّوْرِيَّة هِيَ:

أولاً: القوة العددية للقوات المسلحة بالنسبة لحجم البلد وعدد سكانه.

فالتمرد حرب ثنائية الأبعاد تُخاض من أجل السيطرة على السكان. فلا توجد جبهة محددة، ولا منطقة خلفية آمنة، ولا يمكن التخلي عن منطقة أو شريحة كبيرة من السكان لفترة طويلة (ما لم يكن من الممكن الوثوق بالسكان للدفاع عن أنفسهم). ولذا، فليس من الغريب تخصيص عشرة أو عشرين عنصرًا من قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد لِكُلِّ متمرد، خاصة مع تحول التَّمَرُّد إلى حرب عصابات.

لم تقترب القوات الفرنسية في الهند الصينية من هَذِهِ النسبة، وهِيَ حقيقة تُفسِّر، أكثر من أي شيء آخر، سبب عجز الفرنسيين عن الانتصار هناك بقيادة نابليون، بغض النظر عن قوة القضية القومية في البداية.

ثانيًا: تكوين القوات المسلحة.

تتطلب الحَرْب التقليدية اليوم قوة حديثة ومتوازنة بمكوناتها الجوية والبحرية والبرية. لكن الحَرْب الثَّوْرِيَّة هِيَ في الأساس حرب مشاة. ومن المفارقات، أنه كلما كَانَت قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد أقل تطوراً، كان أداؤها أفضل.

لم تكن وحدات الناتو الفرنسية مجدية في الجزائر، فكان لا بد لهم من التخلي عن معداتهم الحديثة، وتحويل المهندسين المتخصصين أو وحدات الإشارة إلى مشاة عاديين بأسرع وقت. فمن المستبعد أن يقوم المتمردون بعمليات بحرية، لذا فكل ما تحتاجه البحرية هُوَ القوة الكافية لإغلاق الخط الساحلي بشكل فعال. أما بالنسبة للقوة الجوية، الَّتِي لا يستطيع المتمردون التغلب على تفوقها، فإنها بحاجة لمقاتلات هجومية خفيفة، وطائرات نقل قصيرة المدى وطائرات عمودية.

ثالثًا: شعور الفرد تجاه قضية التَّمَرُّد من جهة ونظام مُكَافَحَة التَّمَرُّد من جهة أخرى.

> **في الوقت الَّذِي لا يحتاج فيه المتمرد بدايةً لاستخدام عدد كبير من المقاتلين، يمكنه أن ينتقي عدداً قليلاً من المتطوعين (النخب)، في المقابل إن مُكَافَحَة التَّمَرُّد تحتاج مواردَ بشريَّةٍ وفيرة، لدرجة أن عليها تجنيد المزيد من الجنود، والَّذِينَ قد يعاني بعضهم من مشكلة في الولاء.**

وقد تُسبِبُ بعضُ حالات الفرار الجماعي بلبلة كبيرة داخل وحدات مُكَافَحَة التَّمَرُّد لدرجة إمكانية تلاشي فاعليتها تمامًا. حدث هَذَا مع وحدات المكافحة الجزائرية، في المرحلة الأولى من الحَرْب في الجزائر، فعلى الرغم من أن تِلْكَ الوحدات كَانَت سليمة وجديرة بالثقة بشكل أساسي، إلا أنه كان لا بد من قطع اتصال هَذِهِ الوحدات المباشر بالسكان، واستخدامها في الجهود العَسْكَرِيَّة البحتة.

رابعًا: الفاصل الزمني قبل التدخل.

بسبب الانتقال التدريجي في الحَرْب الثَّوْرِيَّة من حالة السلام إلى الحَرْب، يتأخر توجيه القوات المسلحة إلى العمل مقارنة بالسرعة الَّتِي ستكون عليها في الحَرْب التقليدية. هَذَا التأخير هُوَ سمة أخرى للحروب الثَّوْرِيَّة، وتقليصه مسؤولية سِيَاسِيَّة لقادة البلاد.

6. الظروف الجغرافية: يمكن للجغرافيا أن تُضعف أقوى نظام سياسي، أو تُقوّي أضعفَها. وستتم مناقشة هَذِهِ الإشكالية لاحقًا بمزيد من التفصيل.

إن الجمع بين كُلّ هَذِهِ العوامل هُوَ الَّذِي يحدد ما إذا كان التَّمَرُّد ممكنًا أم لا، بمجرد أن يكون للمتمردين المحتملين "قضية".

الشكل (3): نقاط قوة النظام السياسي في مُكَافَحَة التَّمَرُّد

الأزمةُ والتَّمَرُّدُ:

لا يستطيع المتمرد بالطبع اختيار خصمه، بل يجب أن يقبله كما هُوَ، فإذا ما واجهته السلطات بمقاومة قوية متماسكة، فلا سبيل له سوى الانتظار حَتَّى يَضعُف خصمه بسبب أزمة داخلية أو خارجية.

إن السلسلة الأخيرة من حركات التَّمَرُّد ضِدّ الاستعمار هِيَ بلا شك نتيجة للحرب العالمية الثانية، والَّتِي أسفرت عن أزمات كبيرة للقوى الاستعمارية. تُظهر التجارب عدم نجاح أي تمرد في الأراضي الاستعمارية قبل العام 1938، بالرغم من أن الوضع في ذَلِكَ الوقت لم يكن أقل ثوريةً مما كان عليه بعد الحَرْب. بل إن القليل من تِلْكَ الحركات التمردية قام بالفعل بمحاولات ثورية، كمحاولات التَّمَرُّد في جزر الهند الشرقية الهولندية بين عامي 1926-1927، وحركة المقاومة السلبية بقيادة غاندي في الهند.

يقدم تاريخ التَّمَرُّد الشيوعي الصيني مثالاً آخر على استغلال الأزمة. فبعد صعود بطيء من خمسين عضوًا عام 1921 إلى ألف عضو عام 1925، انضم الحزب الشيوعي الصيني إلى الحزب الوطني الصيني، وارتفع عدد أعضائه فجأة إلى تسعة وخمسين ألف فرد عام

1926. وقد استفاد هَذَا الصعود من حالة الفوضى الَّتِي سادت في الصين، وشعبية النضال الَّذِي قاده الحزب الوطني ضِدّ أمراء الحَرْب والإمبرياليين. انقسم الحزبان عام 1927، ودخل الحزب الشيوعي الصيني في تمرد مفتوح. وعلى الفور، انخفض عدد أعضائه إلى عشرة آلاف عضو.

لجأت مجموعة شيوعية مع "ماو تسي تونغ" إلى منطقة هونان-هوبى-جيانغشي، بينما انتشرت مجموعات أخرى في أماكن مختلفة. ثُمَّ بدأوا حرب العصابات ببطء، وعلى الرغم من أنهم ارتكبوا في البداية خطأ عبر مهاجمة المدن المحمية جيدًا، إلا أنهم تمكنوا من تطوير قوتهم العَسْكَرِيَّة، وارتفع عدد الأعضاء لاحقًا إلى ثلاثمئة ألف عضو عام 1934. وفي المقابل، نجح الحزب الوطني في ذَلِكَ الوقت بترسيخ نفسه كحكومة مركزية للصين، ومثّل الشيوعيون وحدهم تحديًا لسلطته.

كان الحزب الوطني، الَّذِي أصبح حينها قوة كبيرة، يحاول بجدية القضاء على التَّمَرُّد. وبعد فشل العديد من هجماته ضِدّ الشيوعيين، صعَّدت القوى القومية من موقفها وضغطت على الحزب بشدة، لدرجة أن كفاح الحزب الشيوعي الصيني اقتصر على مجرد البقاء. وتفاديًا للإبادة، انطلق الشيوعيون في مسيرتهم الطويلة، من مقاطعة جيانغشي إلى منطقة نائية في شمال شانشي، وفي العام 1937، بعد المسيرة الطويلة، انخفض عدد أعضاء الشيوعيين مرة أخرى إلى أربعين ألف عضو. كان الجنرال "شيانج كاي شيك" حينها يستعد لهجوم قوي آخر على الشيوعيين للقضاء عليهم، قبل أن يبدأ العدوان الياباني على الصين فينقذ الشيوعيين من تِلْكَ الحملة.

لكن بحلول يوم النصر على اليابان، كان عدد الحزب الشيوعي قد بلغ مليون ومئتي ألف عضوٍ، وسيطر على مساحة ثلاثمئة وخمسين ألف ميل مربع، والَّتِي يبلغ عدد سكانها خمسة وتسعين مليونًا، وكان لديه جيش نظامي قوامه تسعمئة ألف رجل ومليشيا قوامها مليونين وأربعمئة ألف، وبالتالي لم يعد الحزب عرضة للخطر.

عقيدةً الحدودِ:

تنقسم كُلّ دولة -لأغراض إدارية وعَسْكَرِيَّة- إلى محافظات ومقاطعات وأقاليم ومناطق، وما إلى ذَلِكَ. وتعد المناطق الحدودية مصدر ضعف دائم لمكافحة التَّمَرُّد مهما كَانَت هياكلها الإدارية. وعادة ما يستغل المتمردون هَذِهِ الميزة، خاصة في المراحل الأولى العنيفة للتمرد. وبالانتقال من أحد جانبي الحدود إلى الجانب الآخر، غالبًا ما يتمكَّن المتمرد من الهروب من الضغط -أو على الأقل- على تعقيد عمليات خصمه.

لم يكن من قبيل المصادفة أن المناطق الَّتِي سيطر عليها الشيوعيون الصينيون هِيَ: منطقة شنسي- كانسو- شانسي- شاهار- هوبى العَسْكَرِيَّة، ومنطقة هوبى- شانتونغ- هونان العَسْكَرِيَّة، ومنطقة شانسي- هوبى- هونان العَسْكَرِيَّة. لقد أصبحت إدارة الحدود المفتوحة مسألة عقيدة بالنسبة لهم.

العواملُ الجغرافيَّةُ

قد يكون دور الجغرافيا -وهُوَ دور كبير في حرب تقليدية- مهيمنًا أيضاً في الحَرْب الثَّوْرِيَّة. فإذا لم يتمكن المتمرد، بضعفه الأولي، من الاستفادة من التضاريس الجغرافية، فقد يكون محكومًا عليه بالفشل قبل أن يبدأ. دعونا نختبر إذًا تأثيرات العوامل الجغرافية المختلفة.

1. الموقع: عادة ما تكون الدولة المعزولة بحواجز طبيعية (البحر، الصحراء، السلاسل الجبلية الشاهقة) أو الواقعة بين البلدان المعارضة للتمرد، دولة مواتية لمكافحة التَّمَرُّد.

2. المساحة: كلما كبرت البلاد، زادت صعوبة سيطرة الحكومة عليها. ويمكن للمساحة الواسعة والممتدة أن تُضعف حَتَّى أعتى الأنظمة شمولية؛ ولك في مشكلات الصين الحالية في التبت عبرة.

3. تماسك أجزاء الدولة: إن الدولة الَّتِي يسهل تقسيمها إلى أجزاء تعرقل المتمردين. وهكذا، كان لدى القوات الوطنية اليونانية مهمة سهلة في تطهير شبه جزيرة البيلوبونيز. فإذا كَانَت البلاد عبارة عن مجموعة متقاربة من الجزر، فلن ينتشر التَّمَرُّد فيها بسهولة، كما كان الحال في الفلبين. وقد تمكنت الحكومة الإندونيسية، الَّتِي تفتقر للقوة نوعًا ما، من القضاء على التمردات في جزر الملوك وأمبوينا وجزر أخرى.

4. الحدود الدولية: عادة ما يكون طول الحدود لصالح المتمردين، خاصة إذا كَانَت الدول المجاورة متعاطفة معهم، كما كان الحال في اليونان والهند الصينية والجزائر. وكلما طال الخط الساحلي مقارنة بالحدود الداخلية ساعد ذَلِكَ مُكَافَحَة التَّمَرُّد، لأنه بالإمكان التحكم في حركة المرور البحري بعدد محدود من الوسائل التقنية، الَّتِي تمتلكها مُكَافَحَة التَّمَرُّد، أو عادة ما تكون قادرة على الحصول عليها.

وقد كان قمع حركة التهريب على طول الساحل الجزائري أيسر بكثير من حَيْثُ الكلفة المالية والقوى البشرية، مقارنة بالحدود التونسية والمغربية، حَيْثُ كان على الجيش الفرنسي أن يبني سياجًا فاصلاً ويحرسه ويديره.

5. التضاريس: تساعد التضاريس المتمردين بقدر ما تكون وعرة وصعبة، إما بالجبال والمستنقعات أو بالغطاء النباتي. وقد أعطت تلال كيانغسي الصينية، وجبال اليونان، وسلسلة جبال سييرا مايسترا الكوبية، ومستنقعات سهل القصب في كوتشينشينا بالهند

الصينية، وحقول الأرز في تونكين بفيتنام، وغابة مالايا... ميزة كبيرة للمتمردين. وقد استغل الصينيون الشيوعيون في منشوريا الفترة من السنة الَّتِي تغطي فيها سيقان الذرة العالية الحقول.

من ناحية أخرى، لم تكن جبهة التحرير الوطني في الجزائر قادرة على العمل لفترة طويلة في مساحات شاسعة من الصحراء، حَيْثُ قامت القوات الفرنسية بتأمين الواحات والآبار الحيوية وفرضت المراقبة الجوية الَّتِي ترصد كُلّ حركة، وحَتَّى آثار الحركة المتبقية على الرمال.

6. المناخ: وخلافًا للاعتقاد السائد، فإن قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد تفضل المناخات القاسية، حَيْثُ أنها تمتلك، كقاعدة عامة، مرافق لوجستية وعملياتية أفضل. وستكون قسوة المناخ مناسبة؛ خاصة إذا ما كان جندي مُكَافَحَة التَّمَرُّد من سكان المنطقة، وبالتالي، معتادًا على قسوة المناخ. وقد أعاق موسم الأمطار في الهند الصينية متمردي "الفييت مينه" أكثر من الفرنسيين أنفسهم، كما أدى الشتاء في الجزائر إلى توقف نشاط جبهة التحرير الوطني تقريبًا. فعندما يعيش المرء باستمرار في العراء، كما هُوَ الحال في حرب العصابات، يشكل مجرد الاحتفاظ بالأسلحة والذخيرة -الَّتِي يصعب الحصول عليها- صالحةً للاستخدام، عامل أرق دائم.

7. التوزُّع السكاني: يؤثر حجم السكان على الحَرْب الثَّوْرِيَّة بنفس الطريقة الَّتِي يؤثر بها حجم البلد: فكلما زاد عدد السكان، زادت صعوبة السيطرة عليهم، ولكن، يمكن التحكم بِهَذَا العامل من خلال تخفيف الكثافة السكانية أو تركيزها، فكلما ازداد تشتت السكان، كان ذَلِكَ أفضل للمتمردين، وهَذَا هُوَ السبب في محاولة مُكَافَحَة التَّمَرُّد اليوم في مالايا والجزائر وفيتنام الجنوبية إعادة تجميع السكان (كما في كمبوديا بين عامي 1950-1952).

تعطي نسبة عالية من سكان الريف مقارنة بالحضر ميزة للمتمردين؛ وقد حُكم على عمل منظمة الجيش السري الفرنسية في الجزائر بالفشل، من الناحية التكتيكية، لأنها لم تكن تستطيع الاعتماد إلا على السكان الأوروبيين، الَّذِينَ تركَّزوا في المدن، ولا سيما الجزائر العاصمة ووهران. تتطلب عملية السيطرة على بلدة، والَّتِي تعتمد بشكل كبير على الإمدادات الخارجية، قوة أصغر من السيطرة على عدد مماثل من السكان المنتشرين

في الريف. باستثناء حالة الانتفاضة الجماهيرية، الَّتِي لا يمكن أن تستمر طويلاً بأي حال من الأحوال.

8. الاقتصاد: يمكن أن تخدم درجة تطور الاقتصاد وتقدمه كلا الطرفين، حَيْثُ أن أي بلد متقدم للغاية سيكون عُرضَةً لموجة قصيرة ومُكثَّفَة من العمليات الإرهابية، فإذا ما استمرت هَذِهِ الموجة وطالت، فإن الاضطراب قد يبلغ درجة لا يستطيع السكان تحمُّلها، وبالتالي، قد ينقلبون ضِدّ المتمردين، حَتَّى وإن لم يعادوهم في البداية.

وفي المقابل، فالدولة المتخلفة أقل عرضة للإرهاب، ولكنها أكثر قابلية لحرب العصابات، وذَلِكَ فقط لأن مُكَافَحَة التَّمَرُّد لا يمكنها الاعتماد على شبكة جيدة من مرافق النقل والاتصالات، ولأن السكان فيها أكثر استقلالاً.

خلاصة القول

أن الوضع المثالي للمتمردين سيكون دولة كبيرة غير ساحلية على شكل نجمة حادة الرؤوس، مع وجود جبال مغطاة بالغابات على طول الحدود ومستنقعات متناثرة في السهول، في منطقة معتدلة ذات مساحة كبيرة. وذَلِكَ في ظل تشتت سكان الريف ونظام اقتصاد بدائي. (انظر الشكل1).

تفضل مُكَافَحَة التَّمَرُّد جزيرة صغيرة على شكل نجمة مدببة، حَيْثُ تُفصل مجموعة من البلدات المتباعدة بالتساوي حسب الصحراء، في مناخ استوائي أو قطبي، مع اقتصاد صناعي. (انظر الشكل 2).

الشكل 1

الشكل 2

جدول (5): مقارنة بين العوامل الَّتِي تناسب التَّمَرُّد ومُكَافَحَة التَّمَرُّد

العامل	يناسب المتمرد	يناسب مُكَافَحَة التَّمَرُّد	السبب
الموقع:	الدولة غير المعزولة بحواجز طبيعية.	الدولة المعزولة بحواجز طبيعية، أو الواقعة بين البلدان المناوئة للتمرد.	تُصعِّب الحدود المعزولة تلقي المتمردين الدعم.
حجم الدولة:	الحجم الكبير.	الحجم الصغير.	تزداد صعوبة السيطرة على البلاد بازدياد الحجم.
الاتصال الجغرافي:	الدولة الَّتِي لا يمكن تقسيمها لأجزاء.	الدولة الَّتِي يمكن تقسيمها لأجزاء.	تقسيم الدولة لأجزاء يعرقل عمل المتمردين.
الحدود الدولية:	حدود برية ممتدة مع أكثر من دولة.	حدود برية قصيرة وخط ساحلي طويل.	سهولة التحكم في المرور البحري بعدد محدود من الوسائل التقنية.
التضاريس:	التضاريس الوعرة (جبال، مستنقعات، غطاء نباتي).	التضاريس غير الوعرة (الصحراء، مثلاً).	تسهِّل التضاريس الوعرة الاختباء والتخفِّي بالنسبة للمتمردين.
حجم السكان وتوزعهم:	حجم السكان الكبير وتشتتهم.	حجم السكان الصغير وتجمعهم.	كلما ازداد عدد السكان وتشتتهم زادت صعوبة السيطرة عليهم.
المناخ:	المناخ المعتدل.	المناخ القاسي.	تمتلك مُكَافَحَة التَّمَرُّد مرافق لوجستية وعملياتية أفضل.
نسبة سكان الريف مقارنة بالحضر:	ارتفاع نسبة سكان الريف.	ارتفاع نسبة سكان المدن.	سهولة السيطرة على التجمع السكاني في المدن.
الاقتصاد:	الاقتصاد المتخلف. .	الاقتصاد المتقدم.	المتخلف يمكن المتمردين من الحشد.
طبيعة النظام:	ديمقراطي هش.	شمولي قوي.	النظام الشمولي القوي لا يتيح مجالاً للحركة.

الدَّعْمُ الخَارِجِيُّ

يمكن أن يأخذ الدعم الخارجي للتمرد أشكالاً هِيَ:

1. الدعم المعنوي، الَّذِي سيستفيد مِنْهُ المتمرد دون بذل أي جهد للحصول عليه، بشرط أن تتماشى قضيته مع "رياح التاريخ". وهكذا، في الصراع الحالي بين الأنغوليين والحكومة البرتغالية، يستفيد الأنغوليون من الدعم المعنوي الكبير، بينما تبقى السلطات البرتغالية معزولة. يُعبرَّ عن الدعم المعنوي من خلال ثقل الرأي العام ومن خلال وسائل التواصل المختلفة، والدعاية هِيَ الأداة الرئيسية للدعم المعنوي، وتُستخدَمُ للتأثير على الرأي العام عندما يكون سلبياً، أو لتعزيز التعاطف العام الحالي.

2. الدعم السياسي، مع الضغط المباشر على مُكَافَحَة التَّمَرُّد، أو بشكل غير مباشر من خلال العمل الدبلوماسي في المحافل الدولية. إذا ما أخذنا نفس الحالة السابقة كمثال، نرى أن العديد من الدول الأفريقية قطعت العلاقات الدبلوماسية مع لشبونة واعترفت بحكومةٍ مؤقَّتةٍ لأنغولا؛ كما نجحت في طرد البرتغال من مختلف المنظمات الدولية مثل منظمة العمل الدولية.

3. الدعم الاستشاري، على شكل نصيحة للمتمردين لتنظيم حركتهم وتسيير عملياتهم السياسية والعَسْكَرِيَّة. وهنا، لم يكن التشابه بين أساليب الكوموننيين الصينيين واتحاد استقلال اليونان عَرَضيًا.

4. الدعم المالي، العلني أو الخفي. وقد جاء جزء كبير من ميزانية جبهة التحرير الوطني من المنح المقدمة من جامعة الدول العربية. كما قامت شركة Red China بشحن الشاي إلى جبهة التحرير الوطني في المغرب، حَيْثُ بِيعَ في السوق المفتوحة.

5. الدعم العسكري، إما من خلال التدخل المباشر إلى جانب المتمرد أو من خلال إعطائه تسهيلات ومعدات التدريب.

الشكل (4): أنواع الدعم الخارجي للمتمردين

في بداية التَّمَرُّد، لا يوجد دعم خارجي ضروري بشكل مطلق، على الرغم من كونه يساعد بوضوح عندما يكون متاحًا. إن الدعم العسكري الَّذِي لا يرقى إلى مستوى التدخل المباشر، على وجه الخصوص، لا يمكن أن يستوعبه المتمردون بقدر كبير حَتَّى تصل قواتهم إلى مستوى معين من التطور. فيما لا تتطلب المرحلة العَسْكَرِيَّة الأولى من التَّمَرُّد، سواء أكان إرهابًا أو حرب عصابات، سوى القليل من المعدات والأسلحة والذخيرة والمتفجرات، والَّتِي يمكن عادةً العثور عليها محليًا أو تهريبها.

ومع ذَلِكَ، عندما يحين وقت انتقال المتمردين من حرب العصابات إلى شكل أعلى من العمليات، لإنشاء جيش نظامي، تصبح الحاجة مُلحَّة إلى إمدادات أكبر بكثير وأكثر تنوعًا. فإن لم يكن المتمرد قادرًا على الاستيلاء عليها من قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، أو لم تأتِ من الخارج، فلن يكون من الممكن تطوير الكتلة العَسْكَرِيَّة المُتمرِّدَة.

لم يتلقَّ الشيوعيون في الصين سوى القليل من الدعم، وربما لم يتلقوا أيَّ دعم خارجي، إلى أن احتل الجيش السوفيتي منشوريا؛ حينها سُلِّمَت أسلحة ومعدات جيش كوانتونغ الياباني إلى مئة ألف جندي من جيش التحرير الشعبي الَّذِينَ عبروا إلى منشوريا من جيهول وشانتونغ. وعندئذٍ بات الشيوعيون في منشوريا قادرين على شن عمليات متواصلة واسعة النطاق، وكَانَت طبيعة القتال في هَذِهِ المنطقة مختلفة بشكل ملحوظ عن عمليات الشيوعيين جنوب السور العظيم. ولم يكن الوصول إلى مخازن الجيش الياباني هُوَ العامل الحاسم في نتيجة الحَرْب، حَيْثُ أن القوات الشيوعية في الصين نفسها، والَّتِي تلقت القليل من الإمدادات من منشوريا، نجحت في تسليح نفسها بالمعدات القومية

الَّتِي استولت عليها؛ لكنها بالتأكيد عجَّلت بهزيمة أفضل القوات القومية في منشوريا. وتفاخر الشيوعيون بأن مستودعات تموينهم وذخيرتهم كَانَت في مكان آمن، أي بأيدي أعدائهم القوميين. لذا، لم يأتِ شعار "تغذية الحَرْب بالحرب" الَّذِي رفعوه من فراغ.

وفي الهند الصينية، حدثت نقطة التحول عام 1950، عندما بدأ "الفييت مينه" بتلقي الدعم من الشيوعيين في الصين. وحَتَّى ذَلِكَ الحين، كانوا غير قادرين على تطوير قواتهم والقيام بعمليات واسعة النطاق، ليس لأنهم عانوا من نقص في القوة البشرية، فقد كان لديهم عدد من الرجال الجاهزين للقتال أكثر مما يمكنهم استخدامه، ولكن مشكلتهم كَانَت في أن ترساناتهم البدائية لم تستطع تلبية احتياجاتهم، بينما لم يتمكَّنوا من الاستيلاء على كميات كبيرة من الأسلحة الفرنسية.

وعلى الرغم من أنه كان بإمكان "اتحاد استقلال فيتنام" خوض حرب عصابات طويلة الأمد، وبالتالي كان بإمكانهم حرمان الفرنسيين من أي فائدة من احتلال طويل الأمد للبلاد، إلا أنهم لم يتمكَّنوا من تكوين جيش نظامي قوي بدون المساعدة الصينية. وبحلول سبتمبر/أيلول 1950، جُهِّزَ عشرون ألف رجل من القوات الفيتنامية بالرشاشات ومدافع الهاون الثقيلة والأسلحة المضادة للطائرات. وتمكَّنَت قيادة اتحاد استقلال فيتنام من تنظيم الفرقة الثقيلة 351. وفي العام 1951، بلغت المساعدات الصينية -وفقًا للتقديرات الفرنسية- ثماني عشرة ألف بندقية، وألف ومئتي مدفع رشاش، ومئة وخمسين إلى مئتي مدفع هاون ثقيل، وحوالي خمسين بندقية عديمةَ الارتداد.[1]

أما في مالايا والفلبين، فلم يتلقَ المتمردون أي دعم عَسْكَرِيّ خارجي ولم يتطوروا.

وفي اليونان، تلقَّى المتمردون الشيوعيون الدعم من وعبر البلدان المتصلة بهم، لكن الانقسام بين تيتو[2] وستالين أدى إلى انقطاع الدعم عندما كان المتمردون -الَّذِينَ نظَّمُوا قواتهم في وحدات كبيرة وهشة- في أمسِّ الحاجة إليه.

وفي الجزائر، أدى الحصار البحري الفرنسي وإغلاق الحدود إلى منع تدفق الإمدادات إلى الجزائر من تونس والمغرب، حَيْثُ تراكمت هناك مخزونات كبيرة للمتمردين. ولم يكن

---

[1] برنارد فال، Le Viet-Minh، (Paris: Librairie Armand Colin, 1960) ، ص 195.

[2] يوسيب بروز تيتو (1892- 1980)، هُوَ ثوري ورجل دولة يوغسلافي، ومن أبرز قادة الحركة الشيوعية في العالم، وكان رئيس جمهورية يوغسلافيا السابق، إبان الحكم الشيوعي.

ثمة إمكانية للتطوير. وأصبح وضع قوات جبهة التحرير الوطني بعد عام 1959 حرجًا، لدرجة أنهم دفنوا معظم أسلحتهم الأوتوماتيكية بسبب نقص الذخيرة.

إن الصراع بين الشرق والغرب، وَالَّذِي يعمُّ اليوم العالم بأسره، سيؤثِّر في أي تمرد يحدث في أي مكان. وهكذا، يكاد يكون من المؤكد أن التَّمَرُّد الشيوعي سيحصل على دعم تلقائي من الكتلة الشيوعية. كما أن فرص الدعم الشيوعي ستكون كبيرة حَتَّى للمتمردين غير الشيوعيين، طبعًا بشرط، أن يكون خصمهم "إمبرياليًا" أو حليفًا "للإمبريالية".

وعلى العكس من ذَلِكَ، يُعجّل الصراع بين الشرق والغرب في بعض الأحيان من اندلاع التمردات، ولا يكون هَذَا دائمًا في صالح المتمردين، كما رأينا ذَلِكَ في حالات الحركات الشيوعية في آسيا بعد مؤتمر الشيوعيين الَّذِي عُقد في كلكتا عام 1948، وأحيانًا ما يؤدي إلى إبطائها أو إيقافها تمامًا، عندما لا تتدخل حركات التَّمَرُّد في السياسة الشاملة للكتلة الشيوعية. بطبيعة الحال، لا يمكن توثيق هَذِهِ النقطة الأخيرة، ولكن هناك افتراضات قوية بأن الموقف الهادئ المفاجئ للحزب الشيوعي الإندونيسي اليوم، وَالَّذِي يبدو قوياً بما يكفي لبدء أعمال العنف، قد يُنسب إلى نوع من الفيتو من موسكو أو بكين.

وإذا كان من السهل الحصول على الدعم الخارجي، فإنه يمكن أن يدمر أو يضر بمبدأ الاعتماد على الذات في صفوف المتمردين. لِهَذَا السبب، لطالما أكدت التمردات الشيوعية في آسيا -جزئيًا- على ضرورة اعتماد المتمردين على جهودهم الخاصة. عام 1951، ذكّر قرار الدورة الأولى للَّجنة المركزية الفيتنامية لحزب "لاو دونغ" (الشيوعي) أعضاء الحزب بأن "حرب المقاومة لدينا هِيَ صراع طويل وشاق" وأن "علينا أن نعتمد أساسًا على قواتنا".

في الختام، تتلخص شروط تمرد ناجح في: (1) القضية، (2) ضعف الشرطة والإدارة في معسكر مُكَافَحَة التَّمَرُّد، (3) بيئة جغرافية غير معادية للغاية، و(4) دعم خارجي في المراحل المتوسطة واللاحقة من التَّمَرُّد. يُعتبر الشرطان الأول والثاني ضروريان، بينما يعتبر الشرط الأخير مساعداً، وقد يُصبح ضروريًا.

ملخَّصُ الفصلِ الثاني

الشروط المسبقة لنجاح التَّمَرُّد: القضية، ضعف مُكَافَحَة التَّمَرُّد، العوامل الجغرافية، والدعم الخارجي.

1. القضية:

وهِيَ ضرورية جداً لكسب السكان، وأفضل القضايا هِيَ الَّتِي تجذب أكبر عدد ممكن من المؤيدين وأقل عدد من المعارضين. ويجب أن تبقى القضية ساخنة على الأقل حَتَّى يبلغ التَّمَرُّد أشده. إن القضية في حقيقتها مشكلةٌ لم تُحل، لذا فمن الأمثلة على المشكلات الَّتِي قد تصبح قضية للتمرد:

- **حكم الأقلية للأكثرية: سواء كَانَت أجنبية أم من أبناء البلاد.**
- **استغلال فئة من المجتمع فئةً أخرى.**
- **المشكلات الاقتصادية: مثل انخفاض أسعار المنتجات الزراعية مقارنةً بالصناعية.**
- **العنصرية: سواء كَانَت دينية أم ثقافية.**

إذا لم تكن القضية ناضجة توجَّب على المتمردين إنضاجها وإيضاحها، والإرهاب سلاح سريع للوصول لِهَذِهِ النتيجة. ومن الضروري اختيار مجموعة متنوعة من القضايا المصممة خصيصاً لجذب الشرائح المختلفة من المجتمع.

لكن مع الوقت، تتناقص أهمية القضية بشكل تدريجي حَتَّى تصبح الحَرْب نفسها هِيَ القضية، وغالباً ما ينحاز السكان للطرف المنتصر.

****

2. ضعف مُكَافَحَة التَّمَرُّد:

يمكن أن يحظى النظام السياسي في مُكَافَحَة التَّمَرُّد بمجموعة من عوامل القوة، وغيابها سيشكل ضعفاً كبيراً. إن هَذِهِ العوامل هِيَ:

- **غياب المشكلات.**
- **التوافق الوطني.**
- **صمود القيادة المناهضة للتمرد.**
- **معرفة قادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد بقواعد حرب المكافحة التَّمَرُّد.**

ويسيطر النظام السياسي على السكان من خلال الأدوات التالية:

- النظام السياسي: النظام الشمولي قد يجبر السكان على القتال حَتَّى ولو كانوا متعاطفين مع المتمردين.
- البيروقراطية الإدارية: البيروقراطية غير الكفؤة والفراغ الإداري يصبان في مصلحة المتمردين.
- الشرطة: التعاون بين الشرطة والقضاء شرط لنجاح عملهما.
- القوات المُسلَّحَة: الحَرْب الثَّوْرِيَّة هِيَ حرب مشاة، وكلما كَانَت مُكَافَحَة التَّمَرُّد أقل تطوراً، كان أداؤها أفضل. وأفضل قوة جوية بالنسبة لمكافحة التَّمَرُّد هِيَ المقاتلات الهجومية الخفيفة، وطائرات النقل قصيرة المدى والطائرات العمودية، كما يجب الانتباه لمشاعر أفراد القوات المسلحة تجاه قضية المتمردين من جهة ومُكَافَحَة التَّمَرُّد من جهة ثانية.

الأزمة: إذا واجهت السلطات المتمردَ بمقاومة قوية ومتماسكة فلا سبيل سوى الانتظار حَتَّى يضعُف خصمه بسبب أزمة داخلية أو خارجية، ومن الأمثلة على ذَلِكَ الحَرْب الصينية مع اليابان الَّتِي أنقذت الحزب الشيوعي الَّذِي كان مُحاصراً ويعاني من قلة العدد.

****

3. العوامل الجغرافية:

تصب المناطق الوعرة في صالح المتمردين وكذلك الحدود الواسعة وخصوصاً من الدول المساندة، كما يستفيدون من حجم السكان الكبير وانتشارهم. بينما تلائم مُكَافَحَة التَّمَرُّد الحدود الضيقة والظروف الجوية السيئة وتجمع السكان وإمكانية تقسيم البلاد.

****

4. الدعم الخارجي: وهُوَ نوعان:

- الدعم غير العسكري: ويشمل الدعم المعنوي والسياسي والاستشاري والمالي.
- الدعم العسكري: لا تتطلب المرحلة الأولى من التَّمَرُّد دعماً خارجياً، وعندما ينتقل المتمردون من حرب العصابات إلى شكل أكثر تقدماً تصبح الحاجة مُلِحَّةً إلى إمدادات أكبر حجماً وأفضل نوعاً، ومصادر السلاح الأساسية في التَّمَرُّد هِيَ:

أ- مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

ب- الدعم الخارجي.

أخيراً، الصراع بين الشرق والغرب سيؤثِّر على أي تمرد يحدث في أي مكان في العالم، ومن الممكن أن يتلقى المتمرد أو مكافح التَّمَرُّد الدعمَ من أحد الأطراف الدولية المتنافسة.

****

الفصل الثالث: عقيدةُ التَّمَرُدِ

الأنماطُ الإستراتيجية للتمردِ

نظرًا لكون مُكَافَحَة التَّمَرُد ليست إلا مجرد ردة فعل على التَّمَرُد، يمكن إذاً فهم مشكلات وعمليات مُكَافَحَة التَّمَرُد على أفضل وجه في ضوء ما يحفِّزها، لذا، سنعمل في هَذَا الفصل على تلخيص عقيدة التَّمَرُد.

يُظهِر تاريخ الحُرُوب الثَّوْرِيَّة الماضية نمطين عامَّين لحركات التَّمَرُد، يعتمد أحدهما أساسًا على نظرية وخبرة الشيوعيين الصينيين، وقد قدمه "ليو شاي تشاي"[1] كمُخَطِط للثورة في البلدان الاستعمارية وشبه المستعمرة، فيُعبِّر عن المسار الَّذِي قاد الشعب الصيني إلى النصر عبر المعالم الآتية على الطريق:

1. يجب أن تتحد الطبقة العاملة مع جميع الطبقات والأحزاب السياسية والمنظمات والأفراد الآخرين المُستعدِّين لمقاومة اضطهاد الإمبريالية وأتباعها، وتشكيل جبهة موحدة واسعة على الصعيد الوطني، وشن حرب شديدة ضِدّ الإمبريالية وأتباعها.

2. يجب بناء وقيادة هَذِهِ الجبهة الموحَّدَة على مستوى البلاد من الطبقة العاملة الَّتِي تعارض الإمبريالية بِكُلِّ حزم وشجاعة وتضحية، وحزبها، الحزب الشيوعي، كركيزة لها. لا أن تقودها البرجوازية الوطنية المُتذبذِبَة والمساوِمة أو البرجوازية المُصغَّرَة وأحزابها.

3. بهدف تمكين الطبقة العاملة وحزبها الحزب الشيوعي، ليصبحا ركيزة لتوحيد جميع القوى في جميع أنحاء البلاد ضِدّ الإمبريالية وقيادة الجبهة الوطنية الموحدة بكفاءة من أجل الانتصار؛ من الضروري إذًا بناء حزب شيوعي من خلال نضال طويل، مُسلَّح بنظرية الماركسية اللينينية، الَّتِي تفهم الإستراتيجية والتكتيكات، وتمارس النقد الذاتي والانضباط الصارم، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالجماهير.

---

[1] ليو شاي تشاي (1898- 1969)، سياسي صيني وعضو الحزب الشيوعي في الصين، تولى رئاسة الجمهورية بين عامي 1956 و1966.

4. من الضروري، ما أمكن، إنشاء جيش وطني بقيادة الحزب الشيوعي يتمتع بالقوة والكفاءة في محاربة الأعداء. ومن الضروري كذلك إنشاء قواعد يمكن لجيش التحرير الاعتماد عليها في أنشطته، وتنسيق النضال الجماهيري في مناطق سيطرة العدو مع النضال المسلح، فالنضال المُسلَّح هُوَ الشكل الرئيسي للنضال من أجل التحرر الوطني للعديد من المُستَعمَرات والأراضي شبه المُستَعمَرَة.

هَذِهِ هِيَ الطريقة الأساسية الَّتِي يتَّبِعُها ويمارسها الصينيون لتحقيق النصر، وهِيَ طريقة "ماو تسي تونغ"، والَّتِي قد تكون أيضًا الطريقة الأساسية لكسب تحرر شعوب البلدان الخاضعة للاستعمار وشبه المُستَعمَرَة الأخرى حَيْثُ تسود ظروف مماثلة[1].

اتبعت العديد من حركات التَّمَرُّد الوطنية النمط الآخر، كشكل من أشكال الطريقة الأولى في مرحلتها المبكِّرة. وفيما يلي سنشرح الطريقتين، مع الإشارة إلى أنها تُعطى فقط كنماذج عامة. في حين أنها لم تشكل إلى حد كبير الخطوط العريضة للأحداث الفعلية، كما أنها قد تتناقض جزئيًا مع تاريخ بعض حركات التَّمَرُّد.

[1] الخطاب الَّذِي ألقاه في المؤتمر النقابي لدول آسيا وأستراليا، في بكين، في نوفمبر عام 1949. وتشمل البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة كُلّ آسيا (باستثناء الدول الشيوعية)، وكُلّ إفريقيا، وكُلّ أمريكا اللاتينية. (انظر الخرائط ص 140 و142).

النمطُ التقليديُّ (الشيوعيُّ)

لا تقتصر الثَّورَة، بالنسبة للشيوعيين، على الإطاحة بالنظام القائم فحسب، بل تتمثل أيضًا في إجراء تحول كامل للبلاد بعد ذَلِكَ نحو الشيوعية.

الشكل (5): خطوات النمط التقليدي

الخطوة الأولى: إنشاء حزب

الأداة الأساسية لِهَذِهِ العملية برمتها هِيَ الحزب، والخطوة الأولى للمتمردين هِيَ إنشاؤه.

يُعرِّف الحزب بأنه حزب بروليتاري، ولكن بما أن البروليتاريا محدودة أو غير موجودة في البلدان المستعمَرة وشبه المستعمَرة، فيجب إدراج الطبقة الدنيا من الفلاحين فيها. إن ضم الفلاحين شرط لا غنى عنه، حَيْثُ أن الكفاح المسلح القادم يجب أن يتم في المناطق الريفية. ولأن البروليتاريا لا تستطيع أن تفرز القادة الأوائل الأكفاء، يجب البحث عنهم إذًا بين المثقفين، وخاصة الطلاب، الَّذِينَ تتوفر لديهم الحماسة ورجاحة العقل أيضاً.

إن شدة وتقلبات النضالات الطويلة المُقبِلَة توجب على الحزب أن يكون قويًا ومنضبطًا وصاحب تجربة. كما يجب ألا يكون تنظيماً هشًّا يتفكك عند أول منعطف حاد في سياسة الحزب أو يَحدُثُ فيه شرخٌ في ظل رد فعل مُكَافَحَة التَّمَرُّد. بالإضافة إلى ذَلِكَ، يجب ألا

يتفكك الحزب في أعقاب النصر، حَيْثُ تكون الإصلاحات الشيوعية على وشك التنفيذ وحلفاء الأمس أعداء اليوم، حينها يجب أن يكون ويبقى حزب النخبة.

يمكن الحفاظ على تماسك الحزب من خلال اشتراط قاعدتي عمل أساسيتين عند قبول الأعضاء: المركزية الديمقراطية، والنقد الذاتي؛ من خلال غربلة المتقدمين وفق المعايير الطبيعية لأصلهم الطبقي؛ وإلزام من يكفل المتقدمين بالمسؤولية عن سلوكهم الحالي والمستقبلي.

ويُحافَظ على صفاء الحزب من خلال جهاز قضائي منهجي ومنتظم، يتدخل في حل "الصراعات داخل الحزب"، وَالَّذِي يعتبره "ليو شاو تشي" من الضرورات. أما المنحرفون عن عقيدة الحزب فيُحاوَرون بالطرق التصالحية، أو يُطردون إذا لم يعترفوا بأخطائهم.

في ضوء عملياته المستقبلية، يجب أن يكون الحزب مُنظَّمًا في أجهزة علنيَّة وأخرى سرية، على أن يكون تشكيل هَذَا الصنف الأخير لغرض مزدوج: دفاعي، في حال قررت مُكَافَحَة التَّمَرُّد قمع الحزب؛ وهجومي لإحداث الفوضى وإدارة التحركات الجماهيرية في مناطق الجيش بمجرد أن يدخل الحزب في تمرد مفتوح.

ولا ننكر أن إنشاء مثل هَذَا الحزب ونُمُوَّه سيكون عملية بطيئة ومُضنية في أحسن أحواله. فقد استغرق الحزب الشيوعي الصيني مثلاً، خمس سنوات منذ اجتماع مؤسسيه الاثني عشر في شانغهاي في الأول من يوليو/حزيران عام 1921، قبل أن يبلغ عدد أعضائه ألف عضو. إن بناء حزب ثوري قوي وموثوق به هُوَ بالتأكيد الجزء الأكثر صعوبة في التَّمَرُّد، ولو كان من السهل تحقيق ذَلِكَ، لكان العالم شيوعيًا الآن، مع الأخذ في الاعتبار الآلة والتجربة والجهود والمال الَّذِي استخدمته الأممية الشيوعية لِهَذَا الغرض. لقد أدت الأخطاء في القيادة، والقصور الذاتي البشري، والظروف الخارجة عن سيطرة المتمردين، وسوء الحظ إلى خلق عقبات هائلة ومتكررة.

من ناحية أخرى، يمكن تحقيق هَذِهِ الخطوة الأولى بالوسائل القانونية والسلمية، على الأقل في البلدان المُتساهِلَة مع المعارضة السياسية.

الخطوة الثانية: الجبهة المتحدة

إن حزب النخبة بحكم الضرورة حزب أقلية، فلا يمكنه التغلب على مُكَافَحَة التَّمَرُّد بنفسه، وبوسائله الخاصة. لذا، فإن الخطوة الثانية، الَّتِي قد تتداخل إلى حد كبير مع الخطوة الأولى، تتمثل في حشد الحلفاء حول الحزب، وكلما ازداد عددهم كان ذَلِكَ أفضل. وتثير هَذِهِ الخطوة مشكلات عدة:

إن الجبهة الموحدة الكبيرة ستشمل بالضرورة حلفاء مريبين يجب تطويقهم قبل أن يصلوا للمرحلة الَّتِي يمكن لهم فيها أن يُعرِّضوا البرنامج الأساسي للمتمردين للخطر. والحل إزاء ذَلِكَ هُوَ اتباع "تكتيكات سلامي"[1] فبمجرد أن يمسك الحزب بزمام السلطة بقوة، سيرفضه الحلفاء الَّذِينَ لم تعد هناك حاجة إليهم واحدًا تلو الآخر.

وقد يفقد الحزب خلال انخراطه في الجبهة الموحدة هويته الَّتِي تُميِّزه. وللحد من هَذَا الخطر، يجب على الحزب أن يظل "كتلة مستقلة" في أي تحالف. فبإمكانه الدخول في تحالف مع أطراف أخرى، شرط ألا يندمج معها أبدًا. أما الَّذِينَ لا يمكن استيعابهم أيضًا من المتعاطفين غير الموثوق بهم، فيجب تجميعهم في التنظيمات الَّتِي تمثِّل واجهةً للحزب.

ومع استمرار الصراع، يجب أن يحتوي برنامج الحزب على عامل جذب لِكُلِّ حليف، مع انتفاء ما هُوَ مرفوض مطلقًا بالنسبة لهم. لذا، يجب أن تبقى النيات الحقيقية لما ينوي الحزب القيام به في فترة ما بعد الحَرْب طي الكتمان، ويُكشَفُ عنها للقيادة العليا فقط، فإذا ما كان عوام المتمردين مُنضَبطين فسيقبلون برنامجاً رسمياً دون المستوى لأغراض تكتيكية. عندما كان الشيوعيون الصينيون يُسألُون عن برنامجهم المستقبلي، كانوا يردُّون بطريقة مُقنِعَة مفادها أن الصين ليست جاهزة للإصلاحات الشيوعية، وأن فترة انتقالية طويلة ضرورية، وأن على الصين أن تمر أولاً بفترة من التطور الرأسمالي القومي... وفي الواقع، استمرت هَذِهِ "الفترة الانتقالية" أقل من عامين (1949-1951).

خلال هَذِهِ الخطوة الثانية، ستنخرط أجهزة الحزب السرية في عمل لتقويض ثلاثة عناصر رئيسية:

- مُكَافَحَة التَّمَرُّد، بهدف منع وإفشال أي رد فعل حاسم.

[1] تكتيكات سلامي: يُقصد بها عملية التخلص من المعارضين واحداً تلو الآخر وليس دفعة واحدة. نشأ هَذَا المصطلح من عملية استيلاء ستالين على السلطة، حَيْثُ بدأ بالتخلص من مناوئيه واحداً تلو الآخر.

- الحلفاء، من أجل توجيه نشاطهم في الاتجاه الَّذِي يختاره الحزب، ولمنع أي انقسام ضار داخل الجبهة المتحدة.
- الجماهير، لإعداد وتعزيز النضال السياسي ضِدّ مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

ويتم ذَلِكَ عن طريق: الإثارة والدعاية والتأثير. وتعدُّ الاستخبارات الجيدة نتيجة ثانويةً مُهِمَّةً لِهَذَا العمل.

مع اقتراب لحظة الكفاح المسلح، يصبح العمل بين الجماهير مهمًا، وبشكل خاص في المناطق الريفية الَّتِي اختيرت كأرضية مواتية للعمليات العَسْكَرِيَّة الأولية للمتمردين. إن اجتذاب السكان نحو القضية الَّتِي يتبناها التَّمَرُّد ضروري لنجاح عمليات حرب العصابات الأولى، والَّتِي تعتمد عليهم بشكل كبير.

خلال الخطوة الثانية، يبقى نشاط المتمردين بشكل عام ضمن حدود الشرعية واللاعنف، دون أن يخوضوا تمردًا مفتوحًا، أو أن يشكلوا تحديًا واضحًا لمكافحة التَّمَرُّد. وما داموا يمسكون بزمام المبادرة، فبإمكانهم دائمًا أن يبطؤوا أو يتراجعوا إذا ما كان رد الفعل المقابل يشكل تهديدًا.

الخطوة الثالثة: حرب العصابات

قد يستولي المتمردون على السلطة عن طريق العمل السياسي وإحداث الفوضى وحسب. لكن، إذا لم يتحقق لهم ذَلِكَ، فإن الكفاح المسلح هُوَ الاستمرار المنطقي لعملهم. يؤكد الشيوعيون الصينيون أن الكفاح المسلح ضروري ولا يُستغنى عنه، وأن النصر يجب أن يتحقق بالقوة، وأن "التحرير" لا يُمنح أو يُكتَسَب عن طريق التسوية. وأسباب ذَلِكَ في نظرهم هِيَ:

- أن الحَرْب الثَّوْرِيَّة المحلية جزء من الحَرْب العالمية ضِدّ الرأسمالية والإمبريالية. وبالتالي، فإن الانتصار العسكري على العدو المحلي هُوَ في الواقع انتصار على العدو العالمي ويسهم في هزيمته النهائية.
- أن المتمرد حين يستولي على السلطة بعد صراع مسلح، يكون انتصاره كاملاً وسلطته مطلقة. فالحرب تؤدي إلى استقطاب السكان، وتمييز الأصدقاء من الأعداء، مما يُسهل تنفيذ البرنامج الشيوعي بعد الحَرْب.

- أن الكفاح المسلح يساعد الحزب على توطيد نفوذه، فيكتسب الخبرة، ويعالج أمراضه الطفولية مرة واحدة وإلى الأبد، ويقضي على الأعضاء الضعفاء، ويجعله قادرًا على اختيار أفضل القادة الحقيقيين. إن المعنى المنطقي لِهَذَا هُوَ أن المتمرد يجب أن ينتصر في المقام الأول من خلال جهوده الخاصة؛ فإذا ما وُضع في السلطة عن طريق تدخل خارجي، فإنه سيعاني من الضعف الداخلي لسنوات.
- أن الحزب يتولى السلطة مع مؤسسة عَسْكَرِيَّة مجربة وموثوقة، وهِيَ ضمانة الحزب في التحول السياسي القادم.

لذا، سواء بسبب استحالة نجاح التَّمَرُّد بطريقة أخرى أو لإيمانه بفائدة الكفاح المسلح، ينطلق المتمرد في صراع على القوة. فالمتمرد هُوَ صاحب القرار[1]، فيختار الوقت الَّذِي تبدو فيه الظروف مواتية، عندما تضعف مُكَافَحَة التَّمَرُّد داخليًا بسبب أزمة عرضية أو مُدبَّرة، أو عندما يُنتج التخريب آثارًا، أو عندما ينقسم الرأي العام، أو عندما يكون الهيكل التنظيمي للحزب جاهزًا في بعض المناطق الريفية؛ وعندما يكون التدخل الخارجي المباشر لصالح قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد مُستبعَدًا، حينها يمكن للمتمردين في هَذِهِ المرحلة الاعتماد على بعض الدعم المعنوي والسياسي، وعلى المساعدة العَسْكَرِيَّة لاحقًا، إذا لزم الأمر.

إن الهدف من ذَلِكَ هُوَ إيجاد قوة عَسْكَرِيَّة للمتمردين، والَّتِي يجب أن تتجهز تدريجياً، خطوة بخطوة. إن حرب العصابات هِيَ المسار الوحيد الممكن للعمل كبداية، وفي هَذِهِ المرحلة، يكون الهدف الأول بقاء حرب العصابات، والهدف النهائي، الاستحواذ على القواعد الَّتِي ستنشأ فيها حكومة وإدارة المتمردين، واستغلال الموارد البشرية وغيرها، وإنشاء القوات النظامية. يقول ماو تسي تونغ:

> "إن حرب العصابات الَّتِي لا خطة لها ليست سوى عصابة متنقلة، وَالَّذِي لا يستطيع الحفاظ على الروابط مع السكان، لا يمكنه أن يتطور، ومحكوم عليه بالهزيمة".

[1] مع التحفظ الوارد في ص 6: فقد تؤمر الحركة الشيوعية المتمردة من قبل الأممية الشيوعية بتصعيد أو إبطاء عملها.

من الناحية الموضوعية، لا يوجد فرق بين نشاط قطاع الطرق العادي واليومي في كُلّ بلد تقريبًا، وبين أعمال حرب العصابات الأولى. فما الَّذِي يساعد المقاتلين على البقاء على قيد الحياة والتوسع سوى تعاون السكان معهم؟ لطالما كان هَذَا العامل مفتاح حرب العصابات، وللتمرد ككل، ويُعبرَّ عنه بأنه كالماء للسمك.

ولا ينبغي الخلط بين تعاون السكان وتعاطفهم؛ فالأول فعّال، أما الثاني فلا. وشعبية قضية المتمردين غير كافية في حد ذاتها لتحويل التعاطف إلى تعاون. والمتمردون يكسبون تعاطف السكان، قبل كُلّ شيء، من خلال منظمة سِيَاسِيَّة (الحزب) تعيش بين السكان، وتدعمها القوة (مجموعات حرب العصابات)، والَّتِي تقضي على الأعداء الظاهرين، وتُرهب المُحتَمَلين، وتعتمد على السكان الَّذِينَ يدعمون المتمردين بشكل نشط وفاعل.

يجلب الإقناع أقلية من المؤيدين -الَّذِينَ لا غنى عنهم- لكن القوة تحشد البقية. وبالطبع، هناك حدٌّ عملي -إن لم يكن أخلاقيًا- لاستخدام القوة، فالقاعدة الأساسية في أي وقت، هِيَ عدم استعداء عدد أكبر من الأشخاص من الَّذِينَ يمكن التعامل معهم.

لا تَقِلُّ أهمية الروابط بين التنظيم السياسي للمتمردين والسكان عن أهمية الروابط بين قواتهم المسلحة والجماهير، فمَهَمَّة الكادر السياسي هِيَ التأكد من الحفاظ على هَذِهِ الروابط بشكل صحيح وألا تنافس القوات المسلحة الحزبَ أبدًا.

وعمليات حرب العصابات لا تستهدف، في المقام الأول، مُكَافَحَة التَّمَرُّد بقدر ما تهدف لتنظيم السكان، فقد يكون نصب كمين لدورية مُكَافَحَة التَّمَرُّد نجاحًا عسكريًا، لكنه لن يكون انتصارًا ما لم يجلب دعم القرية أو يورِّط سكانها في مواجهة مُكَافَحَة التَّمَرُّد، لأنه لا يؤدي إلى توسع رقعة التَّمَرُّد. وبعبارة أخرى، استنزاف العدو نتيجة ثانوية لحرب العصابات، ولكنه ليس هدفها الأساسي.

وإذا قيل: أين تعمل حرب العصابات؟ فالجواب أنها يجب أن تعمل في المناطق الَّتِي تعجز قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد عن السيطرة عليها بسهولة، حَيْثُ يمكن بالتالي لمجموعات حرب العصابات البقاء فيها على قيد الحياة وزيادة قدراتها. ويتبع اختيار مناطق العمليات الأولى لعوامل هِيَ:

- قوة تنظيم المتمردين بين السكان، الَّتِي أُعد لها قبل بدء العمل المسلح.
- بُعد هَذِهِ المناطق عن مركز قوة مُكَافَحَة التَّمَرُّد.
- صعوبة الوصول إليها بسبب وعورة التضاريس وضعف الاتصالات.

- موقع هَذِهِ الأراضي على جانبي الحدود الإدارية، مما يُصعِّب على العدو تنسيق رد فعله.

لاحقًا، وبينما يحقق التَّمَرُّد نجاحًا ميدانيًا، يصبح العامل الأول أقل أهمية، ويمكن لرقعة حرب العصابات أن تتمدد جغرافيًا عن طريق زرع فرق من وحدات حرب العصابات والناشطين السياسيين في مناطق أخرى، حَتَّى لو كَانَت خالية من الهياكل الحزبية القوية. وهَذَا يؤكد أهمية النجاح المبكر.

لا يُعتَبرَ التسلُّح مشكلة في هَذِهِ المرحلة، فمتطلبات المتمردين قليلة، والأسلحة اللازمة (المسدسات والرشاشات والبنادق) تتوفر بشكل عام، أو يمكن شراؤها وتهريبها. ويمكن تصنيع بعض الأسلحة الخام (القنابل اليدوية والألغام وحَتَّى قذائف الهاون)، كما يمكن الاستيلاء على بعض المعدات من العدو.

إن إحباط معنويات قوات العدو واجب مهم، والطريقة الأكثر فعالية لتحقيق ذَلِكَ هِيَ من خلال اتباع سياسة التساهل تجاه الأسرى. يجب أن يعامل أسرى العدو معاملة حسنة، وأن يُعرض عليهم خيار الانضمام إلى التَّمَرُّد أو إطلاق سراحهم، حَتَّى لو كان هَذَا يعني أنهم سيعودون للقتال في صفوف مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

وعلى الرغم من النكسات الَّتِي تحدث في المراحل الأولى، إلا أن هَذِهِ السياسة هِيَ الأكثر فائدة على المدى الطويل. خلال رحلة في غرب الصين في أبريل 1947، قُبض على المؤلف من قبل القوات الشيوعية بقيادة الجنرال شين كنغ في هسينكيانغ، وهِيَ بلدة في مقاطعة شانسي. هناك عُومِلَ في صباح اليوم الأول كَسَجين، ووُضِعَ تحت المراقبة لبقية اليوم، واعتُبِر "ضيف شرف" رغم إقامته غير الطوعية الَّتِي استمرت لمدة أسبوع، ولكنها كَانَت بالنسبة له ممتعة للغاية بين جيش التحرير الشعبي.

وخلال هَذَا الأسبوع، تعهدت كوادر عَسْكَرِيَّة وسِيَاسِيَّة مختلفة بشرح سياستها وإستراتيجيتها وتكتيكاتها له. فشرح مفوض سياسي الأسلوب الشيوعي في التعامل مع أسرى القوميين. حَيْثُ عُرض عليهم الاختيار بين الانضمام للجيش الشيوعي، والاستقرار في الأراضي الشيوعية، حَيْثُ يُمنَحون حصة من الأراضي، أو العودة إلى الوطن، أو العودة إلى الجيش القومي. وبعد بضعة أيام، زار المؤلف معسكر اعتقال الأسرى المؤقت، حَيْثُ كان الشيوعيون يحتفظون بمجموعة من مئتي ضابط من الضباط القوميين الصغار، الَّذِينَ قُبض عليهم حديثاً. وبينما كان المفوَّض السياسي مشغولاً بالتحدث إلى مجموعة من

الأسرى، سأل مجموعةً أخرى، باللغة الصينية، عما إذا كان الشيوعيون قد أسروا أحدهم من قبل. فاعترف ثلاثة من القادة القوميين أن هَذَا كان ثاني اعتقال لهم.

في الشهر نفسه، زار زميل للمؤلف معسكرًا في هسوشو في وسط الصين، حَيْثُ احتجز القوميون خمسة آلاف سجين شيوعي.

"أين قُبض عليهم؟" سأل الجنرال القومي المسؤول عن المعسكر.

"للأمانة، ليس لدينا أكثر من عشرة جنود شيوعيين حقيقيين من بين هَؤُلَاءِ الأسرى"

"من الآخرون إذن؟"

"جنود قوميون قبض الشيوعيون عليهم ثُمَّ أطلقوا سراحهم، فلا نريدهم أن يلوِّثوا جيشنا".

وهكذا، اتّبع الشيوعيون حيلة جعلت القوميين أنفسهم يراقبون رجالهم! استخدم الشيوعيون الصينيون هَذِهِ الطريقة لأول مرة بنجاح مدهش مع السجناء اليابانيين خلال الحَرْب الصينية اليابانية. وفي أوائل فترة ما بعد الحَرْب، بات العديد من اليابانيين الَّذِينَ خرجوا من السجون الصينية من أبرز قادة الشيوعيين في اليابان. ظهرت أولى العلامات الواضحة على نفوذ الصينيين في فيتنام في عام 1950، عندما غير "الفييت مِنْهُ" فجأة موقفهم تجاه الأسرى الفرنسيين، وبدلاً من ذبحهم، قاموا بغسل أدمغتهم.

بالإضافة إلى الأمور السابقة المتعلقة بالإمدادات والعمليات، يجب على المتمردين أن يَحُلُّوا مشكلة نشأت بسبب ما اعتبرناه أحد الأصول التكتيكية: الطبيعة المتناثرة لعملياتهم. فعلى الرغم من أن هَذَا الأصل التكتيكي يُعيق مُكَافَحَة التَّمَرُّد عن التعامل معهم، إلا أنه يجب على المتمردين أيضًا أن يوفِّقوا بين نشر قواتهم والحاجة إلى وحدة العمل. والحل في ذَلِكَ هُوَ في تلقين هَذِهِ القوات عقيدة واضحة ومشتركة على نطاق واسع.

تظل سياسة الجبهة المتحدة سارية المفعول طوال فترة الصراع، لكنها تكون جوهرية أثناء الكفاح المسلح. فكيف يمكن قبول الحلفاء في الهياكل السياسية ووحدات حرب العصابات دون إضعاف التَّمَرُّد؟ إن الطريقة الوحيدة لذلك هِيَ مواجهة الحلفاء عبر تفوق الحزب في مجالات التنظيم والانضباط والعقيدة والسياسة والقيادة. يجب على الحزب وحده أن يقود، كما يجب عليه أن يكسب القادة الأقوياء من بين الحلفاء، أو أن يُحيِّدَهَم. ويجب على الحزب وحده أن يتوسَّع، فيما يجب أن يمنع الأطراف المتحالفة معه من ذَلِكَ.

أما التكتيكات العَسْكَرِيَّة لحرب العصابات فمعروفة جيدًا، وليس هَذَا موضع ذكرها.

الخطوة الرابعة: الحَرْبُ النظاميَّةُ:

لا يمكن لحرب العصابات أن تربح المعركة ضِدّ عدو حازم، وقد يؤدي نشاط حرب العصابات الَّذِي طال أمده -وهُوَ نشاط رخيص التكاليف ولكن مواجهته مكلفة للغاية- إلى حدوث أزمة في معسكر مُكَافَحَة التَّمَرُّد، ولكنه قد يؤدي أيضًا إلى عزل السكان وتفكك الجبهة المتحدة، لذا يجب مواجهة العدو على أرضه، وإنشاء جيش نظامي للمتمردين لتدمير قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

لكن، ثمة مشكلة في التوقيت، فإذا كان من السابق لأوانه الإقدام على هَذِهِ الخطوات، فإن إنشاء هَذَا الجيش النظامي، وَالَّذِي يفقد بالضرورة وإلى حد كبير ميزة المرونة الَّتِي تتمتع بها مجموعات حرب العصابات، قد يؤدي إلى كارثة، لذا، يجب تأخير هَذِهِ الخطوة حَتَّى تحرير القواعد ومنع العدو من غزوها بشكل متكرر، وحَتَّى حل مشكلة التسلح على الأرجح.

عندما تتوفر هَذِهِ الظروف، يمكن حينها تحويل أفضل وحدات حرب العصابات إلى قوات نظامية بشكل تدريجي، فالسرية، ثُمَّ الكتيبة، وهكذا حَتَّى تشكيل الفرقة أو الأعلى منها.

يُعتَبَرَ التسلُّح العقبة الكبرى، إذ أن كمية ونوعية الأسلحة والمعدات المتاحة تحدد الحد الأقصى لتوسع القوات النظامية للمتمردين، ولا يمكن الاعتماد على الإنتاج في القواعد العَسْكَرِيَّة، لأنها تمثِّل أهدافًا ثابتة وسهلة لمكافحة التَّمَرُّد. وبناء عليه، يبقى هناك مصدران محتملان للتسليح:

1. الاستيلاء على الغنائم من العدو.
2. والإمدادات من الخارج.

والاستيلاء على الغنائم من العدو، من بين هَذِهِ المصادر، هُوَ الَّذِي يتحكم في طبيعة عمليات المتمردين. وستكون هَذِهِ العمليات أشبه بـ "عمليات تجارية"، يُخطط لها وتُنفذ من أجل تحقيق مكاسب أكثر من الخسائر.[1] ويتطلَّب هَذَا بدوره عمليات تتسم بكثافة ساحقة لقوات المتمردين وتُنفَّذ بشكل مفاجئ، ضِدّ وحدة معزولة في العراء من وحدات

[1] محاولة تحصيل الكثير من النتائج في وقت مبكر للغاية هُوَ الخطأ الَّذِي ارتكبه الجنرال جياب في تونكين عام 1951، عندما حاول فرض مواجهة مع القوات الفرنسية تحت قيادة الجنرال دي لاتري دي تيني. وكَانَت النتيجة هزيمة كبيرة للمتمردين.

مُكَافَحَة التَّمَرُّد، عالقة في العراء وغير محصنة؛ ومن هنا جاءت حرب الحركة حَيْثُ يستطيع المتمرد استغلال مرونته واستخباراته الأفضل والمرافق اللوجستية البسيطة والفعالة عبر المناطق الَّتِي يوفرها السكان المتعاونون.

ولتحقيق المرونة، يجب استبعاد السلاح الثقيل من أرض المعركة؛ ونظرًا لكون المرافق اللوجستية محدودة، يجب أن تكون الصدمة الفعلية وجيزة ومحدودة، فلا يمكن القيام بهجوم مستمر؛ ومن أجل الحصول على معلومات استخباراتية أفضل، يُفضَّل إجراء العمليات في مناطق نفوذ التنظيمات السياسية المتمردة، حَيْثُ تكون قوية ونشطة بين السكان.

أما الإمداد من الخارج، فيما لو وُجد مثل هَذَا الاحتمال، فيفرض على المتمردين ضرورة الحصول على قواعد ملاصقة أو قريبة من الحدود الدولية للبلاد، بالقرب من مصدر الإمداد.

إن افتقار وحدات المتمردين إلى الدفاعات -بسبب ضعف قدراتهم اللوجستية- يستبعد وجود العمليات الدفاعية الثابتة. في الواقع، تعتبر الوحدات النظامية ثمينة للغاية، ولا سيما عندما تكون حديثة الإنشاء، لذا يجب ترك الدفاع عن القواعد لوحدات أخرى من المتمردين، وللسكان أنفسهم بميليشياتهم، ووحدات حرب العصابات، والقوات المحلية، الَّتِي توفر نواة للدفاع. وفي العمليات الهجومية، ستُعفِي هَذِهِ الوحدات -المُصنَّفَة في الدرجة الثانية- القوات النظامية من مهمة التغطية والاستطلاع.

تعكس المواقع المتنوعة الَّتِي يقيمها المتمردون في الميدان النمطَ الميدانيَّ لإستراتيجيتهم، وهِيَ:

1. القواعد النظامية: مناطق مُحصَّنَة من قبل القوات النظامية (في حالة الراحة، أو خلال التدريب، أو في طور التنظيم) والقوات المحلية، مع حكومة مهام علنيَّة تهتم بالإدارة، والسياسة الاقتصادية، والضرائب، والعدالة، والتعليم، والخدمات العامة، في مأمن من اختراق العدو ما لم تحشد مُكَافَحَة التَّمَرُّد قواتٍ من أجزاء أخرى من البلاد لشن حملة كبرى.

2. قواعد حرب العصابات: وتكون فيها القوات النظامية النشطة بالإضافة إلى الوحدات الأخرى، منضوية بالكامل تحت السيطرة السياسية للمتمردين، مع أجهزة إدارية مصممة

للعمل إما علانية أو بالخفاء، وفق ما تُمليه الظروف. وصحيح أن هَذِهِ القواعد عرضة لاختراق العدو بشكل متكرر، لكن العدو بشكل عام غير قادر على البقاء فيها.

3. مناطق حرب العصابات: حَيْثُ تتنافس قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد والحكومات باستمرار مع المتمردين.

4. مناطق مُحتلَّة: تحت السيطرة السياسية والعَسْكَرِيَّة لمكافحة التَّمَرُّد، حَيْثُ يعمل المتمردون بالخفاء فقط.

يهدف المتمردون إلى تحويل المناطق المحتلة إلى مناطق حرب عصابات، ومناطق حرب العصابات إلى قواعد حرب العصابات، وَهَذِهِ الأخيرة إلى قواعد نظامية.

ولتعبئة السكان لمجهود حربي شامل، فإن كُلّ مقيم تحت سيطرة المتمردين ينتمي في الوقت نفسه إلى قطاعين على الأقل: الأول أفقي، وهُوَ قطاع جغرافي، من خلال القرية أو البلدة أو المنطقة؛ والآخر رأسي، يجمع السكان حسب فئات من كُلّ نوع، حسب العمر والجنس والمهنة. تربط خلايا الحزب لَبِنات الهيكل بأكمله وتوفر له الترابط. كما تساعد تنظيمات أخرى على إبقاء الجميع في صف التَّمَرُّد: فالجهاز السري للحزب، وَالَّذِي يحافظ على سرية أعضائه أمام الكوادر المحلية، فلا يخضعون إلا للقيادة الهرمية العليا، والَّتِي تكون بالتالي في وضع يسمح لها بالتحكم في أولئك الَّذِينَ يسيطرون على الجماهير.

في العام 1947، عندما قبض الشيوعيون الصينيون على المؤلف في هسينكيانغ، بمقاطعة شانسي، لاحظ أن فريقًا من موظفي الخدمة المدنية الشيوعيين تولى فورًا إدارة المدينة، الَّتِي كَانَت مقرًا لمقاطعة هسين. قيل له حينها إن هَؤُلَاءِ المسؤولين قد عُيِّنوا لِهَذِهِ المهمة منذ فترة طويلة، وكانوا يعملون حينها كحكومة ظل مع وحدات حرب العصابات النشطة في المنطقة.

"لن تحتل قواتك هسينكيانغ بشكل دائم، فماذا سيحدث لموظفيك المدنيين عندما يغادر جيشك؟ "، سألت المفوض السياسي لجيش الجنرال شين كنغ.

فأجاب: "سيغادرون أيضًا، ويستأنفون عملهم السري".

"ألا تخشى أن تفقدوا قيمتهم الآن بعد أن كشفوا عن أنفسهم؟ "

"لدينا عملاء سريون في هَذِهِ البلدة لم يظهروا عندما استولينا عليها. ونحن حَتَّى لا نعرف من هم. وسيبقون هنا عندما نذهب ".

مع توسع حركة التَّمَرُّد، تبرز مشكلة حاجة المتمردين للكادر السياسي والعسكري، وَالَّذِي يُختار عادة على أساس الولاء بالدرجة الأولى، ومن ثُمَّ على أساس النجاحات الميدانية. يمكن للقصة التالية أن تقدِّم لنا نموذجًا حول مدى أهمية الولاء بالنسبة للشيوعيين. ففي العام 1952، طالب قائد منظم من "الفييت مينه"، بعد تعرضه لضغط شديد من القوات الفرنسية في دلتا النهر الأحمر، استبداله بقائد آخر. فكان جواب القيادة: من المستحيل أن نرسل لك بدائل الآن؛ فالقادة الجدد لم يتلقوا بعد التلقين السياسي الكامل".

كان القادة الشيوعيون، الصينيون والفيتناميون، نتاج الانتقاء الطبيعي (الاصطفاء الطبيعي). فقد أظهروا قوتهم في الميدان قبل اختيارهم لتولي مسؤوليات أعلى. ثُمَّ تُكمّل الدراسات النظرية والعملية الَّتِي يتلقونها في المستوى الأعلى التالي ما تعلموه من قبل. قارن إن شئت نتائج الكوادر الشيوعية مع ضباط الجيش الفيتنامي الجنوبي اليوم المُختارِين وفقًا للمعايير الأكاديمية، وبالتالي هم، عمومًا، من أبناء البرجوازيين الصغار في المدن. ستجدهم غرباء عن حقول الأرز، يتيهون فيها مثلهم مثل الرجال البيض، وربما كانوا أقل قدرة على التكيف.

الخطوة الخامسة: حملة التدمير

مع نمو القوة الكلية للمتمردين، وفي ظل تناقص قوة خصمهم، يصل الطرفان إلى توازن القوى في مرحلة ما. خلال تقييم قوة المتمردين، يجب ألا يقتصر هَذَا التوازن على الأصول العَسْكَرِيَّة فقط، بل يجب أن يشمل صلابة هيكلهم السياسي، وحقيقة حشد السكان في مناطقهم، والنشاط التخريبي لعملائهم السريين في مناطق مُكَافَحَة التَّمَرُّد، وأخيراً، التفوق النفسي للمتمردين.

ومنذ ذَلِكَ الحين، سيتسع نطاق وحجم عمليات المتمردين بشكل سريع، لتكون الخطوة الأخيرة والنهائية هِيَ سلسلة من الهجمات الَّتِي تهدف إلى تدمير العدو بالكامل.

خلال هَذِهِ العملية، قد يتقدم المتمرد في أي وقت شاء بمبادرات سلام، بشرط أن يحقق من خلال هَذَا التفاوض مكاسب أكثر مما يحققه بالقتال.

النمط المختصر (البرجوازي)

بشكل عام، يقتصر هدف المتمردين في هَذِهِ الحالة على السيطرة على الحكم، فيؤجلون مشكلات ما بعد الثَّورَة لوقت لاحق، كونها شواغل ثانوية. لذا، يركز المتمردون في هَذِهِ المرحلة على إنشاء حزب ثوري لهم وبشكل فوري. والمتمردون في هَذِهِ المرحلة هم مجموعة صغيرة ومتفرغة من الرجال الَّذِينَ ليس لديهم تنظيم واسع يدعمهم.

الخطوة الأولى: الإرهاب الأعمى

والغرض من هَذِهِ الخطوة هُوَ بث دعاية للحركة وقضيتها، من خلال تحويل الانتباه إليها، لجذب المؤيدين المحتملين. تبدأ هَذِهِ الخطوة عن طريق الإرهاب العشوائي، كالتفجيرات وعمليات الحرق العمد والاغتيالات الَّتِي تتم بأسلوب متقن قدر الإمكان، في إطار موجات مُركَّزَة ومُنسَّقَة ومتزامنة. هَذَا النوع من العمليات يحتاج قلة من الرجال، وبحسب محمد بوضياف، أحد القادة الأوائل لجبهة التحرير الوطني بالجزائر، لم يتجاوز عدد الوطنيين الجزائريين المشاركين في الأعمال الإرهابية في يوم النصر أربعمئة إلى خمسمئة فرد.

كما لم يكن لاختطاف سفينة برتغالية من قبل أحد معارضي رئيس الوزراء سالازار، والاحتجاز المؤقت لبطل سباق سيارات مشهور عالميًا على يد رجال كاسترو في هافانا؛ أي غرض سوى الظهور في عناوين نشرات الأخبار.

الخطوة الثانية: الإرهاب الانتقائي

وتأتي هَذِهِ الخطوة عقب الخطوة الأولى مباشرة، وتهدف لعزل مُكَافَحَة التَّمَرُّد عن الجماهير، وإشراك السكان في النضال، والحصول على مشاركتهم السلبية بالحد الأدنى.

ويتم ذَلِكَ عبر تنفيذ عمليات اغتيال في أجزاء مختلفة من البلاد، تستهدف بعض المسؤولين الحكوميين من ذوي الرتب المتدنِّية الَّذِينَ يعملون بشكل وثيق مع السكان، مثل رجال الشرطة، وعمال البريد، ورؤساء البلديات، وأعضاء المجالس البلدية، والمعلمين. أما

اغتيال مسؤولين رفيعي المستوى في سلطات مُكَافَحَة التَّمَرُّد فلا يخدم أي غرض، لأنهم بعيدون للغاية عن الاحتكاك بالسكان لدرجة أن أحدًا لن يتعظ بقتلهم.

من المفترض أن يعمل أنصار التَّمَرُّد منذ انطلاقته على جمع الأموال من السكان، فبالإضافة لكون المال عصب الحَرْب وعامل جذب في حد ذاته، إلا أن هَذِهِ العملية لها آثار جانبية أخرى مهمة، فمبلغ المال المجموع يمثل معيارًا بسيطًا لقياس كفاءة المؤيدين واختيار القادة وفقًا لذلك. كما أن هَذِهِ التبرعات من السكان تورطهم وتجبرهم على إظهار روحهم الثَّوْرِيَّة، لتكون المعادلة كما يلي: "أنت تعطي المال، إذًا أنت معنا. أنت ترفض دفع المال، إذًا أنت خائن"، ويُعدم عدد قليل من أولئك الَّذِينَ يرفضون دفع المال.

ومن أجل إشراك السكان في التَّمَرُّد بشكل أكبر، يقوم المتمردون بتعميم مبادرات بسيطة مثل "مقاطعة التبغ"، ويُعدم عدد قليل من المخالفين الَّذِينَ يُضبطَون وهم يدخِّنون. ولا قيمة لِهَذِهِ الاغتيالات إلا إذا كَانَت بمثابة أمثلة يرتدع منها الآخرون، لذا يجب ألا تُنفذ في السر بل على العلن، ويُترك الضحايا بشكل عام مع بطاقة توضح أن محكمة ثورية أدانتهم وحكمت عليهم بالإعدام جزاء ارتكابهم هَذِهِ الجريمة.

على المتمردين قطع كُلّ العلاقات الَّتِي تربط السكان بمكافحة التَّمَرُّد وحلفائها المحتملين. ومن بين هَؤُلَاءِ، الأشخاص (من ذوي العقلية الليبرالية بشكل عام) الَّذِينَ يميلون للتوصل إلى حل وسط مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد، لذا سيكونون أهدافًا للهجمات الإرهابية.

عندما يتحقق كُلّ هَذَا، تكون الظروف مهيأة بالفعل لنشاط المتمردين وتعبئة السكان بشكل فعال. ومن ثُمَّ، يعود هَذَا النمط إلى النمط التقليدي، إذا لزم الأمر.

بالرغم من كون هَذَا النمط غير قانوني وعنيفًا في البداية، وبالرغم من خطره على المتمردين، فنشاط الإرهاب قد يتراجع، إلا أنه يختزل سنوات من العمل التنظيمي الممل. فمن خلال الإرهاب، وصلت مجموعات صغيرة من المتمردين بسرعة إلى قمة الحركات الثَّوْرِيَّة الكبيرة، وحقق البعض انتصارهم في ذَلِكَ الوقت بالذات، دون الحاجة إلى مزيد من العمل. ومع ذَلِكَ، تُدفع فاتورة هَذَا النمط في النهاية بالمرارة نفسها الَّتِي ولدها الإرهاب، فضلاً عن التفكك المعتاد لأي حزب يصل إلى القمة بِهَذِهِ السرعة.

مدى ضعف المتمرد في النمط التقليدي

بالنظر لحالة المتمرد الَّذِي اختار النمط التقليدي كمسار لعمله، نرى أنه يعمل بالضرورة في بلد يتسامح مع المعارضة السياسية.

خلال الخطوتين الأوليين -إنشاء حزب وتنظيم جبهة موحدة- يعتمد ضعفه بشكل مباشر على تحمّل مُكَافَحَة التَّمَرُّد، والَّتِي في المقابل يمكن أن تكون شديدة أو متراخية. لكن، عاجلاً أم آجلاً، ستدرك مُكَافَحَة التَّمَرُّد الخطر الَّذِي يمثله، وتبدأ في الرد عليه. يزداد ضعف المتمردين في هَذِهِ الحالة كونهم لم يكتسبوا بعد القوة العَسْكَرِيَّة، وليسوا في وضع يسمح لهم باستخدام القوة. وإذا كان رد فعل مُكَافَحَة التَّمَرُّد ضعيفًا نسبيًا، يكون المتمرد قد نجا من التحدي الأول، وأدرك الهامش الَّذِي يمكنه العمل من خلاله، وتراجع مستوى ضعفه.

ثُمَّ إذا سار كُلّ شيء على ما يرام، يكون المتمرد حينها قد أنشأ حزبه ونظم جبهته الشعبية، فيقرر الآن بدء حرب العصابات كخطوة ثالثة. وفيما لا تزال قوته العَسْكَرِيَّة ضعيفة أو معدومة، تسمح قوة خصمه الإجمالية بمقاومته، ما يؤدي إلى بلوغ المتمرد أعلى مستويات الضعف، ما لم يتم القضاء عليه. فإذا ما نجا من بطش خصمه، يتراجع ضعفه مرة أخرى وصولًا لتنظيم جيش نظامي له كخطوة رابعة. لكن وحدات جيشه النظامي، والَّتِي لم تعد صغيرة، وفقدت قدرات المراوغة الَّتِي تتمتع بها مجموعات حرب العصابات، باتت تمثِّلُ أهدافًا أفضل لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد التقليدية، فيعود لمرحلة الضعف مرة أخرى. لكن، حين يتجاوز التَّمَرُّد هَذِهِ العقبة، فإنه لن يعود معرضًا للخطر مرة أخرى.

ولو أردنا التمثيل لمستوى ضعف التَّمَرُّد خلال هَذِهِ المرحلة، فسيُمثل بيانياً كما هُوَ موضح في الشكل التالي:

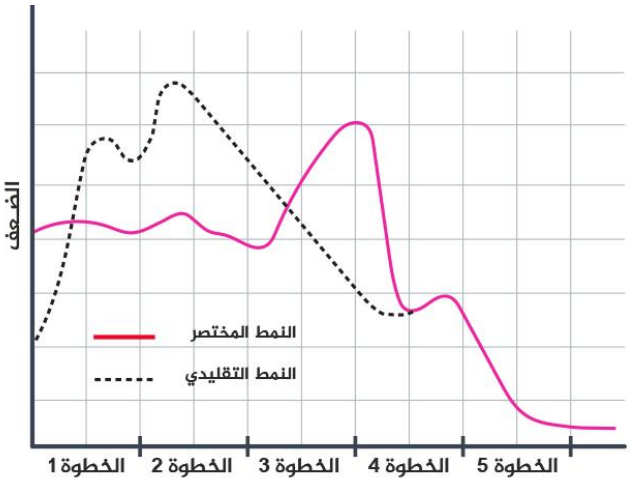

الشكل (6): ضعف المتمردين خلال مسار الحَرْب الثَّوْرِيَّة

مدى ضعفِ التَّمَرُدِ في النمطِ المختصرِ

في الحالة الَّتِي اختار فيها المتمرد اتباع النمط المختصر، يبدأ ضعفه من مستواه الأدنى لكون عمله سريًا في البداية. ويرتفع هَذَا المستوى من الضعف بسرعة بسبب الخطر الَّذِي ينطوي عليه العمل الإرهابي، وَالَّذِي قد تكون قوة الشرطة العادية فيه قادرة على مواجهته ما لم يُخطط له ويُنفذ كما ينبغي. كما أن المتمرد، الَّذِي يحتاج في هَذِهِ المرحلة إلى الدعاية فوق كُلّ شيء آخر، هُوَ أيضًا تحت رحمة رقابة صارمة وسريعة.

ومع ذَلِكَ، فإن عامل المفاجأة يبقى لصالحه، وبإمكانه الاعتماد على حقيقة أن رد فعل مُكَافَحَة التَّمَرُد لن يكون فوريًا أبدًا. فإذا ما نجا المتمرد من الأيام القليلة الأولى من مرحلة "الإرهاب الطائش"، فإن ضعفه حينها يتضاءل.

لكن سرعان ما يرتفع مستوى ضعفه مرة أخرى، فالقوة الكاملة لمكافحة التَّمَرُد تبدأ في التعبئة ضده؛ إذ تبدأ القوات المسلحة، على وجه الخصوص، بالعمل في وقت أقرب بكثير مِنْهُ في النمط التقليدي، فيرتفع ضعف المتمرد إلى مستوى جديد، لكنه إذا نجا، فسيتضاءل ضعفه تدريجياً.

عندما يصل المتمرد إلى الخطوة الثالثة (حرب العصابات) وينخرط مجددًا في النمط التقليدي، فسيكون أقل ضعفًا مما كان عليه لو اختار النمط التقليدي في البداية، فقد نجح بالفعل مسبقًا في تحمل العبء الكامل لرد الفعل المضاد للتمرد.

خلاصة الفصل الثالث

النمط التقليدي	النمط المختصر
خمس مراحل.	مرحلتان.
العمل على كسب السكان.	إجبار السكان على المشاركة (توريط السكان).
يستغرق وقتاً طويلاً.	يختصر سنوات من النضال.
غالباً ما ينجح.	غالباً ما يفشل.

جدول (6): مقارنة بين النمط التقليدي والمختصر في التَّمَرُّد

للتمرد نمطان: التقليدي والمختصر.

1. النمط التقليدي: السمات العامة لِهَذَا النمط مُستمدّة من دراسة الثورات الشيوعية والَّتِي لا تهدف لتثوير طبقة البروليتاريا والإطاحة بالنظام الحاكم فحسب، بل إلى تحويل كامل البلاد للشيوعية، ولها خمس خطوات (مراحل):

الخطوة الأولى: تشكيل الحزب، فالأداة الأساسية في هَذِهِ المرحلة هِيَ الحزب ويبدأ كُلّ شيء بإنشائه، والأولوية هِيَ لضم الفلاحين والبروليتاريا، ويجب البحث عن القادة الأوائل الأكفاء بين المثقفين وخاصة الطلاب، والحرص على قوة الحزب وانضباطه.

يجري الحفاظ على تماسك الحزب من خلال: المركزية الديمقراطية والنقد الذاتي، ويُحافَظ على صفاء الحزب من خلال جهاز قضائي منهجي ومُنظَّم. ويجب تنظيم الحزب في جهازين علني وسِرِّي، وتُعتبر مهمة إنشاء الحزب أصعب المهام.

الخطوة الثانية: الجبهة المتحدة، يجب حشد الحلفاء حول الحزب، مع الانتباه لتطويق الحلفاء المُريبين قبل أن يصلوا لمرحلة يمكنهم فيها تعريض البرنامج الأساسي للمتمردين للخطر، ويجب ألا يندمج الحزب مع الحلفاء حَتَّى لا يفقد هويته. كما يجب أن تبقى النيات الحقيقية لما ينوي الحزب القيام به طي الكتمان، كما يجب طرح برنامج سياسي مُخفف.

وتنخرط أجهزة الحزب السرية في هَذِهِ الفترة في عمل تخريبي على ثلاثة مستويات: مُكَافَحَة التَّمَرُّد، الحلفاء، الجماهير، عن طريق الدعاية والإثارة والإعلان. ويبقى نشاط المتمردين ضمن الحدود الشرعية واللاعنف ودون خوض تمرد مفتوح.

الخطوة الثالثة: الكفاح المسلح. تنبع ضرورة الكفاح المسلح من حقيقة أن:

- **الانتصار العسكري على العدو المحلي هُوَ في الواقع انتصار على العدو العالمي.**
- **حين يستولي المتمرد على السلطة بعد صراع مسلح يكون انتصاره كاملاً وسلطته مطلقة.**
- **الكفاح المسلح يساعد الحزب على اكتساب الخبرة، أما إذا وُضِعَ المُتمرد في السلطة عن طريق تدخل خارجي، فسيعاني من الضعف لسنوات.**
- **سيتولى الحزب السلطة مع مؤسسة عَسْكَرِيَّة مُجرَّبة وموثوقة وهِيَ ضمانة الحزب في التحول السياسي القادم.**
- **يجلبُ الإقناعُ أقليَّة من المؤيدين لكن القوة تحشد البقية، والقاعدة الأساسية في أي وقت هِيَ عدم استعداء عدد كبير من الأشخاص الَّذِينَ لا يمكن التعامل معهم.**

لا يُعتبر التسلح مُشكلة في هَذِهِ المرحلة، فمتطلبات المتمردين قليلة والأسلحة اللازمة متوفرة بشكل عام، أو يمكن شراؤها وتهريبها، ويمكن تصنيع البعض والاستيلاء على البعض الآخر من العدو.

أفضل طريقة لإحباط معنويات العدو هِيَ اتباع سياسة التساهل تجاه الأسرى، فيجب معاملتهم معاملة حسنة.

ويجب على المتمردين التوفيق بين نشر قواتهم والحاجة إلى وحدة العمل، والحل هُوَ تلقين هَذِهِ القوات عقيدة واضحة ومُشتركة على نطاق واسع.

الطريقة الوحيدة لقبول الحلفاء في الهياكل السياسية ووحدات حرب العصابات دون إضعاف التَّمَرُّد هِيَ: مواجهة الحلفاء انطلاقاً من تفوق الحزب في المجالات التنظيم والانضباط والعقيدة والسياسة والقيادة ويجب على الحزب وحده أن يقود.

الخطوة الرابعة: الحَرْب النظامية، لا بد منها لهزيمة عدو يتسم بالتصميم والإرادة، لكن نشوء الجيش قبل أوانه يُفقِد المتمردَ ميزة المرونة، الَّتِي تتمتَّع بها حرب العصابات، وبالتالي يتسبب بوقوع كارثة.

مصادر السلاح في هَذِهِ المرحلة هِيَ: الاستيلاء على السلاح من العدو والدعم الخارجي. وتبدأ العمليات بغارات مكثَّفة عل وحدات معزولة وغير مُحصَّنَة.

أنواع القواعد الَّتِي يقيمها المتمردون في الميدان:

1- **القواعد النظامية.**
2- **قواعد حرب العصابات.**
3- **مناطق حرب العصابات.**
4- **مناطق محتلة.**

يهدف المتمردون إلى تحويل المناطق المحتلة إلى مناطق حرب عصابات، ومناطق حرب العصابات إلى قواعد حرب، وقواعد الحَرْب إلى مناطق حرب عصابات، وَهَذِهِ الأخيرة إلى قواعد نظامية.

الخطوة الخامسة: حملة التدمير، عند الوصول إلى مرحلة التوازن مع العدو في الأصول العَسْكَرِيَّة وصلابة الهيكل السياسي وحقيقة حشد السكان والنشاط التخريبي للعملاء السريين في مناطق مُكَافَحَة التَّمَرُّد والتفوق النفسي للمتمردين، يتسع نطاق وحجم عمليات المتمردين بشكل سريع.

****

2. النمط المختصر: يقتصر هدف المتمردين في هَذَا النمط على السيطرة على الحكم ويؤجلون مشكلات ما بعد الثَّورَة لوقت لاحق، وله خطوتان:

أ- **الإرهاب الأعمى: بغرض بث الدعاية للحركة وقضيتها، وجذب المؤيدين المحتملين عن طريق التفجيرات وأعمال الحرق العمد والاغتيالات.**

ب- **الإرهاب الانتقائي: يهدف لعزل مُكَافَحَة المتمردين عن الجماهير، وإشراك السكان في النضال، ويتم عبر تنفيذ عمليات اغتيال في أجزاء مختلفة من البلاد، يُستهدَف بعض المسؤولين الحكوميين من ذوي الرتب المُتدنِّية الَّذِينَ يعملون بشكل وثيق مع السكان. ويجري جمع المال من السكان مع إعدام الَّذِينَ يرفضون دفع المال، ولإشراك الناس في التَّمَرُّد يجب نشر مبادرات بسيطة مثل مقاطعة التبغ مع إعدام عدد من المخالفين، وتُنفَّذ الإعدامات علناً. كما يجب الحرص على قطع علاقات السكان مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد وحلفائها المحتملين.**

يختزل هَذَا الأسلوب سنوات من العمل التنظيمي الممل، لكنه غالباً ما يفشل.

الفصل الرابع: مُكَافَحَةُ التَّمَرُّدِ في الحَرْبِ الثَّوْرِيَّةِ البَارِدَةِ

من وجهة نظر قيادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد، يمكن تقسيم الحَرْب الثَّوْرِيَّة إلى مرحلتين:

1. "الحَرْب الثَّوْرِيَّة الباردة"، حَيْثُ يظل نشاط المتمردين قانونيًا وغير عنيف بشكل عام (كما في الخطوتين 1 و2 في النمط التقليدي).

2. "الحَرْب الثَّوْرِيَّة الساخنة"، حَيْثُ يصبح نشاط المتمردين عنيفًا وغير شرعي بشكل علني (كما هُوَ الحال في الخطوات الأخرى في النمط التقليدي وفي العملية الكاملة للنمط المُختَصَر).

يمكن أن يكون التحول من "السلام" إلى "الحَرْب"، كما رأينا، تدريجيًا ومُربِكًا للغاية. حَتَّى عندما يتبع المتمردون أسلوب النمط المختصر، فالعنف تسبقه دائمًا فترة قصيرة من التوترات. فقد اشتبهت الشرطة والإدارة والحكومة في الجزائر مثلاً، خلال صيف عام 1954، أن شيئًا ما كان يُحضَّر في الخفاء.

ولأغراض تحليلية، سنختار لحظة إصدار الأوامر للقوات المسلحة لمكافحة التَّمَرُّد بالتدخل كخط فاصل بين المرحلتين، وسنتناول دراسة حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد بترتيب زمني، بدءًا من "الحَرْب الثَّوْرِيَّة الباردة".

يتسم الوضع في هَذِهِ المرحلة بكون المتمردين يعملون إلى حد كبير في الجانب القانوني، وجزئيًا فقط في الجانب غير القانوني، من خلال عمليات التخريب الَّتِي يتَّبِعونها. وقد يستحقون حينها وصف المتمردين، وربما لا؛ فإذا ما تم تعريفهم على هَذَا النحو، فإن الشرطة وعددًا قليلاً من الأشخاص في الحكومة فقط يدركون بشكل عام الأزمة المقبلة الَّتِي تلوح في الأفق.

تنبع المشكلة الأساسية لمكافحة التَّمَرُّد من حقيقة أن الشعب لن يتجاوب مع الخطر الفعلي بالمستوى المطلوب، فالخطر المُحتَمَل كبير، ولكن كيف نُثبِتُ ذَلِكَ على أساس الحقائق الموضوعية المُتاحَة؟ كيف يمكن تبرير الجهود والتضحيات اللازمة للقضاء على التَّمَرُّد الأوَّلي؟ إذا كان المتمرد يعرف كيف يدير حربه، فإنه يعتمد على هَذَا الوضع بالتحديد، وسيحرص على أن يكون الانتقال من السلام إلى الحَرْب أمرًا تدريجيًا بالفعل.

تقدم حالة الجزائر مثالاً ممتازًا على معضلة مُكَافَحَة التَّمَرُّد، لأن المتمردين بذلوا جهدًا للبدء بـ "انفجار كبير"، ومع ذَلِكَ استمرت المعضلة. حدد المتمردون الجزائريون في أذهانهم، الأول من نوفمبر 1954 تاريخًا للبدء بتمردهم الكبير. حينها وقع سبعون عملاً منفصلاً موزعين على جميع أنحاء المنطقة، من إلقاء قنابل، واغتيالات، وعمليات تخريب، ومضايقات طفيفة لمواقع عَسْكَرِيَّة معزولة، وجميعها لم يكن فعَّالاً إلى حدٍّ بعيد، ثُمَّ لم يحصل أي شيء!

بحسب محمد بوضياف، أحد كبار مخططي التَّمَرُّد، كَانَت النتائج "كارثية في جزء كبير من الجزائر. ففي منطقة وهران، على وجه الخصوص، كان القمع وحشيًا وفعالاً للغاية، وكان من المستحيل بالنسبة لي خلال أول شهرين حَتَّى إنشاء اتصال بين الريف (في المغرب الإسباني)[1] ومنطقة وهران."[2] فهل كان ذَلِكَ كافياً لتبرير تعبئة الموارد والطاقة الفرنسية، وتعطيل الاقتصاد، وفرض حالة الحَرْب في البلاد؟

في ظل هَذِهِ الظروف، ثمة أربع مسارات عمل عامة مفتوحة لقيادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد، كما أنها غير متعارضة، وهِيَ:

1. التعامل مباشرة مع قادة المتمردين.
2. التعامل مع التَّمَرُّد بشكل غير مباشر حسب الظروف المواتية.
3. اختراق حركة التَّمَرُّد وإفقادها فعاليتها.
4. إعادة بناء أو دعم الكيان السياسي لمكافحة التَّمَرُّد.

[1] المركز، هِيَ المنطقة الَّتِي احتلتها إسبانيا شمال المغرب لتصبح محمية تابعة لها، وانتهت هَذِهِ الحماية عام 1956 عندما اعترفت كُلّ من إسبانيا وفرنسا باستقلال المغرب، إلا مدينتي سبتة ومليليه.

[2] لوموند (باريس) في 2 نوفمبر 1962.

التَّحْرُكُ المُبَاشَرُ ضِدَّ التَّمَرُّدِ

يتمثل النهج المباشر في حرمان المتمرد من أي إمكانية مادية لبناء حركته. في هَذِهِ المرحلة، لا تمتلك حركة المتمردين بشكل عام حياة خاصة بها، فكل شيء يعتمد على قادتها، الَّذِينَ هم بالتالي العناصر الأساسية للتمرد. وباعتقال هَؤُلَاءِ أو تقييد قدرتهم على الاتصال بالناس، وعزلهم في المحاكم، وحظر مُنظَّماتِهِم ومنشوراتهم إذا لزم الأمر، قد تقضي السلطات على التَّمَرُّد في مهده.

تبدو مثل هَذِهِ الطريقة سهلة بطبيعة الحال في البلدان الشمولية، لكنها بالكاد تكون مجدية في الدول الديمقراطية. فقد تظهر إحدى الحالتين: إما أن تكون الحكومة المناهضة للتمرد قد جهزت نفسها بالفعل كإجراء وقائي (حَتَّى في غياب ضغط المتمردين) بسلطات وقوانين خاصة مصممة للتعامل مع التمردات. وفي هَذِهِ الحالة، يكمن التحدي الكبير في التصرف دون إعطاء دعاية لا داعي لها للمتمردين، وهِيَ مسألة مهمة خاصة إذاً ما كَانَت قضية المتمردين تحظى بقبول شعبي واسع.

أما الاحتمال الآخر فيتمثل في كون سلطات مُكَافَحَة التَّمَرُّد ربما لم تُقدِّم لنفسها مسبقًا الصلاحيات اللازمة، وهكذا، عندما تحاول التحرك مباشرة ضِدّ المتمردين، فإنها تفتح على نفسها بابًا لِكُلِّ الشرور. لذا، يجب على السلطات تبرير الاعتقالات: فعلى أي أساس تتم هَذِهِ الاعتقالات؟ وما هُوَ الحد الفاصل بين المعارضة السياسية العادية، من ناحية، والمُخرِّبين، الَّذِينَ يَصعُبُ تحديدهم في أفضل الظروف؟ يستطيع المتمرد المُعتَقل الاعتمادَ تلقائيًا على بعض الدعم من أحزاب وجماعات المعارضة الشرعية. وحين يُحال إلى المحاكم، سوف يلجأ إلى الخداع، ويستغل إلى حد كبير كُلّ ميزة توفرها له القوانين القائمة. والأسوأ من ذَلِكَ، أن المحاكمة نفسها ستكون بمثابة منبر لقضيته. وستظهر المنظمات المحظورة مرة أخرى تحت مسميات أخرى، وستتحمل مُكَافَحَة التَّمَرُّد عبء إثبات علاقاتها مع المنظمات القديمة.

ستضطر مُكَافَحَة التَّمَرُّد حتماً إلى تعديل الإجراءات العادية، ولكن تحت الضغط هَذِهِ المرة. ومن السهل على المراقب تقييم صعوبة الأمر عندما يتذكر المرء أن الأمر استغرق حوالي عشر سنوات في الولايات المتحدة لحظر الحزب الشيوعي، الَّذِي لم يكن لديه حَتَّى أي جاذبية كبيرة للسكان. (يزعم البعض، وهُوَ مُحقُّون، أن الأمر كان سيستغرق وقتًا أقل فيما لو شكَّل الحزب خطرًا فعليًا).

ونظرًا لأن التغييرات القانونية تكون بطيئة، فقد تميل سلطات مُكَافَحَة التَّمَرُّد إلى المضي قدمًا والعمل خارج الإطار القانوني. وقد تبدأ سلسلة من الإجراءات القمعية التعسفية، وسرعان ما يجد الشعب نفسه رازحاً تحت القيود المفروضة، وتزداد المعارضة، وبالتالي سيشكر المتمرد خصمه على الخدمات المجانية الَّتِي قدمها له.

لذا، يمكن الاستنتاج بشكل منطقي نسبيًا أن النهج المباشر يعمل بشكل جيد بشروط:

1. **ألا تحظى قضية المتمردين بقبول كبير (لكننا افترضنا أن أي متمرد حكيم لن يبدأ تمرده ما لم يتحقق له شرط القضية الَّتِي تجد قبولاً بين الناس).**
2. **أن تكون لمكافحة التَّمَرُّد السلطة القانونية للتحرك.**
3. **يمكن لمكافحة التَّمَرُّد أن تمنع المتمردين من الترويج لدعايتهم.**

العملُ غيرُ المباشرِ ضِدَّ التَّمَرُّدِ

رأينا في الفصل الثاني كيف أن التَّمَرُّد لا يمكنه التطور بشكل طبيعي ما لم يستوفِ شرطين أساسيين: وجود سبب يبرره، وضعف خصمه. كما أن هناك شرطان آخران، بالرغم من أنهما غير ضروريين تمامًا، إلا أنهما مفيدان أيضًا للمتمردين: العوامل الجغرافية والدعم الخارجي، ومن خلال العمل على تعطيل هَذِهِ الشروط، يمكن لمكافحة التَّمَرُّد أن تأمل في إحباط تنامي حركة تمرد.

والعوامل الجغرافية أمر واقع لا يمكن تغييره أو التأثير عليه بشكل كبير إلا من خلال تشريد السكان، وهُوَ تصرف عبثي في وقت السلم، أو عن طريق بناء حواجز وعوائق، وهُوَ أمر مكلف للغاية في وقت السلم. كما توفر مسألة الدعم الخارجي فسحة إضافية، ولكنها تقع إلى حد كبير خارج نطاق سيطرة مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

إن حرمان المتمردين من القضية المُحقّة يرقى إلى حل المشكلات الأساسية للبلاد. فإذا كان هَذَا ممكنًا، فبها ونعمت، لكننا نعلم الآن أن الدافع الجيد للتمرد هُوَ الدافع الَّذِي لا يمكن لخصمه تبنِّيه دون أن يُفقده ذلك قوته. ثم إن المشكلات التي تقدم دافعاً جيداً للمتمردين هي في الحقيقة غير قابلة للحل عادةً، فهل هناك حل ذكي للمشكلة العرقية في جنوب أفريقيا؟ ستبقى هَذِهِ المشكلة موجودة طالما أن جنسين مختلفين يعيشان في المنطقة نفسها.

يبدو أن التخفيف من نقاط الضعف في نظام حكم مُكَافَحَة التَّمَرُّد أكثر فعالية. فتكييف النظام القضائي مع التهديد المُتوقَّع، وتقوية البيروقراطية، وتعزيز الشرطة والقوات المسلحة، جميعها خطوات قد تُفشِلُ محاولات التَّمَرُّد، فيما لو كَانَت قيادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد حازمة ويقظة.

اختراقُ حركةِ التَّمَرُّدِ

إن حركة التَّمَرُّد تكون في مهدها صغيرة بالضرورة؛ وبالتالي، تحظى آراء ومواقف أعضائها في الفترة المبكرة بأهمية أكبر من أي وقت آخر. فجميع هَؤُلَاءِ الأعضاء، إن جاز التعبير، "جنرالات بلا قوات". والتاريخ مليء بحركات سِيَاسِيَّة غامضة نشأت واختفت بعد وقت قصير من إنشائها لأن المؤسسين لم يتفقوا على الحركة وانقسموا.

إن أي حركة متمرِّدة شابَّة تفتقر بالضرورة إلى الخبرة، وينبغي أن يكون من السهل نسبيًا أن تتعامل مُكَافَحَة التَّمَرُّد مع العملاء الَّذِينَ سيساعدون في تفكيكها من الداخل وإخراجها عن مسارها، فإذا لم ينجحوا في ذَلِكَ، فيمكنهم على الأقل الإبلاغ عن نشاطهم.

يمكن ذكر حالتين مشهورتين للاختراق من الداخل: ففي روسيا القيصرية، نجحت الـ "أوخرانا"[1] في اختراق الحزب البلشفي إلى حد كبير، وبدرجة من التناسق جعلت من الصعب أحيانًا على من يراهم أن يميز ما إذا كانوا بلاشفة أم عملاء، حَتَّى استطاعت الأوخرانا تنفيذ عملية اغتيال لدوق كبير في عملية مخطط لها بإحكام، وعندما استولى البلاشفة المنتصرون على سجل أوخرانا، اكتشف لينين أن بعض المقربين مِنْهُ كانوا في مواقع مهمة في شرطة القيصر.

في النهاية، لم تنجح هَذِهِ المحاولة، لكن حالة أخرى أظهرت نتائج أفضل حَتَّى الآن. فمن المعروف جيداً أن الحزب الشيوعي الأمريكي قد اختُرِق من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي FBI لدرجة أنه لم يعد تهديدًا على السلطات الأمريكية.

هناك الكثير من المزايا في هَذِهِ الفكرة، ولكن يجب أن نتذكر أنه كلما طالت مدة حركة التَّمَرُّد، كلما كَانَت فرصها في النجاة من أمراض نشأتها واكتسابها الخبرة أفضل. وطبعًا، يمكن لحركة التَّمَرُّد أن تتضاءل من تلقاء نفسها، دون أي تدخل خارجي. ومع ذَلِكَ، فإن الاعتماد على الحظ لا يُعتَبرَ سياسة ناجحة.

[1] الشرطة السياسية السرية للإمبراطورية الروسية بين القرنين التاسع عشر والعشرين.

دعمُ الكيانِ السياسيِّ

تميل معظم جهود مُكَافَحَة التَّمَرُّد في الحَرْب الثَّوْرِيَّة "الساخنة" -كما سنبيِّن فيما بعد- إلى بناء كيان سياسي على مستوى القاعدة الشعبية، لعزل المتمردين عن السكان إلى الأبد.

تصلح هَذِهِ الإستراتيجية تمامًا، والَّتِي لن نتطرق إليها بالتفصيل الآن، في الحَرْب الثَّوْرِيَّة الباردة، وسيكون تنفيذها بشكل وقائي أسهل مما يكون عليه الحال عند سيطرة المتمردين بالفعل على السكان. تمُثِّل هَذِهِ الإستراتيجية، بالنسبة لنا، مسار العمل الرئيسي لمكافحة التَّمَرُّد، لأنها لا تترك فرصة كبيرة للمصادفة، وتستفيد بشكل كامل من إمكانيات مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

قد يكون من المفيد أن نتذكر أن الكيان السياسي في زمن السلم مبنِّيٌ أساسًا على الولاء والمحاباة.

ملخَّصُ الفصلِ الرابعِ

ينقسم التَّمَرُّد من منظور مُكَافَحَة التَّمَرُّد لمرحلتين:

أ- الحَرْب الثَّوْرِيَّة الباردة: حَيْثُ يكون نشاط المتمردين قانونياً وغير عنيف بشكل عام.

ب- الحَرْب الثَّوْرِيَّة الساخنة: حَيْثُ يصبح نشاط المتمردين عنيفاً وغير شرعي علناً.

تسبق فترة إصدار الأوامر للقوات المسلحة بالتدخل فترة من الاضطرابات، وهنالك أربع مسارات عمل لمكافحة التَّمَرُّد للتعامل مع التَّمَرُّد:

1. التحرك المباشر ضِدّ قادة التَّمَرُّد: ويهدف إلى حرمان المتمرد من أي إمكانية مادية لبناء حركته، حَيْثُ يعتمد التَّمَرُّد في مرحلته الأولى بالكامل على القادة، لذا قد يؤدي اعتقالهم، أو تقييد حركتهم واتصالهم بالناس إلى القضاء على التَّمَرُّد في مهده.

ويكون هَذَا مجدياً في الدول الشمولية لكنه ليس كذلك في الدول الديمقراطية، حَيْثُ تواجه هَذِهِ الدول خيارين:

- **الأول، أن تكون الدولة المُكافحة للتمرد قد جهَّزت نفسها بالفعل كإجراء وقائي بسلطات وقوانين خاصة مصممة للتعامل مع التمردات.**
- **الثاني، ألا تكون سلطات مُكَافَحَة التَّمَرُّد قد قدمت لنفسها مسبقاً الصلاحيات اللازمة وستضطر مُكَافَحَة التَّمَرُّد إلى تعديل الإجراءات العادية تحت الضغط، أما إذا طبَّقَت مُكَافَحَة التَّمَرُّد سلسلة من الإجراءات القمعية التعسفية فسيكون هَذَا بمثابة خدمة للتمرد.**

يعمل نمهج التحرك المباشر بشكل جيد بشروط:

- **ألا تحظى قضية المتمردين بقبول كبير.**
- **أن تتمتع مُكَافَحَة التَّمَرُّد بالسلطة القانونية للتحرك.**
- **تتمكن مُكَافَحَة التَّمَرُّد من منع المتمردين للترويج لدعايتهم.**

2. العمل غير المباشر ضِدّ التَّمَرُّد: أفضل ما تقوم به مُكَافَحَة التَّمَرُّد هُوَ حرمان المُتمرد من القضية المحقة، لكن هَذَا ما لا ينجح في الغالب، لذا يؤدي اتباع نهج التخفيف من نقاط الضعف في نظام حكم مُكَافَحَة التَّمَرُّد، مثل تكييف النظام القضائي مع التهديد المتوقع،

وتقوية البيروقراطية، وتعزيز الشرطة والقوات المسلحة، إلى إفشال التَّمَرُّد في حال كَانَت مُكَافَحَة التَّمَرُّد يقظة وحازمة.

3. اختراق حركة التَّمَرُّد: يمكن اختراق حركة التَّمَرُّد في مهدها حين تكون صغيرة وجميع أعضائها مشاريع قادة.

4. دعم الكيان السياسي: بناء كيان سياسي لمكافحة التَّمَرُّد على مستوى القاعدة الشعبية لعزل المتمردين عن السكان تماماً.

الفصل الخامس: مُكَافَحَةُ التَّمَرُّدِ في الحَرْبِ الثَّوْرِيَّةِ الساخنةِ

عندما تدخل القوة حيز التنفيذ في حرب ثورية ما، فإن لها فضيلة فريدة تتمثل في إزالة العديد من الصعوبات أمام مُكَافَحَة التَّمَرُّد، ولا سيما مسألة القضية. فالسراب الأخلاقي سيتبدد عاجلاً أم آجلاً، ليسفر العدو عن وجهه بشكل أوضح، ويصبح تبرير الإجراءات القمعية أسهل من ذي قبل. لكن القوة تضيف بالطبع صعوباتها الخاصة.

عادة ما يتوافق الوضع عند نقطة انطلاقنا في دراسة الحَرْب الثَّوْرِيَّة الساخنة -أي اللحظة الَّتِي أُمرت فيها القوات المسلحة بالتدخل- مع النمط التالي:

1. نجح المتمرد في بناء تنظيمه السياسي. فإما أنه يدير حزبًا نخبويًا يقود جبهة موحدة، أو حركة ثورية كبيرة مرتبطة بالقضية. وعلى الرغم من أن نشاطه -بخلاف التخريب- علني، إلا أنه يعمل في الخفاء.
2. تكشف خريطة الدولة عن ثلاثة أنواع من المناطق:

- المناطق "الحمراء": حَيْثُ يسيطر المتمردون بشكل فعال على السكان ويشنون حرب عصابات.
- المناطق "الوردية": الَّتِي يحاول المتمردون التوسع فيها، عبر بذل بعض الجهود في تنظيم السكان والقيام ببعض عمليات حرب العصابات.
- المناطق "البيضاء": الَّتِي لم تتأثر بالتمرد بعد، ولكنها مع ذَلِكَ مُهدَدَة، إذ تتعرض لعمليات تخريب المتمردين، لكن كُلّ شيء يبدو هادئًا.

في هَذِهِ الأوضاع، يسود الارتباك معسكر مُكَافَحَة التَّمَرُّد، فالكل مدرك لوجود حالة طوارئ، لكن الشعور بالأزمة منتشر على نطاق واسع في الدوائر الحكومية أكثر مِنْهُ بين سكان المناطق البيضاء وحَتَّى الوردية. هنا تصبح حالة الولاء الحقيقي لِكُلِّ مواطن عرضة للشك، فيما يضع العوام علامات استفهام على القيادة وسياستها، والمؤسسات السياسية والقضائية والعَسْكَرِيَّة المُعدَّة للأيام العادية لم تتكيف بعد مع متطلبات الوضع، في ظل تدهور سريع للاقتصاد، وارتفاع في مصاريف الحكومة فيما دخلها آخذ في الانخفاض.

في المجال النفسي، يتمتع المتمردون بالأفضلية، لأنهم يستغلون قضية لولاها لما تمكَّنوا من تطوير تمردهم لمستوى الانخراط في حرب العصابات أو عمليات الإرهاب. بينما تتشتت

قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد بين ضرورة حراسة المناطق الرئيسية والمنشآت الثابتة، وحماية الأرواح والممتلكات، وضرورة تعقُّب المتمردين.

مع وضع هَذِهِ الصورة العامة في الاعتبار، نناقش الآن السبل المختلفة المتاحة لمكافحة التَّمَرُّد.

قوانين ومبادئ حرب العصابات المضادة

حدود الحَرْب التقليدية

لنفترض أن الصعوبات السياسية والاقتصادية قد حُلت بطريقة سحرية أو ثبت إمكانية معالجتها[1]، وأن المشكلة الَّتِي تبقت هِيَ المشكلة العَسْكَرِيَّة، أي: كيفية قمع قوات المتمردين. هَذِهِ المشكلة ليست مشكلة معدات، فعلى الرغم من أن قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد قد تكون مشتتة، إلا أنها لا زالت تتفوق إلى حد كبير على قوات المتمردين. لكن المشكلة في الأساس مشكلة إستراتيجية وتكتيكات وأساليب وتنظيم الحَرْب.

تقضي إستراتيجية الحَرْب التقليدية بغزو أراضي العدو وتدمير قواته، لكن المشكلة هنا تكمن في أن المتمردين لا يملكون أي أرض، ويرفضون الانصياع للسلطات، فهم في كُلّ مكان، دون حيازة مكان محدد. من خلال تركيز القوى الكافية، يمكن لمكافحة التَّمَرُّد في أي وقت اختراق منطقة حمراء وتحصينها، وإذا تواصل القيام بِهَذِهِ العمليات بشكل جيد، فإنها قد تقلل من نشاط حرب العصابات، ولكن حين يضيق الأمر على قوات المتمردين، فسينقلون نشاطهم إلى منطقة أخرى وتبقى المشكلة دون حل، بل قد يتفاقم الأمر في كثير من الأحيان إذا ركزت مُكَافَحَة التَّمَرُّد قوتها في منطقة معينة على حساب مناطق أخرى.

يتطلب تدمير قوات المتمردين تحديد أماكنهم وتطويقهم على الفور. لكن هَذِهِ القوات أصغر من أن تُرصد بسهولة من خلال وسائل المراقبة المباشرة لمكافحة التَّمَرُّد. لذا فالمخابرات هِيَ المصدر الرئيسي للمعلومات المتعلقة بأفراد حرب العصابات، ويجب أن يكون مصدرها السكان، لكن هَؤُلَاءِ لن يتحدثوا ما لم يشعروا بالأمان، ولن يشعروا بالأمان ما لم تُكسر قوة المتمردين.

---

[1] ما عدا المشكلات النفسية بالطبع، والَّتِي لا يمكن الحد منها إلا بإطالة أمد الحَرْب. ولحل ذَلِكَ، يتوجب على مُكَافَحَة التَّمَرُّد أن تتبنى قضية المتمردين دون أن تفقد قوتها وسلطتها في الوقت نفسه. فإذا أمكنها القيام بذلك، فسيكون اعتماد هَذِهِ القضية من قبل المتمردين أمرًا سلبيًا من الناحية التكتيكية.

كما أن قوات المتمردين كثيرة الحركة، بِحَيْثُ لا يمكن تطويقها وإبادتها بسهولة، فإذا ما أرادت مُكَافَحَة التَّمَرُّد، عند تلقِّيها أخبارًا عن رصد مقاتلي المتمردين، استخدام قواتها الجاهزة على الفور، فمن المحتمل أن تكون هَذِهِ القوات غير كافية لتنفيذ المهمة، وإذا أرادت جمع قوة أكبر، فسيضيع الوقت عليها، وربما تخسر عنصر المفاجأة.

صحيح أن وسائل النقل الحديثة -خاصة طائرات الهليكوبتر عند توفرها- تسمح لمكافحة التَّمَرُّد بالجمع بين عاملي القوة والسرعة. وصحيح أن العمليات المنهجية واسعة النطاق، نظرًا لحجمها الكبير، قد خففت إلى حد ما من قدرة الاستخبارات والحركة المضادة للتمرد. ولكن مع ذَلِكَ، ليس للعمليات التقليدية في حد ذاتها، وفي أحسن الأحوال، تأثير أكثر من تأثير المضرب اليدوي على الذباب. كما لا بد أن يُقبض على بعض المتمردين، لكن المجندين الجدد سيحلون محلهم بوتيرة أسرع.

وإذا استمرت عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد وطالت لعدة أشهر، فقد تتكبد خسائر فادحة يصعُب تعويضها سريعاً. فالسؤال هنا، هل يمكن لعمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد أن تحافظ على استمراريتها؟

إذا كَانَت مُكَافَحَة التَّمَرُّد قوية للغاية، بِحَيْثُ تكون قادرة على حماية الدولة بأكملها، فإن العمليات العَسْكَرِيَّة على طول الخطوط التقليدية بالطبع ستنجح. فالمتمرد، سيصل لمستوى معين يعجز بعده عن النمو، وهنا سيبدأ بالتضاؤل ببطء. ولكن نادرًا ما يمكن توفير هَذِهِ الحماية الكاملة للدولة.

لماذا لا تناسب حرب العصابات مُكَافَحَة التَّمَرُّد؟

تتيح حرب العصابات لمعسكر المتمردين الَّذِينَ يعانون من الضعف بداية الأمر اكتسابَ القوة تدريجياً أثناء القتال. أما قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد فتتمتع بقوة بنيوية؛ لذا فتبنِّيها لحرب العصابات يجعلها أشبه بعملاق يحاول أن يرتدي ملابس قزم.

كيف تقاتل؟ وضد من؟ هل يمكنها على سبيل المثال استخدام تكتيكات المتمردين؟

إنها الطرف الَّذِي يشكِّل أهدافاً سهلة لعمليات حرب العصابات. فإذا أرادت العمل كمجموعات حرب عصابات، فسيتعيَّن عليها الحصول على دعم فعال من السكان، يضمنه تنظيمها السياسي بين الجماهير؛ وإذا كَانَت السلطات تمتلك دعم الجماهير، فمعنى ذَلِكَ أن المتمرد لا يمتلك هَذَا الدعم، وبالتالي لا يمكنه القيام بتمرده؛ وهنا لن تكون هناك

حاجة لعمليات حرب العصابات بالنسبة لمكافحة التَّمَرُّد. هَذَا الأمر لا يعني أن لا مكان في حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد لعمليات صغيرة من نوع الكوماندوس، لكنها لا يمكن أن تمثل الشكل الرئيسي للحرب المضادة للتمرد.

هل من الممكن لمكافحة التَّمَرُّد أن تُنظِّمَ قوة سرِّيَّة قادرة على هزيمة المتمردين بأساليبهم؟ يبدو أن السرية هِيَ إحدى تِلْكَ الالتزامات الَّتِي تحولت إلى ثوابت لدى المتمردين. فكيف يمكن لمكافحة التَّمَرُّد، الَّتِي تنبع قوتها تحديدًا من أصولها المادية المعلنة، أن تبني قوة سرية، إلا كمساعد ثانوي وجانبي؟ علاوة على ذَلِكَ، فإن مساحة المنظمات السرية محدودة للغاية في الحَرْب الثَّوْرِيَّة. إذ تظهر التجربة أنه فيما لو وُجِدَ منافس لحركة التَّمَرُّد، كحركة سرية أخرى، فإن الطرفان لا يمكنهما التعايش مع بعضهما لفترة طويلة، وسيمتص أحدهما الآخر.

نجح الشيوعيون الصينيون، في المناطق الَّتِي تحتلها اليابان في شمال ووسط الصين، في قمع نظرائهم القوميين بشكل شبه كامل. وفي وقت لاحق، خلال الجولة النهائية من الحَرْب الثَّوْرِيَّة في الصين، اختفى قطاع الطرق العاديون (وهِيَ مهنة معتادة ومعترف بها تقريبًا في بعض أجزاء الصين) بمجرد مجيء رجال حرب العصابات الشيوعيين. وقضى تيتو على ميخائيلوفيتش[1].

وإن كان الشيوعيون في اليونان لم يقضوا على مجموعات المقاومة القومية، فذلك يرجع إلى مستوى ضبط النفس الَّذِي كان عليهم إبداؤه، فقد كانوا يعتمدون كليًا على دعم الحلفاء الغربيين. أما في الجزائر، فقد قضت جبهة التحرير الوطني في المرحلة الأخيرة، ولأهداف عملية، على الحركة الوطنية الجزائرية MNA المُنافِسة لها والأقدم منها. ولأن المتمردين كانوا أول من احتل المكان الشاغر، فإن محاولات إدخال حركة سرية أخرى معهم لن تحظى بفرصة مُعتَبرَة للنجاح.

هل يمكن لمكافحة التَّمَرُّد استخدام الإرهاب أيضًا؟ طبعًا سيكون لذلك عواقب وخيمة، فالإرهاب مصدر فوضى، وهَذَا بالضبط ما تجهد مُكَافَحَة التَّمَرُّد لإيقافه.

فإذا لم تنجح الحَرْب التقليدية، ولم تنجح حرب العصابات، فإن الاستنتاج الَّذِي لا مفر مِنْهُ هُوَ أن على مُكَافَحَة التَّمَرُّد أن تطبق أسلوب حرب خاص بها، لا يأخذ بعين الاعتبار

---

[1] دراجا ميخائيلوفيتش، ضابط كرواتي خاض الحَرْب العالمية الأولى ضِدّ النازية، وناصر الملكية اليوغسلافية ضِدّ الشيوعية بعد الحَرْب، واستطاع الشيوعيون بقيادة تيتو القبض عليه عام 1946 وحُكِمَ عليه بالإعدام بتهمة الخيانة العظمى.

طبيعة وخصائص الحَرْب الثَّوْرِيَّة فحسب، بل وأيضًا القوانين الأساسية الخاصة بمكافحة التَّمَرُّد والمبادئ المستمدة منها.

القانون الأول: دعم السكان ضروري لمكافحة التَّمَرُّد كما هُوَ ضروري للمتمردين

ما هُوَ جوهر المشكلة بالنسبة لمكافحة التَّمَرُّد؟ إنها ليست في كيفية تطهير منطقة ما من المتمردين، فقد رأينا أنها قادرة دائمًا على تركيز قوى كافية للقيام بذلك، حَتَّى لو اضطرت إلى المخاطرة من أجل تحقيق الزخم الضروري. إنما تكمن المشكلة في الحفاظ على منطقة نظيفة، بِحَيْثُ تكون لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد حرية العمل في مكان آخر.

ولا يمكن تحقيق ذَلِكَ إلا بدعم من السكان. فحتى ولو كان تشتيت وطرد قوات المتمردين من منطقة معينة بعمل عَسْكَرِيّ بحت سهلاً بعض الشيء، وحَتَّى لو كان تدمير المنظمات السياسية المتمردة من خلال عمل استخباراتي مُكثَّف سهلاً أيضاً، إلا أنه من المستحيل منع عودة مجموعات حرب العصابات وإعادة بناء الخلايا السياسية ما لم يتعاون السكان في هَذَا الشأن.

وبالتالي، يصبح كسب السكان هدفًا لمكافحة التَّمَرُّد كما كان هدفًا للمتمردين. إن دعم السكان الضمني، وخضوعهم للقانون والنظام، والرأي العام -الَّذِي يعتبر أمرًا مفروغًا مِنْهُ في الأزمنة العادية- كُلّ ذَلِكَ قد تراجع بفعل نشاط المتمردين. والحقيقة هِيَ أن المتمرد، مع تنظيمه على مستوى القاعدة الشعبية، هُوَ أقوى الطرفين من الناحية التكتيكية حين يتعلق الأمر بالمستوى الشعبي.

فتأمين دعم السكان هِيَ المهمة المطلوبة في هَذِهِ المرحلة، بالرغم من العائق الأيديولوجي أمام مُكَافَحَة التَّمَرُّد والأسبقية الَّتِي اكتسبها المتمردون على المستوى الشعبي.

القانون الثاني: كسب الدعم من خلال أقلية فاعلة

بناء على ما سبق، باتت المشكلة الأصلية الآن في كيفية الحصول على دعم السكان، ليس فقط في شكل التعاطف والموافقة، ولكن أيضًا في المشاركة النشطة في الحَرْب ضِدّ المتمردين.

تكمن الإجابة في الاقتراح التالي، الَّذِي يعبر ببساطة عن المبدأ الأساسي لممارسة السلطة السياسية:

> في أي موقف، ومهما كان السبب، ستكون هناك أقلية فاعلة في سبيل القضية، وأغلبية محايدة، وأقلية فاعلة ضِدّ هَذِهِ القضية.

يتمثل هَذَا الأسلوب في الاعتماد على الأقلية المؤيدة لحشد الأغلبية المحايدة، وتحييد الأقلية المعادية أو القضاء عليها.

في الحالات القصوى، عندما تكون القضية والظروف ملائمة أو سيئة بشكل خارج عن المألوف، تختفي إحدى الأقليات أو تصبح مهملة، وقد يكون هناك إجماع قوي بين السكان مع/ ضِدّ القضية. لكن من الواضح أن مثل هَذِهِ الحالات نادرة.

ينطبق هَذَا على كُلّ نظام سياسي، من أقسى الديكتاتوريات إلى الديمقراطيات الأكثر اعتدالاً. فيما تختلف الدرجة والقضية الَّتِي يُطبَّق عليها هَذَا القانون. قد يفرض الدستور والأعراف قيودًا، وقد تكون القضية ملائمة أو سيئة، لكن هَذَا القانون يظل صالحًا بشكل أساسي مهما كَانَت الاختلافات، والَّتِي يمكن أن تكون كبيرة بالفعل، غير أنه يُطبق دون وعي في معظم البلدان.

ولكن، عندما يتعلق الأمر بمصير قوة مُكَافَحَة التَّمَرُّد الَّتِي تتحداها بشكل مباشر أقلية نشطة من خلال استخدام التخريب والعنف، في بلد محاصر بحرب ثورية، فإنه لا يمكن تجاهل هَذَا القانون أو تطبيقه دون وعي. إن مُكَافَحَة التَّمَرُّد الَّتِي ترفض استخدام هَذَا القانون لأسبابها الخاصة، والَّتِي تلتزم بقيود زمن السلم، إنما تميل إلى إطالة أمد الحَرْب دون الاقتراب من النصر.

إن فرض القيود على السكان وتمديدها لفترة طويلة مسألة أخلاقية خطيرة للغاية، ولكنها ليست أخطر من توظيف هَؤُلَاءِ السكان المدنيين في إطار حرب تقليدية. والحُرُوب

كلها قاسية، وربما تكون الحَرْب الثَّوْرِيَّة في طليعة هَذِهِ الحُرُوب القاسية، لأن كُلّ مواطن، مهما كَانَت ميوله، يشارك -أو سيشارك- فيها بشكل مباشر ونشط عبر المتمردين الَّذِينَ يحتاجون إليه ولا يسمحون له بالبقاء على الحياد.

إن قسوة الحَرْب الثَّوْرِيَّة ليست نتيجة أعمال جماهيرية، وليست من صنيع أفراد مجهولين، وإنما يقوم بها أشخاص معينون وبدوافع شخصية للغاية. لذا، لا يمكن لمكافحة التَّمَرُّد أن ترتكب خطأً أعظم من إطالة أمد الحَرْب، وإلا فعليها الاستسلام في وقت باكر منها.

الآن، يمكن تحديد المشكلة الإستراتيجية لمكافحة التَّمَرُّد على النحو التالي: "إيجاد الأقلية الملائمة وتنظيمها من أجل تعبئة السكان ضِدّ الأقلية المتمردة". إن كُلّ عملية، سواء كَانَت في الميدان العسكري أو في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، يجب أن تكون موجَّهَة لِهَذِهِ الغاية.

من المؤكد أنه كلما كَانَت القضية والظروف أفضل، كلما كَانَت الأقلية النشطة المؤيِّدَة لمكافحة التَّمَرُّد أكبر ومهمتها أسهل، تملي هَذِهِ الحقيقة البديهية الهدف الرئيسي للدعاية، وهُوَ إظهار أن قضية وحالة مُكَافَحَة التَّمَرُّد أفضل من حالة التَّمَرُّد. والأهم من ذَلِكَ، أن تؤكد على ضرورة خروج مُكَافَحَة التَّمَرُّد بقضية مضادة مقبولة لدى الرأي العام.

النصرُ في حربِ مُكَافَحَةِ التَّمَرُّدِ

يمكننا الآن أن نحدد بشكل سلبي وإيجابي مفهوم الانتصار لمكافحة التَّمَرُّد. إن الانتصار لا يعني تدمير قوات المتمردين وتنظيمهم السياسي في منطقة معينة. فإذا دُمر أحدهما، فسيُعاد إنشائه محليًا بواسطة الآخر؛ وإذا دُمر كلاهما، فسيُعاد تكوينهما من خلال تشكيل جديد للمتمردين من الخارج. ويمكن اعتبار عمليات التطهير العديدة الَّتِي قام بها الفرنسيون في سهل القصب في "كوتشينشينا" طوال حرب الهند الصينية مثالًا على ذَلِكَ.

إن الانتصار يكمن في عزل المتمردين بشكل تام عن السكان، ولا تُفرض هَذِهِ العزلة على السكان فرضاً، بل يُحافظ عليها من قبل السكان وبالتعاون معهم. وكمثال على ذَلِكَ: هُزمت جبهة التحرير الوطني في منطقة وهران في الجزائر بين عامي 1959-1960 ففي هَذِهِ المنطقة، الَّتِي تغطي ما لا يقل عن ثلث الأراضي الجزائرية، تضاءلت أعمال جبهة التحرير

الوطني -والَّتِي تشمل كافة النشاطات من إلقاء قنبلة يدوية في مقهى إلى قطع عمود هاتف- إلى ما معدله عمليتان في اليوم.

قد يكون هَذَا الانتصار انتصارًا غير مباشر، إلا أنه، مع ذَلِكَ، نتيجة محتومة (طبعًا، ما لم يتغير الهدف السياسي لحكومة مُكَافَحَة التَّمَرُّد، كما كان الحال في الجزائر).

القانون الثالث: الدعم من السكان مشروط

بمجرد أن يفرض المتمرد سيطرته على السكان، تختفي الأقلية الَّتِي كَانَت معادية له. فقد قُضي على بعض أعضائها، ليكونوا عبرة للآخرين؛ فيما هرب آخرون إلى الخارج؛ وقد أُجبر معظمهم على إخفاء مشاعرهم الحقيقية، فذابوا داخل غالبية السكان؛ حَتَّى أن بعضهم بات يُبدي الدعم للتمرد. فيما يعيش السكان الَّذِينَ يراقبهم مؤيدو التَّمَرُّد النشطين تحت تهديد الاتهام بتشكيل خلايا سِيَاسِيَّة والعقاب الفوري من قبل وحدات حرب العصابات.

إن الأقلية المعارضة للمتمردين لن تظهر ولن تتمكن من الظهور ما لم يَزُل هَذَا التهديد بشكل يسمح لها بإبداء معارضتها. وعلاوة على ذَلِكَ، لن يتمكن أنصار مُكَافَحَة التَّمَرُّد الجدد، حَتَّى بعد زوال هَذَا التهديد، من حشد الجزء الأكبر من السكان، طالما أن السكان غير مقتنعين بإرادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد ووسائلها وقدرتها على كسب الحَرْب. فعندما تكون حياة الإنسان على المحك، يتطلب الأمر أكثر من مجرد دعاية لدفعه للتحرك.

ثمة أربعة استنتاجات من هَذَا القانون:

1- يجب أن تسبقَ العملَ السياسيَّ الفعالَ بين السكان عملياتٌ عَسْكَرِيَّة وأمنية ضِدّ وحدات حرب العصابات والتنظيمات السياسية المتمردة.
2- والإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مهما كَانَت مطلوبة وشعبية، إلا أنها لا تنفع عند عرضها في ظل سيطرة المتمردين على السكان. وقد سقطت محاولة الإصلاح الزراعي في الجزائر عام 1957 عندما اغتالت جبهة التحرير الوطني بعض الفلاحين المسلمين الَّذِينَ حصلوا على بعض الأراضي.
3- تحتاج مُكَافَحَة التَّمَرُّد إلى تحقيق نجاح مُقنِع في أقرب وقت ممكن، لإثبات إرادتها ووسائلها وقدرتها على الانتصار. فلا يمكن لمكافحة التَّمَرُّد الدخول في مفاوضات آمنة إلا من موقع قوة، وإلا سيتحول مؤيدوها المحتملون إلى صف المتمردين.

4- **في الحَرْب التقليدية، تُقيَّمُ القوة وفقًا للمعايير العَسْكَرِيَّة أو غيرها من المعايير الملموسة، كعدد الفِرَق والموقع الَّذِي تشغله والموارد الصناعية، وما إلى ذَلِكَ. أما في الحَرْب الثَّوْرِيَّة، فيجب تقييم القوة وفقًا لمدى دعم السكان، كأن يقاس نفوذ التنظيم السياسي على مستوى القاعدة الشعبية. وتصل مُكَافَحَة التَّمَرُّد إلى موقع القوة عندما تتجسد سلطتها في منظمة سِيَاسِيَّة تنبثق من السكان وتُدعم من قبلهم.**

القانون الرابع: كثافةُ الجهودِ وفعاليةُ الوسائلِ ضروريان

إن العمليات اللازمة لتخليص السكان من تهديد المتمردين وإقناعهم بأن مُكَافَحَة التَّمَرُّد ستنتصر في النهاية هِيَ بالضرورة ذات طبيعة مكثفة وطويلة الأمد، إذ تتطلب تركيزًا كبيراً من الجهود والموارد والأفراد.

يعني هَذَا أنه لا يمكن تخفيف الجهود في جميع أنحاء البلاد، بل يجب تطبيقها على التوالي في منطقة تلو الأخرى.

إستراتيجيةُ مُكَافَحَةِ التَّمَرُّدِ

تطرح المبادئ المستمدة من هَذِهِ القوانين المعدودة، والَّتِي تُرجمت إلى إستراتيجية عامة، أهمية اتباع الإجراءات التالية خطوة بخطوة:

الشكل (7): مبادئ مُكَافَحَة التَّمَرُّد

في منطقة محددة:

1. تركيز عدد كافٍ من القوات المسلحة لتدمير أو طرد مجموعة المتمردين المسلحين الرئيسية.
2. فرز قوات كافية للمنطقة لتواجه عودة المتمردين بقوة، ووضع هَذِهِ القوات في القرى والبلدات الَّتِي يعيش فيها السكان.
3. فتح قنوات التواصل مع السكان، والسيطرة على تحركاتهم لقطع صلاتهم بالمتمردين.
4. القضاء على التنظيمات السياسية المحلية المتمردة.
5. تشكيل إدارة محلية جديدة ومؤقتة عبر الانتخابات.
6. اختبار هَذِهِ الإدارة من خلال تكليفها بمهام محددة مختلفة، واستبدال الضعفاء وغير الأكفاء، وتقديم الدعم الكامل للقادة النشطين، وتنظيم وحدات للدفاع عن النفس.
7. جمع وتثقيف القيادات في حركة سِيَاسِيَّة وطنية.

8. الانتصار على بقايا المتمردين أو قمعهم.

قد تعود الظروف السابقة إلى المنطقة، وقد تتكرر العملية في مكان آخر. لذا، لا يلزم الانتظار حَتَّى الانتهاء من النقطة الأخيرة.

ستحظى الخطوات الموضَّحَة أعلاه بمزيد من الدراسة والتفصيل، لكن دعونا أولاً نناقش هَذِهِ الإستراتيجية. فقد تكون سليمة من الناحية النظرية، ولكنها خطيرة عند تطبيقها بشكل صارم على حالة معينة. ومع ذَلِكَ، لا ننكر كونها منطقية، إذ يمكن التعرف على القوانين -أو الحقائق كما ينبغي أن نسميها- الَّتِي تقوم عليها هَذِهِ الإستراتيجية بسهولة في الحياة السياسية اليومية وفي كُلّ حرب ثورية حديثة.

صُممت هَذِهِ الإستراتيجية أيضًا للتعامل مع أسوأ حالة يمكن أن تواجه مُكَافَحَة التَّمَرُّد في مهمتها، فيما يسمى بالمنطقة "الحمراء"، حَيْثُ يسيطر المتمرد بشكل كامل على السكان. من الواضح أنه بالإمكان تخطي بعض الإجراءات المقترحة في المناطق "الوردية"، كما يمكن تخطي معظمها في المناطق "البيضاء". ومع ذَلِكَ، لا يمكن العبث بالنظام العام الَّذِي يجب أن تطبق فيه هَذِهِ الإجراءات، في ظل الظروف العادية، دون انتهاك مبادئ حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد والحس السليم. فعلى سبيل المثال، لا يمكن تركيب مفارز صغيرة من القوات في القرى، طالما أن المتمردين قادرون على جمع قواتهم المتفوقة في العدد والتغلب على مفرزة في هجوم مفاجئ. من الواضح أن الخطوة الثانية يجب أن تأتي بعد الخطوة الأولى. كما لا يمكن إجراء الانتخابات في ظل وجود خلايا المتمردين، لأنها على الأرجح ستسفر عن نجاح عملاء المتمردين.

الاقتصادُ في القوةِ:

كما أن بإمكان هَذِهِ العمليات أن تنتشر في الوقت المناسب، يمكنها أيضًا أن تنتشر في المكان المناسب. وبالتالي، تتوافق هَذِهِ الإستراتيجية مع مبدأ الاقتصاد في القوة، وهُوَ المبدأ السائد في حرب العصابات الَّتِي يحقق فيها المتمردون نتائج كبيرة بمجهود طفيف، بينما لا تحقق مُكَافَحَة التَّمَرُّد سوى القليل من النتائج نظير جهود كبيرة.

ففيما يُبذل الجهد الرئيسي في المنطقة المحددة، مع وجود بعض المخاطر بطبيعة الحال في المناطق الأخرى، ما هِيَ النتائج الَّتِي يمكن أن تتوقعها مُكَافَحَة التَّمَرُّد بشكل منطقي من عملياتها في المناطق الأخرى؟ إنها تسعى لمنع المتمردين من التطور لشكل أعلى من

أشكال الحَرْب، أي بمعنى أدق، من تشكيل جيش نظامي. ولتحقيق هَذَا الهدف، يجب أن يُحرم المتمردون من قواعد آمنة، ويمكن تحقيق ذَلِكَ من خلال غارات تقليدية بحتة لا تستهلك قوات كبيرة من مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

من خلال هَذِهِ الإستراتيجية، يمكن دحر المتمردين بقوة وزخم متزايد، فبمجرد أن تصبح المنطقة آمنة، يمكن سحب القوات المهمة ونقلها إلى المناطق المجاورة، مشبعة بأفراد محليين موالين سبق واختُبروا. وبمجرد الانتهاء من الخطوة الأولى، يمكن أن يبدأ نقل القوات لمنطقة أخرى.

نقطة اللاعودة

تشكل أسطورة سيزيف[1] كابوسًا متكررًا لمكافحة التَّمَرُّد، فباتباع الإستراتيجية المذكورة أعلاه، تدخل عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد طريقًا لا رجعة فيه، حين تستقر قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد بين السكان، وتوفر لهم الحماية ريثما يتمكنون من حماية أنفسهم بأقل قدر من الدعم الخارجي، فلن يستطيع المتمردون إعادة بناء قوتهم بسهولة، وهَذَا في حد ذاته إنجاز غير عادي.

لكن نقطة التحول تأتي حقًا عند ظهور شخصيات قيادية من بين السكان تقف في صف مُكَافَحَة التَّمَرُّد، حينها يمكن الاعتماد عليهم، فقد أثبتوا ولاءهم بالأفعال لا بالأقوال وحسب، ولأن عودة المتمردين تشكل خطرًا كبيرًا عليهم تحديدًا.

المبادرة

هَذِهِ إستراتيجية هجومية، تهدف حتماً إلى استعادة زمام المبادرة من المتمردين. فعلى الصعيد الوطني، تتمتع مُكَافَحَة التَّمَرُّد بِحُرِّيَّة اختيار منطقة زخمها الرئيسي. وحالما تفعل ذَلِكَ، ستتحرر من الواقع الَّذِي يفرضه المتمردون. وكذلك الأمر نفسه على الصعيد المحلي، لأنها تواجه المتمردين وفق معادلة: قبول التحدي، وبالتالي إما أن يتخذوا الموقف الدفاعي، أو أن يغادروا المنطقة ويفقدوا قدرتهم على مواجهة نشاط مُكَافَحَة التَّمَرُّد بين السكان.

[1] وردت شخصية سيزيف في أسطورة إغريقية تتميز بالذكاء والمكر الشديد، لكنه أغضب الآلهة الأوليمبية المزعومة لدى الإغريق فأصدروا عليه حكماً بأن يعيش حياة أبدية يقضيها في عمل عبثي غير مجدٍ.

في الحُرُوب التقليدية، عندما يهاجم الفريق الأزرق الفريق الأحمر في النقطة (أ)، يمكن للفريق الأحمر تخفيف الضغط عبر مهاجمة الأزرق في النقطة (ب)، ولن يستطيع الأزرق حينها الهروب من الضغط المضاد. لكن في الحَرْب الثَّوْرِيَّة، عندما يضغط المتمردون في المنطقة (أ)، لا يمكن لمكافحة التَّمَرُّد تخفيف هَذَا الضغط عبر مهاجمتهم في المنطقة (ب). فالمتمردون قادرون ببساطة على تجنب هَذِهِ المواجهة بفضل مرونتهم في الحركة. يعد هجوم القوميين الصينيين على ينان عام 1947 مثالاً على ذَلِكَ. عندما بدأ "الفييت مينه" الضغط على "ديان بيان فو" في شمال شرق الهند الصينية، شنت القيادة الفرنسية عملية "أتلانتي" ضِدّ مناطق فييت مينه وسط فيتنام؛ لكن هَذِهِ العملية لم يكن لها أي تأثير على المعركة الأخرى.

ومع ذَلِكَ، عندما تضغط مُكَافَحَة التَّمَرُّد، ليس على المتمردين مباشرة ولكن على السكان، الَّذِينَ يمثلون المصدر الحقيقي لقوة المتمردين، حينها لا يستطيع المتمردون رفض هَذِهِ المواجهة بِحُرِّيَّة لأنهم بذلك يحكمون على أنفسهم بالهزيمة.

الاستخدامُ الكاملُ لقدراتِ مُكَافَحَةِ التَّمَرُّدِ

إذا كان المتمرد مرنًا، فإن السكان ليسوا كذلك. فمن خلال تركيز جهودها على السكان، تستطيع مُكَافَحَة التَّمَرُّد الحد من جمودها والاستفادة بشكل كامل من قدراتها الإدارية، ومواردها الاقتصادية، ووسائلها الإعلامية والدعائية، وتفوقها العسكري لتوفر السلاح الثقيل والوحدات الكبيرة لديها، والَّتِي تكون غير مجدية نسبيًا في مواجهة المتمردين المراوغين، لكنها تستعيد قيمتها الكاملة عند استخدامها في إطار الحصول على دعم السكان المُستقرِّين في مناطقهم. في هَذِهِ المرحلة، يفقد المتمردون ميزة تفوقهم في المرونة وسرعة الحركة، إذ هم عاجزون عن طرد فصيلة من مُكَافَحَة التَّمَرُّد تفوقهم في التسليح من قرية ما، أو أنهم عاجزون عن مضايقتها بما يكفي لعرقلة نشاط مُكَافَحَة التَّمَرُّد المُرَكَّز على السكان.

البساطة والوضوح

لماذا يكون الارتباك الفكري محدودًا في الحَرْب التقليدية، بينما هُوَ أكثر بكثير في عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد؟

ثمة تفسيران لِهَذَا الأمر: عندما تبدأ حرب تقليدية، يوضح الانتقال المفاجئ من السلام إلى الحَرْب، وطبيعة الحَرْب بحد ذاتها معظم نقاط الضعف لدى الطرفين المُتنازِعَين، ولا سيما نقاط ضعف الطرف المُدافِع، وتصبح القضية حينها، مهما كَانَت، مسألة هزيمة العدو وحسب، ويصير الهدف، وهُوَ عَسْكَرِيّ في الأساس، مجرد تدمير قواته واحتلال أراضيه، يوفِّر مثل هَذَا الهدف معايير واضحة لتقييم المكاسب أو الخسائر، ويكون الطريق إلى ذَلِكَ عبر العمل العسكري المدعوم بالدبلوماسية والحصار الاقتصادي، أما التنظيم الوطني للحرب فيكون بسيطًا: فالحكومة توجِّه، والجيش ينفِّذ، والشعب يوفِّر الأدوات.

لكن كما رأينا، يختلف الأمر في حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد. إذ يُعتبر الانتقال من السلام إلى الحَرْب تدريجيًا للغاية، والقضية غير واضحة أبدًا، والهدف هُوَ السكان، فيما لا يمكن الفصل بين الأعمال العَسْكَرِيَّة والسياسية، ولا يمكن أن يكون العمل العسكري -على أهميته- هُوَ الشكل الرئيسي للمواجهة.

على مدى قرون، حظيت الحَرْب التقليدية بتحليل دقيق -على مدى كامل التاريخ المُسجَّل تقريبًا- وقُسِّمَت "المعركة" إلى مراحلَ مُتمايزة: المسير نحو العدو، الاصطفاف أمامه، واختبار قوته، ثُمَّ الهجوم، واستثمار النجاح، والتراجع في نهاية المطاف...إلخ. يتعلم الطالب في المدارس العَسْكَرِيَّة ما يجب عليه القيام به في كُلّ مرحلة، وفقًا للعقيدة العَسْكَرِيَّة الأحدث، وتُنظِّم التدريبات الميدانية لمنحه تدريبًا عمليًا في المناورات الَّتِي قد يضطر إلى إجرائها. وعندما يكون في الميدان في ظل ظروف حرب فعلية، فإن مشكلته الفكرية ترقى إلى حد تحديد مرحلة المعركة الَّتِي سيجد نفسه فيها؛ ثُمَّ يطبق على وضعه الخاص القواعد العامة الَّتِي تحكم هَذِهِ المرحلة. وهنا، يكون الميدان العسكري هُوَ المكان الوحيد الَّذِي تتجلى فيه حنكته وموهبته.

لكن حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد لم تحظَ بِهَذَا الاهتمام، فلم نسمعْ يومًا عن إجراء تدريبات ميدانية تنطوي على مهمة كسب دعم السكان، كما لا يوجد لمثل هَذِهِ التدريبات، الَّتِي تتطلب في الواقع شهورًا من الجهود المتواصلة، معايير واضحة لتقييم نتائجها أصلًا؟ ثُمَّ من سيلعب دور السكان؟

تعدُّ البساطة في المفهوم والتنفيذ من المتطلبات المهمة لأي عقيدة لمكافحة التَّمَرُّد، ويبدو أن الإستراتيجية المقترحة أعلاه تلبي هَذِهِ المتطلبات. إذ لا يكفي إعطاء تعريف واسع للهدف (الحصول على دعم السكان)، بل من الضروري تمامًا إظهار كيفية الوصول إليه (عن طريق تحديد وتنظيم الأشخاص الَّذِينَ يؤيدون مُكَافَحَة التَّمَرُّد)، وبطريقة تسمح بهامش المبادرة لأفراد مُكَافَحَة التَّمَرُّد الَّذِينَ يُنفِّذُون هَذِهِ الإستراتيجية، وهم مجموعة مختلطة على نطاق واسع من السياسيين وموظفي الخدمة المدنية والاقتصاديين والأخصائيين الاجتماعيين والجنود، ولكن هَذَا التنفيذ يجب أن يكون بدقة كافية لتركيز جهودهم في اتجاه واحد. إن تقسيم الإجراء الشامل إلى خطوات متتالية، تتبع بعضها البعض بترتيب منطقي، يُسهِّل المهام التكتيكية للعملاء، حَيْثُ يعرفون في كُلّ خطوة الهدف الوسيط وما يجب عليهم فعله للوصول إليه.

إصدار الأمر يعني السيطرة

من خلال النهج التدريجي، توفر مكافحة التَّمَرُّد لنفسها طريقة لتقييم الوضع والتقدم المُحرَز في أي وقت كان، ما يُمَكِّنُهَا من بسط سيطرتها وإدارة الحَرْب عبر استخدام وسائل عدة، وإعطاء مسؤوليات أكبر للقادة الَّذِينَ أثبتوا نجاحهم، وعزل أولئك الَّذِينَ فشلوا. وبمعنى آخر، يمكنها إصدار أوامر جديدة كونها تستطيع توقع النتائج تبعًا للتقييمات السابقة.

ولكن ما الَّذِي يمكن أن يحدث في حالة عدم السيطرة؟ قد ينتج عن جهود مُكَافَحَة التَّمَرُّد العامة فسيفساء عشوائية، خليط من القطع فيها واحدة مستقرة جيدًا، وبجانبها قطعة أخرى غير مستقرة، أو حَتَّى أنها ربما تحت سيطرة المتمردين الكاملة. يشكل هَذَا وضعًا مثاليًا للمتمردين، الَّذِينَ سيكونون قادرين على المناورة بين هَذِهِ القطع، مع التركيز على بعضها، والاختفاء مؤقتًا من بعضها الآخر. إن الفسيفساء المخطط لها، والَّتِي أُنشئت بدافع الضرورة عندما تركز مُكَافَحَة التَّمَرُّد جهودها في منطقة محددة، هِيَ في حد ذاتها مبعث للكثير من الصعوبات، ناهيك عن العوائق الأخرى.

ملخَّصُ الفصلِ الخامسِ

في المرحلة الَّتِي تصدر فيها مُكَافَحَة التَّمَرُّد أوامر لإطلاق النار؛ يكون هناك ثلاثة أنواع من المناطق:

1. المنطقة الحمراء: حَيْثُ يسيطر المتمردون على السكان بشكل فعَّال ويشنون حرب عصابات.
2. المنطقة الوردية: يحاول المتمردون التوسع فيها عبر اجتذاب السكان وحرب العصابات.
3. المناطق البيضاء: لم تتأثر بالتمرد بعد، لكنها مُهددة، إذ تتعرض لعمليات تخريب المتمردين.

****

مبادئ حرب العصابات المضادة:

- محدودية الحَرْب التقليدية: مهاجمة مُكَافَحَة التَّمَرُّد للأراضي الَّتِي يسيطر عليها المتمردون وتدمير قواتهم ليس مجدياً، فالمتمردون في كُلّ مكان، دون حيازة مكان محدد، ويمكنهم الانتقال من مكان لآخر حين يضيق عليهم.
- المخابرات مصدر أساسي لتحديد أماكن المتمردين وتطويقهم على الفور، لكن السكان لن يتحدَّثوا ما لم يشعروا بالأمان ولن يشعروا بالأمان ما لم تُكسر قوة المتمردين.
- ليس للعمليات التقليدية في حد ذاتها وفي أحسن الأحوال تأثير أكبر من تأثير المضرب اليدوي على الذباب، كما أنه حين يتم القضاء على بعض المجندين سرعان ما يظهر غيرهم.
- يمكن لمكافح التَّمَرُّد أن ينجح بشرط واحد؛ هُوَ أن يكون قوياً لدرجة حماية الدولة بأكملها، لكن هَذَا نادراً ما يحصل.

****

لماذا لا تناسب حرب العصابات مُكَافَحَة التَّمَرُّد؟

- لا يمكن لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد شن حرب عصابات لأن خوض هَذِهِ الحَرْب يستوجب تغلغل القوات بين السكان وهَذَا يتطلب دعمهم، لكن هَذَا الدعم لا يتوافر في الغالب.
- لا يمكن لمكافحة التَّمَرُّد القضاء على التَّمَرُّد عبر تنظيم قوة سرية تواجه التَّمَرُّد، لأن مجال الحركات السرية محدود للغاية في مُكَافَحَة التَّمَرُّد، إذ سرعان ما تمتصها حركة التَّمَرُّد.
- لا يمكن لمكافحة التَّمَرُّد اتباع الإرهاب لأنه يؤدي للفوضى وهَذَا ما تجهد مُكَافَحَة التَّمَرُّد لوقفه.

النتيجة: يجب على مُكَافَحَة التَّمَرُّد تطبيق أسلوب حربي خاص بها.

****

قوانين مُكَافَحَة التَّمَرُّد:

القانون الأول: دعم السكان ضروري لمكافحة التَّمَرُّد كما هُوَ ضروري للمتمردين.

فليست المشكلة في انتزاع السيطرة على منطقة من مناطق المتمردين، إذ يمكن لمكافحة التَّمَرُّد فعل هَذَا عبر تجميع قواتها في تِلْكَ المنطقة، لكن المشكلة الحقيقية هِيَ الحفاظ على المنطقة نظيفة، بِحَيْثُ تتمتع قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد بحرية العمل في مكان آخر، ولا يمكن الوصول الى ذَلِكَ إلا بدعم السكان.

القانون الثاني: كسب الدعم من خلال أقلية فاعلة.

ففي أي موقف ومهما كان السبب تكون هنالك أقلية فاعلة في سبيل القضية وأغلبية محايدة وأقلية فاعلة ضِدّ هَذِهِ القضية.

يتمثل هَذَا الأسلوب في الاعتماد على الأقلية المؤيِّدة لحشد الأغلبية المحايدة وتحييد الأقلية المعادية أو القضاء عليها، فالمشكلة الإستراتيجية لمكافحة التَّمَرُّد هِيَ إيجاد الأقلية الملائمة وتنظيمها من أجل تعبئة السكان ضِدّ الأقلية المتمردة، ويجب توجيه كُلّ العمليات العَسْكَرِيَّة أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو النفسية لِهَذِهِ الغاية.

القانون الثالث: الدعم من السكان مشروط بالطرف المُسيطر.

تختفي الأقلية المؤيدة لمكافحة التَّمَرُد في المناطق الَّتِي يفرض فيها التَّمَرُد سلطته، وكذلك الأمر بالنسبة للأماكن الَّتِي تسيطر فيها مُكَافَحَة التَّمَرُد حَيْثُ تختفي الأقلية المؤيدة للتمرد.

القانون الرابع: كثافة الجهود وفاعلية الوسائل ضروريان.

لا يمكن تطبيق الجهود في جميع أنحاء البلاد بل يجب تطبيقها على التوالي في منطقة تلو الأخرى.

****

إستراتيجية مُكَافَحَة التَّمَرُد:

الاقتصاد في القوة: يجب تركيز المجهود الرئيسي في منطقة مُحددة، بينما تُنفَّذ غارات تقليدية بحتة في المناطق الأخرى لا تتطلب قوات كبيرة، بغرض حرمان التَّمَرُد من الحصول على قواعد آمنة وبالتالي تشكيل جيش نظامي.

نقطة اللاَّعودة: تصل بعض الشخصيات القيادية إلى هَذِهِ النقطة عند وقوفها علناً في صف مُكَافَحَة التَّمَرُد، وحينها يمكن الاعتماد عليها.

المبادرة: انتزاع زمام المبادرة من مُكَافَحَة التَّمَرُد على المستوى الوطني.

الاستخدام الكامل لقدرات مُكَافَحَة التَّمَرُد: من خلال التركيز على السكان لترميم فجوة المرونة مع المتمردين.

إصدار الأمر يعني السيطرة: فعدم السيطرة الكاملة قد يخلق صعوبات كثيرة وملاذات آمنة للمتمردين.

البساطة: تقسيم الإجراء الشامل إلى خطوات متتالية وواضحة وبسيطة، تتبع بعضها البعض بترتيب منطقي، يُسهِّل المهام التكتيكية لمكافحي التَّمَرُد، حَيْثُ يعرفون في كُلّ خطوة الهدف الوسيط وما يجب عليهم فعله للوصول إليه.

الفصل السادس: من الإستراتيجية إلى التكتيكات

مشكلات القيادة

الشكل (8): مشكلات القيادة في مُكَافَحَة التَّمَرُّد

وحدة القيادة:

إن تدمير أو تطهير المنطقة الَّتِي يتواجد فيها الجسم الرئيسي لقوات المتمردين، ومنع عودتهم إليها، وإنشاء حاميات لحماية السكان، وتعقب فلول المتمردين، جميعها عمليات عَسْكَرِيَّة في الغالب.

أما تحديد عملاء المتمردين السياسيين، واعتقالهم، واستجوابهم، ومحاكمتهم، وإعادة تأهيل أولئك الَّذِينَ يمكن استمالتهم، فكلها مهام بوليسية وقضائية.

وأما فتح قناة تواصل مع السكان، وفرض وإنفاذ تدابير السيطرة، وتنظيم الانتخابات المحلية، واختبار القادة الجدد، وتنظيمهم في حزب، والقيام بِكُلِّ الأعمال البنَّاءَة اللازمة لكسب تأييد السكان الصادق، فهي عمليات سِيَاسِيَّة في المقام الأول.

بينما تتحقق النتيجة المُتوقَّعَة -الهزيمة النهائية للمتمردين- بعملية ضرب لِهَذِهِ العمليات الأساسية المختلفة لا بجمعها، فإذا غابت إحداها (كَانَت محصلتها صفراً)، كَانَت النتيجة النهائية صفراً. من الواضح أن على مُكَافَحَة التَّمَرُّد، أكثر من أي نوع آخر من الحُرُوب، أن تحترم مبدأ وحدة القيادة، بِحَيْثُ يوجِّه قائد واحد العمليات من البداية حَتَّى النهاية.

لكن وللأسف، لا تبدو المشكلة المتعلقة بِهَذَا البند بسيطة أبدًا. إذ لا يمكن تقسيم المهام والمسؤوليات بدقة بين المدني والجندي، لأن عملياتهما تتداخل كثيراً مع بعضها البعض. كما لا يمكن أن يبقى الجندي في معسكره دون فعل أي شيء، فبمجرد الانتهاء من العمليات الأولى واسعة النطاق، عليه أن يُسيرّ دوريات وينصب كمائن ويقوم بعمليات تمشيط باستمرار؛ وفي وقت ما من العملية، سيتعين عليه تنظيم وتجهيز وتدريب وقيادة وحدات الدفاع الأهلية. أما رجل الأمن فيبدأ بجمع المعلومات الاستخباراتية منذ البداية، ولا ينتهي دوره عند تدمير الخلايا السياسية للمتمردين، لأنهم سيواصلون محاولة بناء خلايا جديدة. كما لا ينتظر الموظف الحكومي الجيش ليقوم بالقضاء على رجال حرب العصابات كي تبدأ مهمته.

علاوة على ذَلِكَ، لا يمكن لأي عملية أن تكون عَسْكَرِيَّة أو سِيَاسِيَّة بحتة، فلكل منها تأثيرات نفسية تغيرِّ الوضع العام نحو الأفضل أو الأسوأ. فعلى سبيل المثال، إذا أطلق القاضي سراح المتمردين من غير التائبين قبل الأوان، فسيشعر كُلّ من الشرطي والموظف المدني والجندي بآثار ذَلِكَ عما قريب.

ثمة حقيقة أخرى تُعقِّد الوضع، مفادها أن الإدارة المدنية مهما كَانَت متطورة في وقت السلم، فإنها لا ترقى أبدًا للمتطلبات الفردية الخاصة بمكافحة التَّمَرُد. عندما يُترجَم الهدف العام المُتمثِّل في كسب دعم السكان إلى مهام ميدانية ملموسة، تتكرر في عدد معين من القرى والبلدات والمقاطعات، فعدد الموظفين الثقاة اللازمين سيكون هائلاً. وعادة ما تكون القوات المسلحة وحدها قادرة على توفيرهم على الفور. ونتيجة لذلك، تتعرض الحكومة المكافِحَة للتمرد لضغوطات مزدوجة عبر تكليف القوات المسلحة بمهام سِيَاسِيَّة وأمنية، وغيرها، بهدف السماح للجيش بتوجيه العملية برمتها، إن لم يكن في عموم أرجاء البلاد، ففي مناطق معينة على الأقل.

ولا يمكن التغافل عن هَذَا الأمر، فانكفاء الجنود على الوظائف العَسْكَرِيَّة البحتة -في وقت يتوجب عليهم فيه القيام بمهام أخرى مُلحَّة وحيوية مع غياب الكادر المناسب- سينعكس سلبًا. لذا، على الجندي أن يكون مستعدًا ليصبح مروّجًا، وأخصائيًا اجتماعيًا، ومهندسًا مدنيًا، ومدرسًا، وممرضًا، وكشافًا، وهَذَا فقط في حال لم يتوفر البديل. وإلا فإن من الأفضل تكليف المدنيين بمهام مدنية.

وهَذَا ما كان يفعله الشيوعيون الصينيون دائمًا. ففي ربيع وصيف العام 1949، عشية رحلتهم إلى جنوب الصين، جند الصينيون ودربوا أكثر من خمسين ألف طالب في مدارس خاصة، كَانَت مهمتهم متابعة الجيش ومساعدته من خلال تولي "خدمة الجيش، والترويج لدعايته، والتعليم وتعبئة الجماهير "[1].

إن تقليد هَذِهِ التجربة ليس بالأمر السهل بالنسبة لمكافحة التَّمَرُّد، فمن أين لها بمثل هَذِهِ المجموعة الكبيرة من المدنيين الموثوق بهم، عندما يكون ولاء الجميع تقريبًا محل شك واستفهام؟ ولكن في نهاية المطاف، يجب أن يتم ذَلِكَ. أما السماح للجيش بتوجيه العملية برمتها، فخطير للغاية، ويجب منعه بأي ثمن.

أسبقية القوة السياسية على العَسْكَرِيَّة

إن كون السلطة السياسية هِيَ من تحكم البلاد بلا منازع، هِيَ مسألة مبدأ وواقعية. فالنظام السياسي في البلاد على المحك، والدفاع عنه شأن سياسي. وحَتَّى لو تطلب ذَلِكَ عملاً عسكريًا، فإنه موجه باستمرار نحو هدف سياسي. وعلى الرغم من أن العمل العسكري ضروري، إلا أنه ثانوي بالنسبة للعمل السياسي، والغرض الأساسي مِنْهُ هُوَ منح القوة السياسية والحرية الكافية للعمل بأمان مع السكان.

والقوات المسلحة ليست سوى إحدى أدوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد المتعددة، ولا يوجد أفضل من القوة السياسية لاستثمار الأدوات غير العَسْكَرِيَّة، والتأكد من وصول المخصصات في الوقت المناسب لتعزيز العمل العسكري، ومتابعة سير الإصلاحات السياسية والاجتماعية تتبعها.

وخير ما يعكس الحقيقة قولهم: "الحَرْب الثَّوْرِيَّة بنسبة 20% منها هِيَ عمل عَسْكَرِيّ، بينما 80% سياسة". وبالتالي، فإن إعطاء الجندي سلطة على المدنيين يتعارض مع إحدى السمات الرئيسية لِهَذَا النوع من الحَرْب. أما الممارسة العملية، فستميل حتمًا إلى عكس الأهمية النسبية لصالح العمل العسكري مقابل العمل السياسي، وجعل حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد أشبه ما تكون بالحرب التقليدية.

أما إذا كَانَت القوات المسلحة هِيَ أداة الحزب وقادتها أعضاء رفيعو المستوى في الحزب، ويسيطر عليهم ويساعدهم المفوضون السياسيون الَّذِينَ لديهم قنواتهم المباشرة للتوجيه

---

[1] الجنرال تشانغ تينغ تشن، رئيس فيلق خدمة الصين الجنوبية، وعضو اللجنة المركزية، كما ورد في صحيفة نيويورك تايمز، 4 يوليو، 1949.

المركزي للحزب، فإن إعطاء السلطة الكاملة للجيش قد ينجح؛ لكن هَذِهِ الحالة تنطبق على المتمردين أكثر مما تنطبق على مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

كما أن إعطاء السلطة الكاملة للجيش سيكون أيضًا هزيمة ذاتية، لأنه مؤشر واضح على اعتراف الحكومة بالهزيمة: فنظرًا لعدم قدرتها على التعامل مع التَّمَرُّد من خلال الهياكل الحكومية العادية، تنازلت لصالح الجيش الَّذِي سيصبح في الحال الهدف الرئيسي والسهل لدعاية المتمردين. وفي ظل هَذِهِ الظروف، سيسهل على المتمردين عزل القوات المسلحة عن الشعب.

نستنتج مما سبق أن المسؤولية الشاملة يجب أن تبقى مع السلطة المدنية على كُلّ المستويات الممكنة. فإذا ما حصل نقص في الموظفين الموثوق بهم، فلا شيء يمنع حينها من سد هَذَا النقص بالأفراد العسكريين الَّذِينَ يخدمون بصفة مدنية. فإذا ساء الوضع أكثر توجّب الحفاظ على الحد الأدنى من عمل السلطة المدنية.

تنسيق الجهود

على القائد المكافِح للتمرد، وَالَّذِي نفترض الآن أنه مدني، أن يأخذ في الحسبان مشكلات مختلف العناصر المدنية والعَسْكَرِيَّة لقواته قبل اتخاذ أي قرار، خاصة عندما تتداخل أفعالهم بشكل مُعقَّد وتتعارض مطالبهم في كثير من الأحيان. كما يتعين عليه تنسيق جهودهم وتوجيهها في اتجاه واحد. ولكن كيف يمكنه فعل ذَلِكَ؟

من بين الحلول النظرية من حَيْثُ التنظيم، هناك حلان واضحان، الأول: تشكيل لجنة، كما هُوَ الحال في الملايو مثلاً، حَيْثُ استُثمِرَت السيطرة على منطقة على مستوى المقاطعة في لجنة برئاسة هَذِهِ المقاطعة، إلى جانب أعضاء من الشرطة والمدنيين المحليين (المزارعين الأوروبيين والممثلين للصينيين والماليزيين) والجنود؛ الثاني: طاقم من الموظفين المدنيين والعسكريين، حَيْثُ يخضع الجندي مباشرة للسلطة المدنية المحلية (لا يعرف المؤلف أي مثال على هَذَا التكوين، ولكن يسهل العثور على الحالة المعاكسة، حَيْثُ تخضع السلطة المدنية مباشرة للسلطة العَسْكَرِيَّة المحلية كما هُوَ الحال في الفلبين، حين حل ضباط الجيش مكان إدارة مدنية مفقودة، أو في الجزائر حين أُسندت جميع الصلاحيات للجيش لفترة وجيزة بين عامي 1958-1959).

لِكُلِّ صيغة مزاياها وعيوبها. فاللجنة[1] يجب أن تكون مرنة، وتوفر المزيد من الحرية لأعضائها، ويمكن لها أن تظل صغيرة، لكن عملها سيكون بطيئًا. وفي المقابل، يساعد وجود طاقم عمل متكامل على نجاح التوجيهات القيادية وسرعة تقدم العمل، لكن هَذِهِ الصيغة أكثر رتابة وعرضة للبيروقراطية. يبدو أن هناك متسعًا لكليهما في حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد، فاللجنة أفضل للمراتب العليا المعنية بالشؤون الإستراتيجية على المدى البعيد والمتوسط، والطاقم المتكامل للرتب الدنيا، حَيْثُ تكون السرعة ضرورية بالتوازي مع تسارع الأحداث. بالنسبة لمكافحة التَّمَرُّد، هناك حرب مُصغّرة تدور في المستويات الدنيا، تتخللها فرص دقيقة يجب اغتنامها على الفور.

في المستويات العليا، حَيْثُ يسود نظام اللجان ويحتفظ المكونان المدني والعسكري بهياكلهما المنفصلة، يجب تنظيم كُلّ منهما بطريقة تُعزّز تعاونهما بشكل أكبر. في الحَرْب التقليدية، يتكون طاقم وحدة عَسْكَرِيَّة كبيرة من فرعين رئيسيين تقريبًا: "الاستخبارات/ العمليات" و"اللوجستيات". أما في حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد، فتبرز الحاجة الماسة لفرع ثالث هُوَ الفرع "السياسي"، وَالَّذِي سيكون له دور بارز كالفروع الأخرى.

يُتابع الموظف المسؤول عن الفرع السياسي التطورات المُتعلِّقَة بالعمل السياسي والمدني، وينصح رئيسه، ويُبدي رأيه بفعالية عندما تكون العمليات في مرحلة التخطيط، ولا ينتظر حَتَّى الوصول إلى مرحلة متقدمة للغاية بِحَيْثُ لا يمكن تغييرها. وبالمثل، يجب أن يكون للموظفين المدنيين، الَّذِينَ لا علاقة لهم بالحروب التقليدية والشؤون العَسْكَرِيَّة، فرع عَسْكَرِيّ، مع دور مماثل تجاه القائد المدني. مع هذين الفرعين العضويين اللذين يعملان معًا بشكل وثيق، قد يتضاءل أثر تباين الجهود بين المدنيين والعسكريين.

ومهما كان النظام الَّذِي يتم اختياره، فإن المنظمة الجيدة تكتسب جدارتها من موظفيها فقط. فحتى في ظل أفضل نظام يمكن تصوره، من المرجح أن تكون النزاعات الشخصية أمرًا سائدًا. وعلى الرغم من إمكانية تحويل العضو المشاغب إلى قائمة الفصل ويُستبدل، إلا أن هَذَا لن يحل المشكلة في جميع اللجان ومع جميع الموظفين.

فالسؤال إذن: كيف ندفع هَذِهِ المنظمات المختلطة للعمل بأقصى قدر من الفعالية في ظل مُكَافَحَة التَّمَرُّد، بغض النظر عن العوامل الشخصية؟ لو افترضنا أن هَذِهِ المنظمات تعمل-

[1] المؤلف: بعد التأكيد أعلاه على ضرورة وجود رئيس لِكُلّ مستوى في حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد، يجب أن يُنظر إلى اللجنة في هَذِهِ الحالة لا كمنظمة تُتخذ القرارات فيها عن طريق التصويت، ولكن كمجرد مكان مناسب لطرح المشكلات، لمصلحة الرئيس.

بشكل أو بآخر- بشخصيتها الشاملة، فكيف يمكن تجنب تأثير النزعة الشخصية المؤثرة سلبًا على عملياتها؟

إذا كان أعضاء المنظمات من نفس التفكير، وعملت كُلّ منظمة وفقًا لنمط معياري، حينها تُحل المشكلة. أليس هَذَا بالضبط ما يمكن أن تحققه عقيدة مقبولة، متماسكة ومفهومة جيدًا؟ يبدو أن العقيدة هِيَ الحل العملي لمشكلة كيفية توجيه الجهود في اتجاه واحد، أكثر من أي شيء آخر.

أولوية القيادة المناطقية

يتعيَّن على القوات المسلحة المكافِحة للتمرد القيام بعمليتين مختلفتين: تدمير القوة العَسْكَرِيَّة للمتمردين، وضمان الأمن في كُلّ منطقة. من الطبيعي أن تُنظَّم قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد في نوعين من الوحدات: الوحدات المتنقلة الَّتِي تقاتل بطريقة تقليدية إلى حد ما، والوحدات الثابتة الَّتِي تبقى مع السكان من أجل حمايتهم واستكمال الجهود السياسية.

من الواضح أن الوحدات الثابتة هِيَ تِلْكَ الَّتِي تعرف الوضع المحلي وطبيعة السكان والمشكلات المحلية بشكل أفضل، وفي حال ارتكاب أي خطأ فإنها تتحمل العواقب. وبناء عليه، عندما تُرسَلُ وحدة متنقلة للعمل مؤقتًا في منطقة ما، يجب أن تخضع لقيادة المنطقة، حَتَّى لو كان القائد العسكري للمنطقة مبتدئًا. فكما أن السفير الأمريكي هُوَ رئيس كُلّ منظمة أمريكية تعمل في الدولة الَّتِي أُرسل لها، يجب أن يقود القائد العسكري الإقليمي جميع القوات العَسْكَرِيَّة العاملة في منطقته.

تكيُّف القوات المسلحة مع حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد

طالما فشل المتمرد في بناء جيش نظامي قوي، فلا داعي حينها للأسلحة الثقيلة والقوات التقليدية في حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد. فبالنسبة للقوات البرية، تحتاج مُكَافَحَة التَّمَرُّد إلى المشاة والمزيد من المشاة، بتسليح خفيف وبقدرة عالية على الحركة، مع بعض المدفعية الميدانية لتقديم الدعم، وسلاح المدرعات، وإذا ما كَانَت التضاريس مواتية، فيجب استخدام الفرسان والخيول لمراقبة الطرق وتسيير الدوريات.

بالنسبة للقوات الجوية، تحتاج مُكَافَحَة التَّمَرُّد دعمًا أرضيًا وطائرات مراقبة بطيئة تتمتع بالمتانة وبالقدرة على البقاء طويلاً في الجو، ومحمية من الأسلحة الأرضية الخفيفة. هَذَا بالإضافة إلى طائرات النقل والمروحيات المخصصة للمسافات القريبة، والَّتِي

تلعب دورًا حيويًا في عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد. أما البحرية، إن وُجِدَت، فتتمثل مهمتها في فرض حصار على الساحل، وهُوَ نوع تقليدي من العمليات لا يستدعي تفصيلاً هنا. كما تحتاج مُكَافَحَة التَّمَرُّد إلى شبكة إشارات واسعة التغطية.

لذا، يتعين على مُكَافَحَة التَّمَرُّد أن تبدأ بتشكيل قواتها وفق هَذِهِ المعايير، وحشد ما أمكن من المشاة بدلاً عن الوحدات التقليدية غير الضرورية.

بالرغم من ذَلِكَ كله، يجب أن تحظى قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد بقدرة عالية على التكيُّف، فبعد أن تشارك الوحدات الثابتة في البداية في عمليات عَسْكَرِيَّة واسعة النطاق، ستواجه في مرحلة ما في منطقتها مجموعة كبيرة ومتنوعة من المهام غير العَسْكَرِيَّة الَّتِي يتعيَّن القيام بها للحصول على دعم السكان، والَّتِي لا يمكن أن يؤدِّيها إلا الأفراد العسكريون، بسبب النقص في الموظفين المدنيين السياسيين والإداريين الموثوقين.

فعمليات إجراء تعداد شامل، وفرض ضوابط جديدة على تحركات الأشخاص والبضائع، وإعلام السكان، وإطلاق بروبوغاندا مباشرة، وجمع المعلومات الاستخباراتية عن عملاء المتمردين السياسيين، وتنفيذ مختلف الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، وما إلى ذَلِكَ... كلها ستصبح من نشاطهم الأساسي، لذا يجب تنظيم هَذِهِ الوحدات وتجهيزها ودعمها وفقًا لذلك. وبالتالي، قد تصبح آلة النسخ أكثر فائدة من المدفع الرشاش، والجندي المتدرب كطبيب أطفال أكثر أهمية من خبير الهاون، والإسمنت مطلوبٌ أكثر من الأسلاك الشائكة، والموظَّفون المدنيون مطلوبون أكثر من حملة السلاح.

تكيُّف العقول

إنْ كان على وحدات مُكَافَحَة التَّمَرُّد أن تتكيَّف مع مهامها الجديدة، فمن المهم أيضًا أن تتكيَّف عقول القادة والأفراد -المدنيين والعسكريين- أيضًا مع المتطلبات الخاصة لحرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

فردود الأفعال والقرارات الَّتِي يمكن اعتبارها مُناسِبَة للجندي في الحَرْب التقليدية ولموظف الخدمة المدنية في الأوقات العادية، قد لا تتناسب بالضرورة مع عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد. فالجندي الَّذِي يخوض القتال في الحَرْب التقليدية ويتعرَّض لإطلاق النار ثُمَّ لا يردُّ بِكُلِّ ما أوتي من أسلحة ونيران يُعتبر مُقصِّراً في أداء واجباته، أما في حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد فالعكس هُوَ الصحيح، حَيْثُ تنص القاعدة على إطلاق أقل ما يمكن من النيران.

إن غياب السياسة أمر متأصل لدى الجندي التقليدي، فوظيفته هزيمة العدو فقط، لكن مهمته في حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد تشمل المساعدة في كسب دعم السكان، ولذا، عليه الانخراط في السياسة العملية. وبينما يساهم نظام المكافآت والترقيات العَسْكَرِيَّة في الحَرْب التقليدية في تشجيع الجنود على قتل أو أسر أكبر عدد من الأعداء، ما يدفعه لزيادة نطاق عملياته العَسْكَرِيَّة وتكرارها، إلا أنه قد يكون كارثيًا في حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

تتمثل مهمة المسؤولين زمن السلم في الحفاظ على موقف محايد في السياسة أمام السكان، والعمل على نشر الخدمات والتنمية في البلاد. ولكن مهمتهم في زمن مُكَافَحَة التَّمَرُّد مختلفة، حَيْثُ يتوجب عليهم فعل ما تُمليه عليهم الضرورة والأولويات، حَتَّى يعود الأمر لما كان عليه قبل الحَرْب.

من الواضح أن حكومة مُكَافَحَة التَّمَرُّد بحاجة إلى قادة يفهمون طبيعة الحَرْب. وثمة طريقتان محتملتان للحصول على هَؤُلَاءِ القادة: عبر التَّلقين والتدريب على أسلوب حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد، وعبر الانتقاء المُسبق أو الطبيعي.

يمكن تدريس نظرية حَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد كأي نوع آخر من الحُرُوب، وبالطبع، يجب على مُكَافَحَة التَّمَرُّد أن تحرص على تدريس هَذِهِ النظرية لجميع أفراد قواتها العَسْكَرِيَّة والمدنية. وهنا تبرز صعوبة إجراء التدريب العملي لِهَذِهِ القوات. من السهل إجراء التدريبات والمناورات المتعلقة بالعمليات العَسْكَرِيَّة المطلوبة في حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد، ولكن الصعب هُوَ الإعداد للعمليات غير العَسْكَرِيَّة بطريقة واقعية.

ولهذا السبب، يُعد عامل "السكان" بسلوكهم ومزاجهم هُوَ العامل الرئيسي في هَذِهِ العمليات، فكيف يمكن إشراكهم في المناورات؟ أضف أن القرارات المتخذة في العمليات غير العَسْكَرِيَّة نادرًا ما تُنتج آثارًا فورية، بينما قد يمكن تقييم القرار العسكري في الميدان على الفور. لذا، يجب أن تجري معظم التدريبات أثناء العمل، وفي الفصل التالي سنستفيض في شرح هَذِهِ النقطة.

مع ذَلِكَ، يُعد التلقين والتدريب من العمليات البطيئة، أما الحاجة إلى قادة أكفاء فتكون فورية. ولا توجد معايير سهلة تُمكّن المرء من تحديد ما إذا كان الرجل الَّذِي لم يشارك سابقًا في مُكَافَحَة التَّمَرُّد قادرًا على أن يكون قائدًا جيدًا أم لا. والحل العملي لذلك هُوَ تحديد أولئك الَّذِينَ يقبلون المفاهيم الجديدة لحَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد بسهولة ومنحهم

هَذِهِ المسؤولية، أما الَّذِينَ يُثبتون أنفسهم في ميدان العمل فيجب أن يُكلفوا بمسؤوليات أعلى.

هناك وفرة في القوات المسلحة لدى مُكَافَحَة التَّمَرُّد، ولكن ليس من العنصر المدني، بل من الكوادر المتمسكين بنمط الحَرْب التقليدية، والَّذِينَ يمكن تخصيصهم للوحدات المتنقلة.

وغني عن القول، أنه إن كَانَت الثقة في الولاء السياسي تمثل مشكلة ما، كما هُوَ الحال في الحَرْب الثَّوْرِيَّة، فإن الكوادر الموثوق بهم هم الَّذِينَ يجب تكليفهم بالعمل مع السكان.

اختيار مجال العمل

المشكلة الإستراتيجية

ثمة نهجان متعارضان متاحان لمكافحة التَّمَرُّد، والثالث حل وسط بينهما. وفقًا للنهج الأول، ينتقل المرء من الصعب إلى السهل، فتتركز الجهود مبدئيًا في المناطق الحمراء شديدة الخطورة وتمتد بشكل تدريجي إلى المناطق الأخف فالأخف، وَهَذِهِ أسرع طريقة فيما لو نجحت. أما في النهج الآخر، فينتقل المرء من السهل إلى الصعب، ما يتطلب في البداية وسائل أقل، لكنه أبطأ ويُعطي فرصة أكبر للمتمردين لتطوير قدراتهم والتماسك في المناطق الحمراء. ويعتمد الاختيار بين النهجين بشكل أساسي على القوة النسبية للخصم.

خلال الحَرْب اليونانية، ركز القوميون في البداية وبشدة على حل وسط أقرب للنهج الأول. فبدأوا بمعالجة منطقة ثيساليا وسط اليونان؛ وتحركوا بعد ذَلِكَ مباشرة شرقًا وشمالاً نحو معاقل الشيوعيين الَّتِي أقيمت على طول الحدود. فانسحب الشيوعيون بسلام إلى أراضي دول المحور السوفييتي المجاورة، ثُمَّ عادوا للظهور في مكان آخر، ففشل أول هجوم قومي. في محاولتهم الثانية بين عامي 1949-1950، تبنى القوميون الإستراتيجية المعاكسة: فقضوا على الشيوعيين من البيلوبونيز، ثُمَّ عملوا بقوة أكبر في ثيساليا، وأخيراً قاموا بتنظيف المناطق الحدودية، فنجحوا هَذِهِ المرة. يرجع الفضل في هَذَا النجاح جزئيًا إلى انشقاق تيتو عن الكتلة السوفيتية، مما منع الشيوعيين اليونانيين من الانحياز إلى أرضه.

عندما استؤنفت الحَرْب الثَّوْرِيَّة في الصين بعد اندلاع الحَرْب اليابانية، كان على القوميين الاختيار بين ثلاث مسارات للعمل:

1. تركيز جهودهم في منشوريا، المنطقة الأبعد عن مركز سلطة القوميين، حَيْثُ كَانَت القوات الشيوعية المسلحة بالمعدات اليابانية هِيَ الأقوى.

2. تنظيف وسط الصين، ثُمَّ شمال الصين، وصولاً إلى منشوريا في النهاية.

3. العمل في كُلّ مكان.

تبدو مساحة الاختيار واسعة من الناحية النظرية، لكنها ضيقة في الواقع، فلم يكن بوسع القوميين ترك خصومهم ليتطوروا آمنين في منشوريا، أغنى جزء صناعي في الصين، حَيْثُ كان الشيوعيون على اتصال مباشر مع الاتحاد السوفيتي. وبما أن منشوريا احتلت من قبل القوات السوفيتية في الأيام الأخيرة من الحَرْب العالمية الثانية، كان على الحكومة القومية إعادة تأكيد سيادتها عليها. حينها شعر القوميون بضرورة استثمار أفضل وحداتهم في منشوريا.

لا يمكن الجزم بانتصار القوميين فيما لو تصرفوا بطريقة أخرى، فالشيوعيون الصينيون كانوا قد تحولوا بحلول عام 1945 إلى خصم كبير، لكن فرص هَؤُلَاءِ القوميين كَانَت ستتحسن فيما لو تبنّوا المسار الثاني للعمل.

تمتع الفرنسيون في الجزائر، منذ العام 1956، بتفوق عَسْكَرِيّ ساحق على جبهة التحرير الوطني، فتوزعت جهودهم في البداية في جميع أنحاء البلاد، مع تركيز أكبر على طول الحدود مع تونس والمغرب ومنطقة القبائل، وهِيَ منطقة وعرة وجبلية ومكتظة بالسكان. حينها تفككت قوات جبهة التحرير الوطني بشكل سريع، لكن الافتقار إلى العقيدة والخبرة فيما يجب القيام به بعد العمليات العَسْكَرِيَّة، فضلاً عن أمور أخرى، حال دون نجاح فرنسي كامل.

وما بين عامَي 1959-1960، انطلقت الإستراتيجية الفرنسية من الغرب إلى الشرق، بدءاً من منطقة وهران، ثُمَّ جبال وارسينيس، مرورًا بمنطقة القبائل، ووصولاً إلى منطقة قسنطينة، وَهَذِهِ المرة، فقد ساعدتهم الخبرة الَّتِي اكتسبوها في المحاولة السابقة، وتخلصوا من التشويش الذهني الَّذِي سيطر عليهم قبلها. وبحلول نهاية العام 1960، تحولت سياسة الحكومة الفرنسية من "هزيمة التَّمَرُّد" إلى "فك ارتباطها بالجزائر"، فتقلص عدد قوات جبهة التحرير الوطني في الجزائر إلى ما بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف فرد معزولين بشكل جيد عن السكان، وانقسموا إلى مجموعات صغيرة، فصارت عصابات غير

فعالة، مع ستة آلاف وخمسمئة قطعة سلاح، معظمها مدفون في الأرض بسبب نقص الذخيرة.

ولم يكن لأي رئيس ولاية في الجزائر علاقة بمنظمة جبهة التحرير في الخارج، ولا حَتَّى أي تواصل؛ كما كَانَت عمليات التطهير تدمر صفوفهم، وقام بعض كبار قادة الجبهة في الجزائر بتسليم أنفسهم. وقد أُغلقت الحدود أمام عمليات التسلل، إلا في حالات نادرة جدًا كتسلُّل بضعة أفراد وحسب. كما ضمت القوات الفرنسية مئة وخمسين ألف مسلم، دون احتساب مجموعات الدفاع الأهلية المشكَّلة في كُلّ قرية تقريبًا. لكن لو لم تتغير السياسة الفرنسية، لكان ما تبقى فعله هُوَ القضاء على فلول المتمردين المتطرفين، وهِيَ مهمة تطول في أحسن الأحوال، بالنظر إلى حجم الجزائر وتضاريسها. ففي مالايا، استمرت هَذِهِ المرحلة النهائية من مُكَافَحَة التَّمَرُّد خمس سنوات على الأقل.

من الواضح أن اختيار المسار الأول للعمل يجب أن يكون متأثرًا أولاً وقبل كُلّ شيء بالنهج الإستراتيجي المختار. وعلى كُلّ حال، من الجيد أن نتذكر أن مُكَافَحَة التَّمَرُّد تحتاج إلى نجاح واضح، حَتَّى لو كان محدودًا جغرافيًا، وفي أسرع وقت ممكن، لما لذلك من فوائد نفسية على مسار الحَرْب، ما يستحق المخاطرة حَتَّى لو كان ذَلِكَ يعني السماح للمتمردين بالتطور في منطقة أخرى.

كما يجب على مُكَافَحَة التَّمَرُّد أن تكتسب الخبرة العملية في العمليات غير العَسْكَرِيَّة المطلوبة في الحَرْب الثَّوْرِيَّة بأسرع وقت ممكن، والَّتِي تفتقر إليها عادة.

ويشير هذان الاعتباران إلى أن اختيار المنطقة الأولى يجب أن يمهّد لانتصار تكتيكي سهل على حساب المخاطرة الإستراتيجية. وبعبارة أخرى، يبدو أنه من الأفضل الانتقال من السهل إلى الصعب ما لم يكن المتمرد قويًا لدرجة أنه يستطيع تحمل الإستراتيجية المضادة.

العواملُ التكتيكيَّةُ:

عند اختيار المنطقة، يراعي القادة العوامل الَّتِي عادة ما تُؤخَذ بعين الاعتبار في الحَرْب التقليدية، كالتضاريس ومرافق النقل والمناخ. وفي هَذَا الصدد، يجب أن تولي مُكَافَحَة التَّمَرُّد اهتمامًا خاصًا بإمكانية عزل المنطقة وتقسيمها بسهولة من خلال الاستفادة من العوائق الطبيعية والبحار والأنهار والسهول.

قد يبدو من الغريب اعتبار السهول من العوائق الطبيعية في الحَرْب، لكن الحقيقة هِيَ أن الجبال والغابات والمستنقعات ليست عوائق بالنسبة للمتمردين، بل هِيَ ساحتهم المفضلة، كما لا تُعتبر الحدود الدولية من العوائق، بل عادة ما تُعيق مُكَافَحَة التَّمَرُّد. أما في حال غياب العوائق الطبيعية، فيجب حينها النظر في إنشاء عوائق اصطناعية، كما فعل الفرنسيون على طول الحدود التونسية والمغربية. صحيح أن هَذَا الحل قد يكون مكلِفًا، لكنه يُعطي قدرًا كبيراً من الأمان ويوفر الكثير من القوة البشرية ما يجعله يستحق هَذَا العناء.

مع ذَلِكَ، ونظرًا لأن السكان هم الهدف، تكتسب العوامل المتعلقة بهم أهمية خاصة. منها عوامل موضوعية:

- كعدد السكان، فكلما زاد عددهم زادت المخاطر، وتركز السكان أهو في المدن أم القرى؟ أم أنهم منتشرون في جميع أنحاء البلاد؟ فالتجمعات السكانية المركَّزة أسهل للحماية والسيطرة؛ وهكذا يمكن لسرية مشاة أن تسيطر بسهولة على بلدة صغيرة يبلغ عدد سكانها عشرة آلاف إلى عشرين ألف نسمة، ما لم يكن التَّمَرُّد انتفاضة عامة، ولكن الأمر سيحتاج وحدة أكبر بكثير إذا ما توزع نفس العدد في الأرياف.
- ما مدى اعتماد السكان على الإمدادات الخارجية والتسهيلات الاقتصادية الَّتِي توفرها إدارة مُكَافَحَة التَّمَرُّد؟ هل يجب استيراد المواد الغذائية وغيرها من المواد؟ هل التجارة مهمة أم يمكن العيش في اقتصاد ذاتي؟

وقبل كُلّ شيء، هناك عوامل ذاتية تحددها الأسئلة التالية:

- كيف ينظر السكان إلى خصومهم؟
- ما هِيَ نسب الأصدقاء المحتملين، والمحايدين، والأعداء؟
- هل يمكن تحديد هَذِهِ الفئات مسبقًا؟

- **هل يمكن، مثلاً، افتراض الموقف الَّذِي سيتخذه مُلاّك الأراضي والمزارعون الأغنياء وصغار الفلاحين.. إلخ؟ هل ثمة من يسيطر عليهم؟**
- **هل توجد عوامل خلافية يمكن للعدو بواسطتها التفريق بين هَذِهِ الفئات؟**

هَذَا النوع من التحليل السياسي مهم في مُكَافَحَة التَّمَرُّد بقدر أهمية دراسة الخرائط في الحَرْب التقليدية، لأنه سيحدد -وإن كان بشكل تقريبي- مدى صعوبة العمل في المنطقة المدروسة من سهولته. في الجزائر مثلاً، كان من المفترض تلقائيًا أن تلقى جبهة التحرير الوطني معاداةً من قبل قدامى المحاربين المسلمين الَّذِينَ حصلوا على راتب تقاعدي من الحكومة الفرنسية، ومن قبل النساء المسلمات اللواتي يعشن حياة العبودية في ظل العادات الإسلامية سيرحِّبن بالتحرر. وعلى الرغم من الإخفاقات الجزئية، أثبتت هَذِهِ الافتراضات صحتها بشكل عام.

هنالك نسبة مثالية تضبط حجم السكان مع المنطقة، فإذا تجاوزت نسبة السكان في المنطقة هَذِهِ النسبة، يصبح الحفاظ على عزل المناطق صعباً، ويتطلب جهوداً مُضنية، أما إذا انخفض عدد السكان مقارنة بمساحة الأراضي عن هَذِهِ النسبة؛ فسيتأثر السكان بنفوذ المتمردين بشكل لا مناص مِنْهُ، إذ سيجعلهم عددهم القليل يشعرون أنهم مكشوفون وواضحون للغاية، وبالتالي لن يكون بوسعهم الانحياز إلى مُكَافَحَة التَّمَرُّد بالكامل.

وفي المحصلة، لا يمكن تحديد الحجم الفعلي للمنطقة والسكان، حَيْثُ يختلف كثيراً من حالة إلى أخرى. ومع ذَلِكَ، حين نعرف أن المتمرد يتحرك مشيًا على الأقدام فإن هَذَا يعطينا معيارًا ملموسًا لحجم المنطقة. يجب أن يكون الحد الأدنى لقطر المنطقة مساوياً لما لا يقل عن ثلاثة أيام من المشي، كي يضطر أفراد التَّمَرُّد القادمين من الخارج للمشي أكثر من ليلة واحدة للتوغل في عمق المنطقة، وهَذَا من شأنه أن يعطي فرصة أكبر لمكافحة التَّمَرُّد للقبض عليهم.

الإعداد السياسي

عشية الشروع في حملة كبيرة، تواجه مُكَافَحَة التَّمَرُّد ما قد يكون بالنسبة لها أصعب مشكلة تعترضها في الحَرْب: إن عليها أن تسلح نفسها بقضية منافسة.

دعونا أولاً نحذف الحالات السهلة، كالمشكلات التحليلية، الموصوفة على النحو التالي:

1. لا يمتلك المتمردون أي قضية على الإطلاق، فهم يستغلون أخطاء ونقاط ضعف مُكَافَحَة التَّمَرُّد وحسب. ويبدو الوضع كذلك في جنوب فيتنام، حَيْثُ لا يستطيع الفيتكونغ[1] المطالبة بالأراضي الوفيرة في الجنوب، كما لا يرفعون راية مناهضة الاستعمار ففيتنام الجنوبية لم تعد مستعمرة، ولا ينادون بالشيوعية الَّتِي يبدو أنها لا تحظى بشعبية كبيرة بين سكان فيتنام الشمالية. إنما برنامجهم الوحيد هُوَ ببساطة: "أخرجوا الأوغاد"، فإذا عدّل "الأوغاد" (أيًا كان من في السلطة في سايغون) أساليبهم، فسيفقد الفيتكونغ قضيتهم.

2. للمتمردين قضية يمكن لمكافحة التَّمَرُّد أن تتبناها دون تعريض سلطتها للخطر بصورة غير اضطرارية. وكما حدث في الفلبين خلال تمرد "الهوكس- Huks"[2]؛ كُلّ ما يتعين على السلطات فعله في هَذِهِ الحالة هُوَ أن تَعِدَ بإصلاحات شاملة، وأن تثبت جديتها في ذَلِكَ.

بقيت لدينا الحالة العامة، عندما يحتكر المتمرد قضية ديناميكية. في هَذِهِ الحالة، ما الَّذِي يمكن أن تفعله مُكَافَحَة التَّمَرُّد؟ من الضروري معرفة أن أهمية التصدي لدعاية المتمرد ستتراجع إلى حد ما، لأن الحَرْب نفسها ستصبح هِيَ القضية الرئيسية، وهنا يحين الوقت المناسب لبدء الهجوم المضاد.

سيكون من الخطأ الاعتقاد بأن سلطات مُكَافَحَة التَّمَرُّد لا يمكنها الحصول على دعم السكان ما لم تُقر بإصلاحات سِيَاسِيَّة. فمهما تدنَّت شعبيتها بين السكان، ستستطيع الحفاظ على موقعها في السلطة إذا تمتَّعت بقدر كافٍ من القوة والإرادة الصلبة، واعتمدت على مجموعة صغيرة- نشطة- من المؤيدين المخلصين لها، لأنه إذا ما انتصر التَّمَرُّد فسيفقد هَؤُلَاءِ المؤيِّدون كُلّ شيء بما في ذَلِكَ حياتهم.

---

[1] المركز، الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام.

[2] المركز، عصابات شيوعية تشكلت في الفلبين عام 1946 لقتال اليابانيين، قبل أن تتمرد على الحكومة الفليبينية.

تستطيع السلطات إيقاف كُلّ الخدمات الَّتِي تُقدمها للسكان، كالقانون والنظام، والحياة الاقتصادية، والأشغال والخدمات العامة، وما إلى ذَلِكَ، ثُمَّ تعيدها كمكافأة على تعاونهم معها. فمثلاً، تستطيع تقنين الطعام، وحصر البطاقات التموينية بالمتعاونين معها فقط. وفي الوقت نفسه، باستطاعتها الاستفادة إلى أقصى حد من أولئك الجاهزين لدعمها بجدّ، عبر منحهم المزيد من الامتيازات والسلطة، وحكم البلاد من خلالهم، مهما كانوا مكروهين من قبل السكان. هَذِهِ هِيَ الطريقة الَّتِي عمل بها نظام كادار[1] في المجر وغيره للبقاء في السلطة، لكن مثل هَذِهِ السياسة من القوة الخالصة يمكن أن تؤدي في أحسن الأحوال إلى عودة غير مستقرة إلى الوضع السابق، في ظل حالة من التوتر الدائم، وليس سلامًا دائمًا.

في حالة تراجع الميول الليبرالية، والشعور بالمظلومية -إن كان هناك بعض العدالة في مطالب المتمردين- تتطلب الحكمة حينها أن تُعِدَّ سلطات مُكَافَحَة التَّمَرُّد نفسها لسحب أكبر قدر ممكن من أوراق القوة من أيدي المتمردين، وهَذَا يثير تساؤلات جدية حول المضمون والتوقيت.

عند البحث عن قضية مضادة، لا يبقى لمكافحة التَّمَرُّد سوى خيارات محدودة من القضايا الثانوية الَّتِي تخاطب العقل فقط في الوقت الَّذِي تكون فيه العاطفة هِيَ الدافع الرئيسي، فلأي مدى حينها يمكنها الاستمرار في طريق الإصلاحات دون تعريض سلطتها للخطر، والَّتِي هِيَ بعد كُلّ شيء، وسواء كان هَذَا صحيحًا أو خاطئًا، الشيء الَّذِي تسعى للاحتفاظ به.

عندما تكون قضية المتمردين وفق معادلة: إما كُلّ شيء أو لا شيء، كما هُوَ الحال في معظم حركات التَّمَرُّد المناهضة للاستعمار، أو الَّتِي يقودها الشيوعيون، يكون هامش المناورة السياسية محدودًا للغاية. وعندما يُصرُّ المتمرد على الاستقلال حالاً، ويتحدث عن الثَّورَة ويعزز الصراع الطبقي وديكتاتورية البروليتاريا، يمكن لمكافحة التَّمَرُّد أن تعطيه الاستقلال الذاتي الداخلي فقط، أو شيئًا مماثلاً له، مع التأكيد على ضرورة التقدم وإحياء الأخوة بين جميع الطبقات.

وبالرغم من أن مُكَافَحَة التَّمَرُّد تعلم أن برنامجها لن يحظى بجاذبية فورية، أو سيحظى بالقليل منها، إلا أن عليها أن تجد بطريقة ما مجموعة من الإصلاحات، حَتَّى لو كَانَت

[1] يانوش كادار، زعيم شيوعي مجري، ترأس المجر بين عامي 1956- 1988.

ثانوية أو طفيفة، وعليها أن تقبل المغامرة بأن العقل، سيتغلب على العاطفة، على المدى الطويل.

سيكون من الحكمة أيضًا التأكد من توافق ما تقدمه السلطات مع مطالب الناس. فقد تبدو الإصلاحات الَّتِي تُتصور بشكل مجرد واعدة على الورق، لكنها لا تتوافق دائمًا مع الرغبة الشعبية. وبالتالي، تتمثل الطريقة العملية في التحقيق بموضوعية في مطالب الناس ووضع قائمة بها، وشطب تِلْكَ الَّتِي لا يمكن منحها بشكل سليم، والترويج للباقي.

يجب على مُكَافَحَة التَّمَرُّد أن تقرر موعد الإعلان عن برنامجها. فإذا فعلت ذَلِكَ في وقت مبكر جدًا فستكون أشبه بعلامة ضعف تصب في صالح المتمردين، وتشجع السكان على دعم التَّمَرُّد على أمل الحصول على مزيد من التنازلات؛ ومع استمرار الحَرْب، سيختفي تأثير هَذَا البرنامج. وإذا تأخر الإعلان بشكل غير ملائم، فستصبح مهمة كسب دعم السكان أكثر صعوبة. إن تقدير الوقت المناسب للإعلان عن الإصلاحات أمر يعتمد على الظروف، ولا يمكن اقتراح حلّ مسبق له. ومع ذَلِكَ، يبدو أنه من الممكن ومن الحكمة فصل البرنامج السياسي عن الإصلاحات المحددة الملموسة.

يمكن الإعلان عن البرنامج مبكرًا بشكل عام، كما يمكن الإعلان محليًا عن بعض الإصلاحات ما دامت ستبقى بلا تطبيق بذريعة فقد الأمن. بمجرد الانتهاء من العمليات العَسْكَرِيَّة الأولية (وضبط الأمن وتنفيذ الإصلاحات) يجب نشرها على المستوى الوطني عندما تُظهر التجربة المحلية قيمتها.

على أي حال، ليس هناك ما هُوَ أسوأ من إطلاق وعد بالإصلاحات في ظل عدم الرغبة أو عدم القدرة على تنفيذها.

المنطقة الأولى كمنطقة اختبار

بغض النظر عن استعداد قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد وتدريبها ومعرفتها، فإن الواقع سيختلف دائمًا عن المعرفة النظرية. فلا بد أن تحدث الأخطاء، ولكن لا يمكن تبرير عدم التعلم منها. ولهذا السبب، يجب اعتبار المنطقة الأولى المختارة منطقة اختبار. وتكمن قيمة عمليات المنطقة المختارة في نتائجها الجوهرية الَّتِي ستخضع للدراسة.

والاختبار يعني التجريب، والعزم على مراقبة ما يحدث بموضوعية، مع الاستعداد الفوري لتصحيح الأخطاء الواقعة. والتعلم يعني استخلاص الدروس الصحيحة من الأحداث، ونشر التجربة بين الآخرين. وكُلّ هَذَا لا يمكن تركه للصدفة والمبادرة الشخصية، بل يجب أن يُنظَّم بعناية وبشكل مدروس.

يبدو أن الشيوعيين الصينيين، الَّذِينَ أدركوا جيدًا أهمية التعلم والجمع بين النظرية والممارسة، قد طبقوا في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي طريقة يعود الفضل فيها بشكل كبير لعلوم التجربة والمعرفة السليمة، وبشكل أقل للماركسية. وبما أنهم لم يشرحوا طريقتهم بشكل صريح، لذا نُعيد فيما يلي بناء هَذِهِ الطريقة استنادًا إلى ملاحظة الحقائق وبعض التخمين المنطقي.

كلما أقرت القيادة الشيوعية الصينية العليا، أي الأعضاء العشرة أو الاثني عشر من المجموعة الدائمة للجنة المركزية، إصلاحًا رئيسيًا -كإنشاء تعاونيات زراعية شبه اجتماعية- فمعناه أن الفكرة قد نوقشت أولاً بشكل شامل داخل المجموعة. فإذا لم تُرفض الفكرة هناك، تُقدَّم حينها ضمن مسودة أولية، باسم المشروع رقم 1، إلى اللجنة المركزية مع سبعين عضوًا منتظمًا أو نحو ذَلِكَ، لتُناقَش مرة أخرى بدقة، أو يُعدَّل عليها، أو ربما تُلغى.

يَنتج عن هَذِهِ المناقشة ما يسمى بالمشروع رقم 2، وَالَّذِي يُقدَّم بعد ذَلِكَ إلى شريحة عمودية من الحزب المكوَّن من أعضاء يُختارون من كُلّ المناطق والمستويات في الصين. في النمط الشيوعي الصيني النموذجي، تكون المناقشة المفتوحة والصادقة إلزامية؛ فلا يمكن للمرء أن يوافق فقط دون إبداء أسباب شخصية ومُقنِعَة. وبطبيعة الحال، سيؤدي توسيع وجهات النظر هَذَا إلى مزيد من التعديلات على المشروع، وقد يكشف مرة أخرى عن عدم جدواه عمليًا، ومن هنا سيأتي المشروع رقم 3.

كان الشيوعيون الصينيون قد حددوا في وقت مبكر مناطق معينة من كُلّ كتلة كمناطق اختبار. وهكذا، اختُبرت "منشوريا" كغيرها من مناطق الاختبار لأنها تُعتبر طليعة الصناعة في الصين؛ فقد تُختار من كُلّ مقاطعة منطقة واحدة أو عدة مناطق، وفي كُلّ منطقة قرية واحدة أو عدة قرى، وذَلِكَ لأسباب مختلفة: تبعًا لمستواها الأيديولوجي المتقدم، أو المتوسط، أو المتدني، ولكونها قريبة من مدينة كبرى أو مأهولة بالأقليات العرقية. يُنفَّذ المشروع رقم 3 سرًا في مناطق الاختبار، مع الحد الأدنى من الدعاية المحلية. وتُراقَب العمليات من قبل كوادر من كُلّ المستويات القادمة من المناطق غير المحددة ضمن الاختبار.

وفي نهاية التجربة، يُجرى نقد شامل، فإما أن يُرفض المشروع كليًا، أو يُعدَّل وفقًا للدروس المستخلصة من التجربة. فإذا ما أُبقي عليه، فسيُعلن عنه كقرار رسمي ويُطبَّق بكثافة في جميع أنحاء البلاد. وبعدها يعود المراقبون إلى مناصبهم، لا لتطبيق الإصلاحات بأنفسهم، بل للعمل كمعلِّمين ومفتشين على مستوياتهم الخاصة بين الكوادر المحليين.

وبهذه الطريقة، تتمكن بكين في غضون أسابيع قليلة من إجراء أول إحصاء شامل نسبيًا للصين[1]، أو فرض تقنين شديد للحبوب في غضون شهر. وكون النظام الشيوعي قد تعثَّر حرفياً في الفترة اللاحقة من "القفزة العظيمة إلى الأمام[2] "، فهَذَا لا يُلغي صحة هَذَا المبدأ. وعلى الرغم من أن المثال أعلاه غير مأخوذ من حالة مُكَافَحَة تمرد، إلا أنه يمكن بالفعل استخدامه في أي عملية لمكافحة التَّمَرُّد.

[1] إذا تعذَّر التشكيك في شمولية التعداد، فإن صحة النتائج المنشورة شأن آخر. فالصينيون الحمر وحدهم يعرفون الحقيقة بالضبط.

[2] المركز، خطة ماو تسي تونغ لتحويل الصين من دولة زراعية إلى دولة صناعية، وذَلِكَ بين عامي 1958 و1960، وكَانَت النتائج كارثية حينها.

مُلخَّص الفصل السادس

هناك العديد من التحديات الَّتِي قد تواجه مكافح التَّمَرُّد، أهمها:

1. **وحدة القيادة: بسبب تداخل العمل العسكري والأمني والاجتماعي والإداري تكون هَذِهِ المهمة صعبة، حَيْثُ لا يمكن فصل أي من هَذِهِ الأعمال عن بعضها، كما أنه لا بد من قيام بعض العسكريين بالأعمال المدنية بسبب النقص في العدد.**
2. **أسبقية القوة السياسية على العَسْكَرِيَّة: فالحرب الثَّوْرِيَّة سِيَاسِيَّة بنسبة 80% وعسكرية بنسبة 20%، لذا يقود السياسيون المعركة ولا يخضع السياسيون للعسكريين إلا في حال اقتضت الحاجة لسد النقص، وإذا ساءت الأمور فيجب الحفاظ على الحد الأدنى من عمل السلطة المدنية.**
3. **تنسيق الجهود: هناك حلان لمشكلة تداخل عناصر مُكَافَحَة التَّمَرُّد وتنسيق جهودها وتوجيهها في اتجاه واحد: 1- تشكيل لجنة من القادة المحليين. 2- تشكيل طاقم من الموظفين المدنيين مع العسكريين. كما يمكن الجمع بين هذين الخيارين.**
4. **أولوية القيادة المناطقية: الاعتماد على الوحدات الثابتة الَّتِي تعرف الوضع المحلي وطبيعة السكان والمشكلات المحلية بشكل أفضل، وبالتالي عندما ترسل وحدة متنقلة للعمل مؤقتاً في منطقة يجب أن تخضع لقيادة المنطقة.**
5. **تكيُّف القوات المسلحة مع حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد: لا تصبح الحاجة للقوات النظامية ماسَّة ما لم ينجح المتمرد في بناء جيش نظامي قوي، وتحتاج مُكَافَحَة التَّمَرُّد المشاةَ المسلحين بسلاح خفيف، وبقدرة عالية على الحركة مع بعض المدفعية الميدانية لتقديم الدعم وسلاح المدرَّعات، ولا حاجة للوحدات التقليدية غير الضرورية.**
6. **تكيُّف العقول: إن ردود الأفعال والقرارات الَّتِي تُعتبر مُناسِبَة للجندي في الحَرْب التقليدية ولموظَّف الخدمة المدنية، لا تتناسب بالضرورة مع حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد. وللوصول إلى قادة مناسبين يمكن: 1- التلقين والتدريب على أسلوب حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد. 2- الانتقاء المُسبق.**

****

اختيار مجالات العمل:

- **المشكلة الاستراتيجية: هناك ثلاثة مناهج لمكافحة التَّمَرُّد:**

1. **الانتقال من الصعب إلى السهل، فتتركز الجهود مبدئياً على المناطق الحمراء شديدة الخطورة وتمتد تدريجياً إلى المناطق الأخف فالأخف، وَهَذِهِ الطريقة هِيَ الأسرع فيما لو نجحت.**
2. **الانتقال من السهل إلى الصعب، وهِيَ عملية بطيئة وتعطي فرصة أكبر للمتمردين لتطوير قدراتهم والتمسك بالمناطق الحمراء.**
3. **الدمج بينهما.**

من الأفضل الانتقال من السهل إلى الصعب ما لم يكن المتمرد قوياً لدرجة تُحمِّل الإستراتيجية المضادة له.

- **العوامل التكتيكية: التضاريس الصعبة مواتية للمتمردين، والحدود الدولية تعيق مُكَافَحَة التَّمَرُّد، فكلما زاد عدد السكان زادت المخاطر، والتجمعات السكانية المُركَّزَة أسهل للحماية والسيطرة.**

****

الإعداد السياسي:

- **على مُكَافَحَة التَّمَرُّد تسليح نفسها بقضية مُنافِسة لقضية المتمردين، فمهما تدنَّت شعبية مُكَافَحَة التَّمَرُّد بين السكان ستستطيع الحفاظ على موقعها في السلطة إذا ما تمتّعت بالقدر الكافي من القوة والإرادة الصلبة واعتمدت على مجموعة صغيرة نشطة من المؤيدين المخلصين لها، ممن يمكن أن يخسروا كُلّ شيء في حال انتصر التَّمَرُّد بما في ذَلِكَ حياتهم.**
- **ينبغي وضع قائمة بمطالب الناس وشطب تِلْكَ الَّتِي لا يمكن تحقيقها والترويج للباقي.**
- **أسوأ ما يمكن فعله هُوَ إطلاق وعد بالإصلاحات في ظل عدم الرغبة أو عدم القدرة على تنفيذها.**

الفصل السابع: العمليات

سنقوم هنا بدراسة المشكلات التكتيكية الَّتِي تنشأ عادة مع تنفيذ الإستراتيجية الموضحة في الفصل الرابع. ونظرًا لكوننا نتعامل مع الأفكار النظرية، فسنهتم طبعًا بالمبادئ النظرية أكثر من التطبيقات الميدانية.

الشكل (9): خطوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد في نظرية ديفيد جاليولا

الخطوة الأولى: تدمير أو طرد قوات التَّمَرُّد

من الواضح أن تدمير قوات حرب العصابات في المنطقة المختارة أمر مرغوب فيه للغاية، وهَذَا ما يجب على مُكَافَحَة التَّمَرُّد السعي لتحقيقه. ولكن يجب أن يُعلم أن هَذِهِ العملية ليست غايةً في حد ذاتها، فالمتمردون، كرؤوس تنين هيدرا الأسطوري[1] لديهم قدرة خاصة على النمو مجددًا إن لم يُقضى عليهم جميعًا في الوقت نفسه. إذن، فالغرض الحقيقي من العملية الأولى، التهيئة لبقية عمليات مُكَافَحَة للتمرد.

تصل مُكَافَحَة التَّمَرُّد لهدفها عندما تستطيع الوحدات الثابتة الَّتِي تُركت لتحصين المنطقة أن تنتشر بأمان ضمن المساحة الضرورية. وبالتالي، إذا اقتصرت العملية على طرد معظم رجال المتمردين فقط، فإن النتيجة جيدة نوعًا ما. فإذا فُكِّكُوا إلى مجموعات صغيرة جدًا وظلوا مختبئين في المنطقة، فسيكون الوضع مقبولاً طالما أن مُكَافَحَة التَّمَرُّد ترى أنه لا يمكنهم إعادة تجميع صفوفهم. لذا، سيتعين في هَذِهِ الحالة على بعض قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد المتنقلة البقاء في المنطقة، حَتَّى تصبح الوحدات الثابتة في وضع يُمكِّنها من التعامل مع المتمردين المنتشرين ومنع إعادة تجمُّعهم في عصابات أكبر وأكثر خطورة، بعد أن تُثبّت وجودها وتفرض سيطرة كافية على السكان. ولا ينبغي أن يطول وقت هَذِهِ الخطوة ظنًا بأن ذَلِكَ سيحقق نتائج عَسْكَرِيَّة أفضل.

إن تكتيكات هَذِهِ العملية بسيطة من حَيْثُ الجوهر، وهِيَ كالتالي:

1. تُثبَّت الوحدات المتنقلة مع الوحدات المخصصة للبقاء في المنطقة لدعم وحدات ثابتة كَانَت موجودة فيها مسبقًا. تبدأ الوحدات العمل من الخارج إلى الداخل، بهدف محاصرة رجال المتمردين في حلقة والقبض عليهم. وفي الوقت نفسه، تُصدَر الأوامر للوحدات الَّتِي تحمي المناطق المجاورة بتكثيف نشاطها في محيط المنطقة المختارة.

2. تُجرى عملية التمشيط التالية من الداخل إلى الخارج، بهدف طرد المتمردين على أقل تقدير.

3. تُقسّم العملية الشاملة في النهاية إلى عدة عمليات صغيرة الحجم، وتُخصص جميع الوحدات الثابتة، الموجودة مسبقًا وكذلك الجديدة، لقطاعاتها الدائمة. يعمل جزء من الوحدات المتنقلة ككيان يُتحكم بها مركزيًا، فيما يرسَل الباقي لتدعيم القطاعات

[1] في الأساطير اليونانية كان ثعبان الهيدرا وحشاً متعدد الرؤوس واجه هرقل. وحسب الأسطورة، وجد هرقل صعوبة بالغة في هزيمته، لأنه كلما قطع رأساً من رؤوسه عاد لينمو بسرعة كبيرة.

الأخرى. وتعمل كُلّ القوات على القضاء على ما تبقى من المتمردين بعد عمليتي التمشيط السابقتين.

تُستكمل العمليات خلال هَذِهِ الخطوة -كما هُوَ الحال في جميع العمليات الأخرى- بمعلومات تكتيكية وحرب نفسية موجهة ضِدّ المتمردين وقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد والسكان.

الدعاية الموجهة لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد

لا بد أن تُحدِث العمليات خلال هَذِهِ الخطوة -والَّتِي يغلب عليها الطابع العسكري- بعض الضرر والدمار. وسيسعى المتمردون من جانبهم إلى افتعال اشتباكات بين السكان وقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

وبما أن استعداء السكان لن يساعد على نجاح المهمة، فمن الضروري أن تبقى المشكلات الَّتِي تواجهها مُكَافَحَة التَّمَرُّد والأفعال المتهورة من جانب قواتها في حدها الأدنى. يجب تلقين الوحدات المشاركة في العمليات عقيدة شاملة لتفادي هَذِهِ الأخطاء، ومعاقبة المسيئين بشدة وعلى العلن إن كان ذَلِكَ يؤدي إلى إقناع السكان. كما يجب تعويض السكان عن أي ضرر يحدث على الفور دون وضع أي خطوط حمراء.

الدعاية الموجهة للسكان

إن مطالبة السكان المحليين بالتعاون بشكل جماعي وعلني في هَذِهِ المرحلة سيكون بلا فائدة، بل وسيؤدي إلى هزيمة ذاتية، لأنهم لا يستطيعون فعل ذَلِكَ، فهم لا يزالون تحت سيطرة المتمردين. إن الترويج لمثل هَذَا الخط سيعرّض مُكَافَحَة التَّمَرُّد لفشل عام. أضف أنه إذا تعاون بعض المدنيين المحليين قبل الوقت المناسب، وعاقبهم المتمردون، فإن الانتكاسة النفسية ستكون كارثية.

سيكون من الحكمة لمكافحة التَّمَرُّد أن يقتصر هدفها على الحصول على موقف محايد من السكان، دون الانحياز لأي من الجانبين، على أن تكون الدعاية العامة كالتالي: "ابقَ محايدًا وسيعود السلام قريبًا إلى المنطقة. أما لو ساعدتم المتمردين، فسنضطر للقيام بمزيد من العمليات العَسْكَرِيَّة، وبالتالي سيحدث المزيد من الدمار".

الدعاية الموجهة للمتمردين

إن الغاية من الحَرْب النفسية على المتمردين هِيَ دفعهم لقبول المواجهة، والحفاظ على نشاطهم بينما تكون مُكَافَحَة التَّمَرُّد في ذروة قوتها، وَالَّذِي سيكون أكبر خطأ يرتكبه المتمردون في هَذِهِ المرحلة.

حين تفقد مُكَافَحَة التَّمَرُّد فوائد عنصر المفاجأة الَّتِي تحققت أثناء تركيز الجهد (إن وُجدت) وبعد العمليات الأولى، ثُمَّ تعلن بعد ذَلِكَ عن نيتها البقاء في المنطقة للعمل مع السكان وكسب دعمهم، فحينها قد يندفع المتمردون لقبول التحدي خوفًا على سمعتهم الَّتِي تمثل قوتهم الحقيقية.

الخطوة الثانية: نشر الوحدات الثابتة

في هَذِهِ المرحلة، يستحيل عمليًا القضاء التام على مجموعات المتمردين من خلال العمل العسكري، وستتمكن الفلول دائمًا من البقاء في المنطقة، وسينضم المجنّدون الجدد إلى صفوفهم طالما لم تُدمّر خلاياهم السياسية. ولا يمكن القضاء على هَذِهِ الخلايا بشكل كامل إلا من خلال التعاون النشط للسكان، الَّذِي سيكون متاحًا لمكافحة التَّمَرُّد في الخطوات اللاحقة من العملية، إذا سارت الأمور على ما يرام. ولهذا السبب يتحول اهتمام مُكَافَحَة التَّمَرُّد هنا من المقاتلين إلى السكان.

لا يعني هَذَا أن النشاط العسكري سيتوقف، بل على العكس من ذَلِكَ. ستستمر الوحدات الثابتة في تعقُّب المتمردين، ولكن من خلال عمليات محدودة ونصب كمائن صغيرة، مُدركين أن هَذَا النشاط يجب ألا يصرفهم أبدًا عن مهمتهم الأساسية، وهِيَ كسب دعم السكان.

على مُكَافَحَة التَّمَرُّد أيضًا أن تتأكد من أن المتمردين لن يعودوا بقوة من الخارج، وستكون مواجهة مثل هَذِهِ التوغلات المهمة الرئيسية للقوات المتنقلة في المنطقة.

إن الغرض من نشر الوحدات الثابتة هُوَ إنشاء شبكة من القوات، تحمي السكان والجماعات السياسية المناهضة للتمرد بشكل معقول، وتشارك في العمل المدني على أدنى مستوى، لكن فقط عند وجود نقص في الموظفين السياسيين المدنيين. وتُقسم المنطقة إلى قطاعات وقطاعات فرعية، لِكُلٍّ منها وحدة ثابتة خاصة بها.

يجب أن يصل هَذَا التنظيم إلى مستوى الوحدات الرئيسية المكوِّنَة لمكافحة التَّمَرُّد: وهِيَ أكثر الوحدات الَّتِي يتواصل قادتها بشكل مباشر ومستمر مع السكان، كما أنها الأكثر أهمية في عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، فهي المستوى الَّذِي تنشأ فيه معظم المشكلات العملياتية، حَيْثُ تكسب الحَرْب أو تخسرها. ويختلف حجم الوحدة من حالة إلى أخرى، فقد تكون الوحدة الأساسية كتيبة أو سرية في البداية، أو فرقة أو حَتَّى شرطيًا ريفيًا في نهاية العملية.

تتطلب بعض النقاط اهتمامًا خاصًا أثناء نشر الوحدات الثابتة:

يجب أن تتطابق الحدود الإدارية والعَسْكَرِيَّة على كُلّ المستويات، حَتَّى لو بدت الحدود الناتجة غير منطقية من وجهة نظر عَسْكَرِيَّة بحتة. لأن عدم مراعاة هَذَا المبدأ قد يؤدي إلى ارتباك من شأنه أن يصب في صالح المتمردين.

يبدو من المنطقي أن تكون الشبكة في البداية أكثر إحكامًا في وسط المنطقة عنها في المحيط، حَيْثُ ستخصص قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد بالضرورة جزءًا أكبر من نشاطها للعمليات العَسْكَرِيَّة.

يجب نشر الوحدات حَيْثُ يعيش السكان بالفعل، لا في المواقع الَّتِي تعتبر ذات قيمة عَسْكَرِيَّة. إذ يمكن لوحدة عَسْكَرِيَّة أن تقضي الحَرْب بأكملها فيما يسمى بالمواقع الإستراتيجية دون المساهمة بأي جهد فعلي في هزيمة المتمردين. ولا يعني هَذَا ترك حماية الجسور ومراكز الاتصالات والمنشآت الأخرى المعرضة للخطر، إنما لا ينبغي إهدار طاقة قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد في المواقع التقليدية الحاكمة، لأن هَذِهِ المواقع في الحَرْب الثَّوْرِيَّة عمومًا لا تحكم شيئًا.

إن كان سكان الريف متفرقين للغاية، بِحَيْثُ لا يسمحون بتمركز كتيبة عَسْكَرِيَّة مع كُلّ مجموعة، فسيكون على مُكَافَحَة التَّمَرُّد أن تعيد توطينهم في أماكن أخرى، كما حدث في مالايا وكمبوديا والجزائر، ويحدث اليوم في جنوب فيتنام. إن إجراءً جذريًا كَهَذَا يُعدُّ معقدًا وخطيراً، فنقل السكان إلى مناطق أخرى وإسكانهم فيها ومنحهم مرافق للاحتفاظ بوسائل معيشتهم القديمة أو الجديدة المستقلة أمر معقد للغاية.

ومكمن الخطورة في أن أحدًا لا يحب التهجير، ومن المحتم أن تستعدي العملية السكان بشكل جدي في وقت حرج؛ من جهة أخرى، قد تؤدي عملية إعادة التوطين في نهاية المطاف، بتخطيط وإدارة جيدين، إلى توفير مزايا اقتصادية واجتماعية للسكان، لكنها لن تظهر على الفور. بالإضافة إلى أن إعادة توطين السكان هِيَ في الأساس عملية ذات عقلية دفاعية. إذ تمنح المتمردين قدرًا كبيراً من الحرية في الأرياف، في الليل كحد أدنى، وتتوافق مع الهدف النهائي المتمثل في الاستخدام الفعال للسكان، كمصدر استخبارات وكميليشيا واسعة النطاق، ضِدّ المتمردين.

كان للحرب الجزائرية الأثر البالغ في تشكيل الأوهام الغريبة حول آثار عملية إعادة التوطين. فعندما أغلق الفرنسيون الحدود التونسية، قاموا ببناء السياج على مسافة ما منها. وأنشأوا منطقة محظورة عبر تهجير السكان المحليين من بعض القطاعات الواقعة

بين السياج والحدود. في العام 1959، عندما تحسن الوضع بشكل كبير، أعاد الفرنسيون توطين السكان في مساكنهم الأصلية بين السياج والحدود. ثُمَّ قامت جبهة التحرير الوطني، بدورها، بإخراج السكان بالقوة إلى تونس، لأن الفرنسيين كانوا يحصلون على الكثير من المعلومات الاستخباراتية عن تحركات مقاتليها منهم.

من الواضح أن إعادة التوطين عبارة عن تدبير أخير نشأ من ضعف مُكَافَحَة التَّمَرُّد. يُصار إلى هَذَا التدبير حين تُشير الوقائع الميدانية إلى عدم إمكانية انتشار قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد بشكل آمن بالمستوى المطلوب. في هَذِهِ الحالة، يجب أولاً اختبار إعادة التوطين بعناية وبشكل محدود لاكتشاف المشكلات الناجمة عنه، والحصول على الخبرة اللازمة، ويسبق العملية إعداد نفسي ولوجستي مكثف. وأخيراً، من الضروري أن يتوافق حجم عمليات إعادة التوطين المختلفة مع أقصى انتشار ممكن لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد؛ فمثلاً، في منطقة معينة، إذا كَانَت الكتيبة قادرة على نشر سراياها بأمان، فإن إنشاء أربع مستوطنات تضم كُلّ منها ألفي شخص أفضل من مستوطنة واحدة تضم ثمانية آلاف شخص.

قد تتحول المناطق ذات الكثافة السكانية المنخفضة والَّتِي يصعب الوصول إليها بسبب التضاريس إلى مناطق محظورة، حَيْثُ يمكن في نهاية المطاف القبض على المتسللين برًا وبحرًا أو إطلاق النار عليهم.

وفي كُلّ مرحلة، يجب أن يكون للقيادة الإقليمية قواتها الاحتياطية المتنقلة الخاصة. فكلما زاد تشتت الوحدات الثابتة، زادت أهمية هَذِهِ القوات الاحتياطية. ومع ذَلِكَ، لا ينبغي أن تبقى هَذِهِ القوات بعيدة عن العمليات العَسْكَرِيَّة؛ إذ يمكنهم، بل يجب عليهم أيضًا، المشاركة في برنامج العمل المدني. وبمعنى آخر، تمثّل هَذِهِ القوات المحلية الاحتياطية المتنقلة وحدات ثابتة تستطيع القيادة المحلية تحريكها ضمن فترة تحذيرية محددة تبلغ ساعة أو ساعتين أو أكثر.

وعلى قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد ألا تتبع نمطًا محددًا للانتشار، كسرية أو مفرزة لِكُلِّ قرية. بل يجب أن تكون مرنة، فمع تقدم عمل مُكَافَحَة التَّمَرُّد وعودة الأمن إلى المنطقة، سيتعين على الوحدات الثابتة الانتشار أكثر فأكثر، فلا يتبقى سوى عدد قليل فقط من الجنود لتأمين نواة وحدات الدفاع المحلية.

وبالتالي، يجب تجنب بناء الإنشاءات الضخمة والمكلفة لإسكان القوات، لا بسبب التكلفة الَّتِي ينطوي عليها ذَلِكَ وحسب، ولكن لأسباب نفسية أخرى. فالطبيعة البشرية تقضي أن يتردد الَّذِينَ يرتبطون بمكان سكنهم في الانتقال إلى أماكن أخرى أقل راحة. كما تقضي بأن الجنود الَّذِينَ يعيشون في الثكنات دائمًا ما يكونون غرباء في أعين السكان، كأشخاص منفصلين عنهم. بينما حين يقتصر البناء على ما هُوَ ضروري للغاية، فستضطر قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد للعيش كما السكان، في أكواخ إذا لزم الأمر، وسيساعد هَذَا على إحداث روابط مشتركة بين الطرفين.

ينطبق مبدأ منطقة الاختبار على كُلّ مرحلة من هَذِهِ المراحل. فحتى تكتسب الوحدة الأساسية بعض الخبرة العملية، سيكون من الأفضل لها ألا تنتشر دفعة واحدة في جميع أنحاء أراضيها، حَتَّى لو كان ذَلِكَ آمنًا. وبدلاً من ذَلِكَ، عليها أن تركز عملها أولاً على قرية واحدة، كي يفهم الجنود عندما يحتلون قرى أخرى، ما يجب عليهم فعله وما يجب تجنبه.

وخلال هَذِهِ الخطوة، قد تُحدَّد الأهداف التالية لبرنامج المعلومات والحَرْب النفسية.

الدعاية الموجهة لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد

بما أن جهودها الرئيسية ستتحول فيما بعد من الأنشطة العَسْكَرِيَّة إلى الأنشطة الأخرى، تحتاج قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد لمن يخبرها بأسباب التغيير ويشرح لها مهامها المستقبلية بشكل عام. إذا أُجري هَذَا البرنامج المعلوماتي في جو من المناقشة الحرة، فبالإمكان استخدامه لغرض عملي: وفقًا لتفاعلات المشاركين، يمكن للقائد تحديد الموظفين والجنود الَّذِينَ يُفضل لهم العمل عن كثب مع السكان. وأولئك الَّذِينَ هم بعكس من سبق، أكثر ميولاً للجانب العسكري من أعمال مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

الدعاية الموجهة للسكان

يمثل نشر الوحدات الثابتة بداية حملة طويلة لانتقال السكان من موقفهم المحايد، أو المعادي. فالانتشار حجة مقنعة ليظهر أن مقاتلي مُكَافَحَة التَّمَرُّد موجودون للبقاء، لأنهم لن ينتشروا لو فكروا بمغادرة المنطقة بعد عملية حاسمة واسعة النطاق. وبطبيعة الحال، يجب استغلال هَذَا الخط، ولعل الطريقة الأفضل تكون غير مباشرة من خلال السماح للسكان بإجراء استنتاجاتهم الخاصة من الحقائق والشائعات. فالتفاوض، مثلاً، على عقد

لمدة سنتين أو ثلاث للحصول على الخشب أو المحاصيل من أحد القرويين سينتج عنه حتمًا التأثير الصحيح.

الدعاية الموجهة للمتمردين

لا يمكن أن يكون الانتشار فوريًا أو حَتَّى متزامنًا في كامل المنطقة المحددة، فالموقف الميداني سيُظهر حتمًا تباينات بين قطاع وآخر. خلال هَذِهِ الفترة، يبقى زخم قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد عاليًا نظرًا لوجود وحدات متحركة تعمل في المنطقة، ولأن الوحدات الثابتة لم تتوزع بعد في مفارز صغيرة. وتبقى مصلحة مُكَافَحَة التَّمَرُّد في اتباع نفس السياسة كما في الخطوة السابقة، وتحريض المتمردين على الرد في أسوأ وقت ممكن بالنسبة لهم. لذا من الضروري التأكيد على أنهم سيضيعون بمجرد عزلهم عن السكان. وقد تدفع دعوتهم لمغادرة المنطقة أو الاستسلام قادتهم إلى فعل العكس تمامًا، أي الهجوم.

الخطوة الثالثة: مخالطة السكان والسيطرة عليهم

في هَذِهِ الخطوة، يتم العمل على ثلاث نقاط رئيسية، هِيَ:

1. إعادة بسط سلطة مُكَافَحَة التَّمَرُّد على السكان.

2. عزل السكان قدر الإمكان عن المتمردين، عبر الوسائل المادية.

3. جمع المعلومات الاستخباراتية الضرورية الَّتِي تساعد في القضاء على خلايا المتمردين السياسية.

هَذِهِ الخطوة هِيَ الأكثر أهمية في العملية برمتها، نظرًا لطابعها الانتقالي، والانتقال من التركيز على العمليات العَسْكَرِيَّة إلى التركيز على العمليات السياسية، كما أن كلا الطرفين يتحملان خلالها عبئًا ثقيلاً.

يتحول جُل الاهتمام الرئيسي الآن إلى مستوى وحدة العمل الأساسية، حَيْثُ تدور المعركة الحقيقية، فتعمل هَذِهِ الوحدة على:

1. مخالطة السكان: هَذِهِ العملية الخاصة، مخالطة السكان، هِيَ في الواقع أول مواجهة بين المعسكرين لبسط السيطرة على السكان. وهنا، يكون الموقف المستقبلي للسكان، ومن ثُمَّ النتيجة المحتملة للحرب، هُوَ على المحك، ولا يمكن لمكافحة التَّمَرُّد أن تخسر هَذِهِ المعركة.

سبب هَذِهِ المعركة أن السكان، الَّذِينَ كانوا حَتَّى وقت قريب تحت سيطرة المتمردين المُعلَنَة وربما لا زالوا تحت سيطرتهم الخفية عبر الخلايا السياسية النائمة، لا يمكنهم التعاون بشكل عفوي حَتَّى لو توافرت الأسباب المقنعة بأن الغالبية متعاطفة مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد. وعادة ما يتجنب السكان أي احتكاك مع قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، لوجود حاجز بينهم وبينها يجب كسره، ولا يمكن كسره إلا بالقوة. فمهما كان ما تريد مُكَافَحَة التَّمَرُّد من السكان أن يفعلوه، فإنه يجب أن يُفرض عليهم. ومع ذَلِكَ، لا ينبغي التعامل مع السكان كعدو.

فالحل هنا أولاً أن تَطلب مُكَافَحَة التَّمَرُّد من السكان، ثُمَّ تأمرهم، بالقيام بعدد معين من المهام الجماعية والفردية الَّتِي ستدفع مقابلها. فعبر إعطاء الأوامر، توفر مُكَافَحَة التَّمَرُّد الذريعة الَّتِي يحتاجها السكان أمام المتمردين. وطبعًا، سيكون الخطأ الفادح، في إصدار أوامر غير قابلة للتنفيذ؛ لذا، على مُكَافَحَة التَّمَرُّد أن تحرص على إصدار الأوامر باعتدال، بعد التأكد من قدرة السكان على الامتثال لها بشكل تلقائي.

تقود مُكَافَحَة التَّمَرُّد السكان تدريجياً، وإن كان بطريقة سلبية فقط، بدءاً بمهام تعود بالفائدة على السكان مباشرة -كتنظيف القرية أو إصلاح الشوارع- وذَلِكَ لإشراكهم في معركتها ضِدّ التَّمَرُّد، من خلال أعمال كبناء طرق للاستخدامات العَسْكَرِيَّة، والمساعدة في بناء التحصينات الدفاعية للقرية، ونقل الإمدادات إلى المفارز العَسْكَرِيَّة، وتوفير المرشدين والحراس.

2. السيطرة على السكان: من الواضح أن السيطرة على السكان تبدأ بإحصاء شامل، عبر تسجيل كُلّ فرد منهم ومنحه بطاقة هوية مضمونة، وإصدار دفتر عائلة لِكُلِّ منزل لتسهيل الرقابة من منزل إلى آخر. وينبغي أن يكون أرباب الأسر مسؤولين عن الإبلاغ عن أي تغيير عند حدوثه. فبالإضافة إلى أهمية هَذَا الإجراء في الحفاظ على التعداد السكاني محدَّثًا، فالمسؤولية الملقاة على عاتق رب الأسرة تدفعه للتعاون مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد بإرادته.

لا يمكن للمتمرد أن يتجاهل خطوة التعداد، الَّتِي يسهل عليه توقع آثارها جيدًا، لذا سيحاول بالتأكيد تعطيلها. وتتمثل إحدى طرقه في إجبار القرويين على إتلاف بطاقات هوياتهم الجديدة؛ ونظرًا لأن المدني يواجه الكثير من المتاعب بلا بطاقة هوية في ظل الحَرْب الثَّوْرِيَّة، فستثير هَذِهِ الطريقة بعد فترة وجيزة غضبًا كبيرًا بين السكان بِحَيْثُ يضطر المتمردون إلى التخلي عنها.

وبدلاً من ذَلِكَ، قد يحاولون تسجيل أفرادهم، معتمدين على جهل مُكَافَحَة التَّمَرُّد المحلية وتضامن السكان معهم، أو صمتهم. ولمواجهة هَذَا الأسلوب الأكثر غدرًا، يمكن لمكافحة التَّمَرُّد أن تطلب من كُلّ رجل سليم جسديًا، خاضع للتعداد، أن يكفله ضامنان من خارج عائلته، ليكونا مسؤولين عن صحة إفادتهما، والَّتِي ينبغي أن تكون كذلك، وإلا واجها عقوبات شديدة، ويتم التحقق من هَذِهِ الإفادات قبل إصدار بطاقة الهوية. سيساهم هَذَا الإجراء أيضًا في تأليب السكان على المتمردين.

يُعدّ الإحصاء، إذا أُجري واستُخدم بشكل صحيح، مصدرًا أساسيًا للاستخبارات. فمثلاً، سيُظهر تفاصيل ارتباطات كُلّ شخص، وهِيَ معلومة مهمة في ظل مُكَافَحَة التَّمَرُّد، فتجنيد المتمردين على مستوى القرية يعتمد عمومًا في البداية على الروابط الأسرية. كما يُظهر من لديه أملاك أو عمل خارج القرية ولديه بالتالي أسباب مشروعة للسفر؛ ويحدد مصدر دخل كُلّ رجل ومقداره، وَالَّذِي سيُميز على الفور أولئك القادرين على الاشتراك

في أنشطة غير طبيعية، عن أولئك الَّذِينَ لا يستطيعون ذَلِكَ. وبالتالي، ينبغي التخطيط جيدًا للتعداد، وإجرائه بطريقة منهجية بِحَيْثُ لا تختلف الطريقة والنتائج بين قطاع وآخر.

تهدف هَذِهِ السيطرة إلى قطع التواصل بين السكان والمتمردين، أو الحد مِنْهُ بشكل كبير على أقل تقدير. ويتم ذَلِكَ من خلال مراقبة أنشطة السكان؛ وبعد فترة من الزمن، عندما يصبح أفراد مُكَافَحَة التَّمَرُّد على دراية بالسكان ويعرفون كُلّ فرد منهم، يمكن حينها وبسهولة اكتشاف السلوك غير الاعتيادي لأيٍّ منهم. وقد تتسارع عملية التعرف على السكان إذا ما قُسّمت القرى المحتلة إلى أقسام، وخُصّص كُلّ منها لمجموعة من الجنود الَّذِينَ سيعملون هناك دائمًا.

تتحقق السيطرة أيضًا من خلال فرض حظر تجول، وقانونين بسيطين يتعلقان بتنقل الأشخاص، هما: (1) لا يُسمح لأي شخص مغادرة قريته لأكثر من أربع وعشرين ساعة دون تصريح، (2) ولا يُسمح لأي شخص أن يستقبل شخصًا غريبًا من خارج القرية دون إذن. وليس الغرض من ذَلِكَ منع الحركة -ما لم تكن هناك أسباب محددة للقيام بذلك- ولكن التحقق منها. ومن خلال فرض المزيد من القيود على السفر، تعطي مُكَافَحَة التَّمَرُّد للسكان مرة أخرى ذريعة لعدم تعاونهم مع المتمردين.

ومع ذَلِكَ، لا قيمة لِهَذِهِ القواعد ما لم تطبق بشكل صارم ونظامي. ونظرًا لأن المتمردين يسعون لتوريط السكان، يجب إذًا وضع نظام سريع وموجز من العقوبات وتعميمه على السكان. تستحق مشكلة العقوبات دراسة على أعلى مستوى في التسلسل الهرمي لمكافحة التَّمَرُّد، لأنها مشكلة جدّية، ولا يمكن ترك حلها لمبادرة القادة المحليين، فقد يقرُّون عقوبات مخفَّفة أو شديدة للغاية، الأمر الَّذِي سيؤدي إلى الفوضى على أي حال.

سيكون المتمردون الَّذِينَ بقوا في المنطقة المختارة في نهاية الخطوة الأولى قِلة ومشتتين، وسيحتاجون إلى القليل جدًا من الإمدادات من أجل البقاء. وسيتطلب عزلهم عن مصادر الإمدادات جهدًا كبيراً لتحقيق نتائج محدودة. فإذا بدا أن السيطرة على حركة البضائع ضرورية، فيجب أن يقتصر ذَلِكَ على المواد النادرة والمهمة بالنسبة للمتمردين، كالأطعمة المعلَّبة، وبطاريات اللاسلكي، والأحذية. وعندما يكون المتمردون معزولين جغرافياً عن السكان، تكون الرقابة على المواد الغذائية حينها فعّالة بتكلفة أقلّ، كما هُوَ الحال في مالايا حَيْثُ عاشوا في الغابة بينما أُعيد توطين السكان في الخارج.

3. حماية السكان: وكما أن فرض سلطة قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد بالقوة يعطي السكان ذريعة لعدم التعاون مع المتمردين، فإن العكس كذلك صحيح. فمن خلال التهديد، يمنح المتمردون السكان عذرًا، إن لم يكن سببًا، لرفض التعاون مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد أو الامتناع عن ذَلِكَ.

لا يمكن لمكافحة التَّمَرُّد أن تحقق الكثير إذا لم يكن السكان محميين من المتمردين ويشعرون بِهَذِهِ الحماية. لذا، تحتاج مُكَافَحَة التَّمَرُّد إلى تكثيف نشاطها العسكري، ومضاعفة الدوريات والعمليات المحدودة في النهار والكمائن ليلاً. وقبل كُلّ شيء، يجب عليها تجنُّب الموقف الكلاسيكي، حَيْثُ تحكم المنطقة أثناء النهار، ويحكمها المتمردون أثناء الليل.

يجب وضع خطط للرد السريع ضِدّ أي تحرك للمتمردين، بما في ذَلِكَ قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد القادرة على التدخل في أي لحظة.

4. جمع المعلومات الاستخباراتية: عندما تُنشأ منظمة لجمع المعلومات الاستخباراتية فستتدفق هَذِهِ المعلومات بشكل تلقائي، إما لإقبال المخبرين تلقائيًا على هَذِهِ المنظمة، أو لأنها هِيَ من تتعقَّبهم. لكن المشكلة الحقيقية الوحيدة تكمن في كيفية تحضير المضخة (المخبرين) وتسريع تدفق المعلومات.

في هَذِهِ المرحلة، يصعب الحصول على المعلومات بشكل عفوي، نظرًا لخوف السكان من المتمردين وعدم ثقتهم في مُكَافَحَة التَّمَرُّد. وللتغلب على هَذَا الموقف، ينبغي إعطاء المخبرين المحتملين طريقة آمنة وسرية لنقل المعلومات. يمكن تصميم العديد من الأنظمة لِهَذَا الغرض، ولكن أبسطها هُوَ مضاعفة فرص التواصل الفردي بين السكان وعناصر مُكَافَحَة التَّمَرُّد، الَّذِينَ على كُلّ منهم أن يشارك في جمع المعلومات الاستخباراتية (وليس المتخصصين منهم فحسب). فالتعداد، وإصدار التصاريح، وأجور العمال، وما إلى ذَلِكَ، هِيَ من جملة هَذِهِ الفرص.

عند البحث عن مخبرين، سيكون لمكافحة التَّمَرُّد نتائج أفضل إذا ركزت جهودها على السكان الَّذِينَ ينبغي أن يكونوا، بحكم التعريف، حلفاءها المحتملين من أولئك الَّذِينَ إذا انتصر التَّمَرُّد ستكون خسائرهم أكبر بكثير من المكاسب. يمكن توقع من يكون هَؤُلَاءِ انطلاقاً من برنامج المتمردين.

إذا استمر تدفق المعلومات الاستخباراتية بشكل بطيء، فيمكن ممارسة الضغط حينها. لا يمكن لأي مدينة، حَتَّى في بلد بدائي، أن تتحمل ضغوطًا إدارية مُفْرِطة طويلة الأمد؛

فظروف التَّمَرُّد تؤدي بطبيعة الحال إلى زيادة عدد القوانين الَّتِي يجب الالتزام بها في الحياة اليومية. يمكن للنظام الإداري الصارم أن يكون سلاحًا قويًا في يد مُكَافَحَة التَّمَرُّد، شريطة أن يُستخدم باعتدال وانضباط، لا ضِدّ المجتمع ككل، ولكن ضِدّ بعض الأفراد وحسب.

في الحالات الصعبة، تكون الزيارات للسكان بانتحال صفة المتمردين طريقة أخرى للحصول على المعلومات ولإثارة الشكوك بين المتمردين الحقيقيين والسكان في آن معًا.

5. البدء في كسب دعم السكان: في هَذِهِ المرحلة، يكون تنفيذ الإصلاحات السياسية -إذا ما حُددت وأُعلن عنها من قبل الحكومة- أمرًا سابقًا لأوانه. وسيحين وقتها المناسب بعد تدمير خلايا المتمردين السياسية وظهور القادة المحليين. تتمثل مهمة قادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد المحليين في المجال السياسي في اكتشاف الإصلاحات المطلوبة حقًا، وإبلاغ القيادات العليا بها، أو تحديد ما إذا كَانَت الإصلاحات المُعلَنَة تتوافق مع الرغبة الشعبية أم لا.

من ناحية أخرى، يمكن لمكافحة التَّمَرُّد البدء في الحال بالعمل على مشاريع مختلفة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والطبية، حَيْثُ لا تعتمد النتائج كليًا على تعاون السكان النشط. فإذا اعتُبرت هَذِهِ المشاريع مفيدة مسبقًا للسكان، فقد تُفرض عليهم؛ وسينسون اتهامات التسلط عندما تتحدث النتائج عن نفسها قريبًا.

ينبغي أن تنتهز مُكَافَحَة التَّمَرُّد كُلّ فرصة لمساعدة السكان بمواردها الخاصة، من الأفراد والمعدات. كما أن عدم التباهي هُوَ الموقف الأفضل في هَذِهِ المرحلة، فسواء كان التباهي جيدًا أو سيئًا، سيتم التعليق عليه دائمًا وتضخيمه من خلال الشائعات العامة.

وخلال هَذِهِ الخطوة، تتعدد المشكلات والمهام في مجال المعلومات والحَرْب النفسية.

الدعاية الموجهة لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد

عندما تنتشر القوات بين السكان وتعيش معهم، فإنه لا داعي بعد لإخبارهم بوجوب كسب دعمهم. فلكونهم أكثر عرضة للخطر، يدرك عناصر مُكَافَحَة التَّمَرُّد بشكل غريزي أن سلامتهم تعتمد على علاقاتهم الجيدة بالسكان المحليين. حينها سيبادرون تلقائيًا للتعامل معهم بالودّ واللطف. لكن المشكلة الآن هِيَ بالأحرى في كيفية إقناعهم بضرورة البقاء على أهبة الاستعداد داخليًا مع إظهار الود للسكان.

هناك مشكلة أخرى تتمثل في كيفية صنع عامل نشط وفعال من كُلّ فرد في قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، بغض النظر عن رتبته وقدرته. فبينما كَانَت الطاعة الصارمة للأوامر كافية في الخطوات السابقة، تصبح المبادرة الآن ضرورة. ومع ذَلِكَ، يجب توجيه كُلّ جهد فردي نحو الهدف نفسه، مع التقليل من الانحرافات أو الأخطاء العفوية إلى حدها الأدنى. ففي هَذَا الوقت يجب على القائد المحلي تكليف رجاله بمهام محددة كُلّ يوم، وإعلامهم بها، وتحديد طُرق لتحقيقها، وتوقع الصعوبات المحتمل ظهورها، واقتراح حل مناسب لها. وعليه بعد كُلّ عملية معينة، عقد اجتماع مع رجاله، والاستماع إلى تعليقاتهم، واستخلاص الدروس، ونشر التجربة لمجموعات أخرى. فإذا كان هناك أي طريقة لتعلم المبادرة، فعليه اتباعها.

الدعاية الموجهة للسكان

خلال هَذِهِ الخطوة، يتم السعي لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسية فيما يتعلق بالسكان:

1. الحصول على قدر من الموافقة منهم على الإجراءات المختلفة الَّتِي تتخذها مُكَافَحَة التَّمَرُّد، أو تفهُّمها على الأقل، والَّتِي تؤثر على السكان (الإحصاء السكاني، والسيطرة على التحركات، وفرض القوانين، وما إلى ذَلِكَ).

2. إرساء العمل التحضيري للفصل النهائي بين السكان والمتمردين.

3. التحضير لكسب ولاء العناصر المتعاطفة - المحايدة.

لا تثير النقطة الأولى مشكلة كبيرة، فهي تقوم على مجرد إخبار السكان بما تقترح مُكَافَحَة التَّمَرُّد القيام به وسبب ذَلِكَ.

لكن الصعوبة تأتي مع النقاط الأخرى. فالدعاية، كالإرهاب، قد تتسبب في نتائج عكسية مشؤومة. إنها من بين جميع أدوات الحَرْب الأكثر حساسية، ويتطلب استخدامها الحذر والالتزام بالواقع والكثير من التخطيط المسبق. ومع ذَلِكَ، إذا كان الهدف سكان الريف، تكون الدعاية أكثر فاعلية عندما يتعامل جوهرها مع الأحداث المحلية والمشكلات الَّتِي تهم السكان بشكل مباشر، وتُطبق على أساس شخصي أو توجّه إلى مجموعات محددة (الرجال، والنساء، والشباب، وكبار السن، وما إلى ذَلِكَ)، لا إلى الكل.

يكاد يكون "الإعداد المسبق" لِهَذَا النوع من الدعاية ممكنًا على مستوى عالٍ. إذ يمكن للمرء أن يرى بسهولة أن ثقل المسؤوليات الملقاة على عاتق القائد المحلي للغاية، خاصةً عندما

يكون قد بدأ للتو في الاتصال بالسكان ولم يقم بعد بتقييم ردود أفعالهم بطريقة عامة. فكيف يمكنه أداء دوره إذا لم تساعده الرتب العليا؟

لذا ينبغي، على الأقل، إعفاؤه من أي مسؤولية في تنفيذ حملة الدعاية الإستراتيجية، والَّتِي يجب أن تكون مهمة أفراد متنقلين متخصصين. ويجب أن يساعده في جميع الأوقات نائب يمكنه إعفاؤه من معظم إجراءات القيادة. كما يتوجب تزويده بإرشادات محدثة لدعايته التكتيكية، الَّتِي تُحدد في المستوى الأول أو الثاني الأعلى مِنْهُ، حَيْثُ لا تزال السلطات قريبة بما يكفي من الوضع المحلي. كما أنه على عناصر الحَرْب النفسية أن يدعموه كلما لزم الأمر.

الدعاية الموجهة للمتمردين

يمكن العثور بين المتمردين، كما هُوَ الحال بين أي مجموعة بشرية، على مجموعة متنوعة من الأفكار والمشاعر ودرجات الالتزام بقضية التَّمَرُّد. ومن المؤكد أن معاملتهم ككتلة سوف يعزز تضامنهم. لذا، ينبغي من الآن فصاعدًا، أن يكون هدف الحَرْب النفسية تقسيمهم وتفريق صفوفهم، وإثارة الخلاف بين العناصر والقادة بهدف كسب المعارضين منهم.

عادة ما تتجاوز هَذِهِ المهمة إمكانيات القائد المحلي، لأنه لا يملك سوى قناة اتصال غير مباشرة مع المتمردين-عبر السكان- وعادة ما يتجوَّل عناصر المتمردين المتوزعين في منطقة أكبر من مساحة نفوذه. وبالتالي يمكنه المشاركة في الحملة لا القيام بها بمفرده، ويجب توجيهه من مستوى أعلى.

الخطوة الرابعة: تدمير الهيكل السياسي للمتمردين

من الواضح أن استئصال المتمردين السياسيين من بين السكان أمر ضروري. ويبقى السؤال: كيف نفعل ذَلِكَ بسرعة وكفاءة، وبأقل قدر من الأخطاء والخسائر؟

هَذِهِ العملية في جوهرها عملية بوليسية موجهة ليس ضِدّ المجرمين العاديين، بل ضِدّ الرجال الَّذِينَ قد تكون دوافعهم شريفة تمامًا، حَتَّى لو لم توافقهم عليها سلطات مكافح التَّمَرُّد. هَذَا فضلاً عن كونهم عمومًا لا يشاركون بشكل مباشر في العمليات الإرهابية أو عمليات حرب العصابات، فأيديهم لا تُلطخ بالدماء.

وبما أنهم من السكان المحليين، ولهم روابط أسرية وعلاقات اجتماعية، فيما من يطاردهم هم من الغرباء، فإن هناك شعورًا معينًا من التضامن والتعاطف معهم من جانب السكان. وقد يؤدي فشل العملية في أفضل الظروف إلى نتائج سلبية على كُلّ من السكان وعناصر مُكَافَحَة التَّمَرُّد الَّذِينَ يعيشون بينهم على حد سواء. ولهذا السبب، يجب القضاء على عملاء المتمردين السياسيين بشكل سريع وحاسم.

ولكن من يستطيع أن يضمن عدم ارتكاب الأخطاء واعتقال الأبرياء خطأً؟ فالمتمردون يسعون لتضليل مُكَافَحَة التَّمَرُّد لإلقاء القبض على أشخاص مناهضين للتمرد. ولو افترضنا أنه قُبض على الأفراد المعنيين فقط، فسيكون من الخطير وغير المناسب السماح للمبتدئين بالتعامل معهم واستجوابهم. كُلّ هَذِهِ الأسباب تتطلب أن تُنفَّذَ العملية من قبل جنود محترفين، من كادر يجب ألا يختلط بأي حال من الأحوال مع أفراد مُكَافَحَة التَّمَرُّد العاملين على كسب دعم السكان. فإذا لم يمكن الوثوق بالشرطة الحالية، فيجب إنشاء قوة شرطة خاصة لِهَذَا الغرض.

وفيما يشارك جميع أفراد مُكَافَحَة التَّمَرُّد في الحصول على المعلومات الاستخباراتية، تتعامل الشرطة وحدها مع العملاء المشتبه بهم. ومع ذَلِكَ، لا يُعفي عمل الشرطة القائد المحلي من مسؤوليته العامة؛ فالعملية تتم بتوجيه مِنْهُ، وعليه أن يبقى على اتصال دائم بقوة الشرطة أثناء عملية "التطهير". أما قرار التطهير فيكون من صلاحيته في حالتين:

1. إذا كَانَت المعلومات الاستخباراتية المتاحة كافية لإنجاح عملية التطهير.
2. إذا أمكنه متابعة عملية التطهير.

عادة ما يتوافق الوضع الاستخباراتي في المناطق الحمراء، فيما يتعلق بخلية المتمردين السياسية، مع النمط التالي: رئيس الخلية وأعضاؤها الكبار ملتزمون بشدة بالتمرد، فلا يُتوقع منهم تغيير موقفهم بسهولة والاعتراف بسهولة عند القبض عليهم. أما صغار السن المشتبه بهم، فلا يعترفون أيضًا عند القبض عليهم منفردين أو في مجموعات صغيرة، لأنهم يخشون من أن تستند تحركات مُكَافَحَة التَّمَرُّد اللاحقة إلى اعترافاتهم. ومع ذَلِكَ، يعرف كُلّ قروي عادة من هم أعضاء الخلية، أو على الأقل يعرف من يقوم بغربلتهم. وهَذَا يدلنا إلى أن النهج غير المباشر قد يكون أسهل وآكد من النهج المباشر.

بناء على ما سبق، يكون العمل كالتالي:

1. القبض في وقت واحد على مجموعة كبيرة من صغار السن المشتبه بهم.

2. القبض على أفراد الخلية بناء على اعترافاتهم.

طبعًا هناك خطر في اختفاء أعضاء الخلية، بعد أن نبهتهم الخطوة الأولى. لكنه خطر ضئيل، فما الَّذِي يمكنهم فعله؟ إذا انضموا إلى فلول المتمردين، فسيضيفون عبئًا إضافيًا عليهم دون زيادة فعاليتهم بشكل كبير، لأن عددًا قليلاً من المقاتلين لا يغير الوضع الميداني كثيراً، بينما القضاء على الخلية السياسية يعني تغييراً كبيراً. وإذا انتقلوا إلى منطقة أخرى، حَيْثُ سيكونون غرباء، فإن قيمتهم بالنسبة للمتمردين كعملاء ستنخفض بشكل كبير، كما سينكشف أمرهم ويعتقلون بسهولة. وهكذا، كما كان طرد رجال المتمردين نتيجة مرضية في الخطوة الأول، فإن طرد خلاياهم السياسية مقبول أيضًا.

إذن، فلحظة بدء التطهير ليست عند معرفة أعضاء الخلية -وهِيَ عملية تستغرق وقتاً طويلاً وتعتمد على الصدفة كثيراً- بل تكون عند جمع معلومات كافية عن عدد من القرويين المشتبه بهم.

لن تكون للعملية فائدة تُذكر ما لم تكن القرية الَّتِي تُطهَّر تحت سيطرة مُكَافَحَة التَّمَرُّد في حينها، أو في القريب العاجل، فلربما ينجح فلول المتمردين في إجبار السكان غير المحميين نسبيًا على إنشاء خلايا أخرى، وسيتعين حينها إعادة التطهير من جديد. يجب ألا تتردد مُكَافَحَة التَّمَرُّد في المجازفة في توفير كتيبة لاحتلال قرية مُطهَّرة، ولكن إن كَانَت غير قادرة تمامًا على القيام بذلك، فسيكون من الأفضل ألا تفعل شيئًا وتنتظر ظروفًا أفضل.

عادة ما ينبغي معاقبة أعضاء الخلية المعتقلين حسب القوانين، لأنهم شاركوا في مؤامرة ضِدّ الحكومة. ومع ذَلِكَ، لا شيء طبيعي في الحَرْب الثَّوْرِيَّة. فإذا أرادت مُكَافَحَة التَّمَرُّد إنهاء الحَرْب بشكل أسرع، فعليها تجاهل بعض المفاهيم القانونية الَّتِي يمكن أن تنطبق على الظروف العادية. إن التطبيق التلقائي والصارم للقوانين من شأنه أن يغمر المحاكم بقضايا صغيرة وكبيرة على حد سواء، وسيؤدي ذَلِكَ إلى ملء السجون ومعسكرات الاعتقال بأشخاص يمكن كسبهم، فضلاً عن المتمردين الخطرين.

يبدو التساهل في هَذِهِ الحالة سياسة عملية جيدة، لكن ليس التساهل المتفلّت. فعلى الرغم من إمكانية إطلاق سراح عملاء المتمردين الَّذِينَ يتوبون بصدق على الفور، مع عدم وجود خطر على المجهود الحربي لمكافحة التَّمَرُّد، فإنه يجب معاقبة أولئك الَّذِينَ لا يظهرون التوبة. وقد يُستخدم معياران لاختبار صدقهم: الاعتراف الكامل بنشاطهم السابق، والاستعداد للمشاركة بنشاط في صف مُكَافَحَة التَّمَرُّد. ثمة ميزة أخرى لسياسة التساهل تكمن في تسهيل عمليات التطهير اللاحقة، فالمشتبه بهم الَّذِينَ شاهدوا سابقًا إطلاق سراح عملاء موقوفين سيكونون أكثر ميلاً للاعتراف.

خلال هَذِهِ الخطوة، تهدف دعاية مُكَافَحَة التَّمَرُّد إلى الحد من الآثار السلبية المحتملة على السكان، والَّتِي قد تنتج عن الاعتقالات. فعلى السلطات أن تشرح بصراحة السبب الضروري لتفكيك خلايا المتمردين السياسية، والتشديد على سياسة التساهل مع أولئك الَّذِينَ يعترفون بخطئهم. ولا يهمها إن صدَّقوها أم لا، لأن صدمتهم ستكون أكبر بكثير عند إطلاق سراح العملاء التائبين بالفعل.

الخطوة الخامسة: الانتخابات المحلية

يبدأ الآن الجزء البنّاء من برنامج مُكَافَحَة التَّمَرُّد. فحتى الآن، قامت مُكَافَحَة التَّمَرُّد بإزالة التهديد المباشر للمتمردين المسلحين والتهديد غير المباشر لعملائهم السياسيين من السكان. ومن الآن فصاعدًا، ستهدف جهود مُكَافَحَة التَّمَرُّد للحصول على الدعم الفعال من السكان، وَالَّذِي لا يمكن القضاء على التَّمَرُّد كُلّيًا من دونه.

يُعطي موقف السكان فور التطهير مؤشرًا مقبولاً على صعوبة المهمة المُقبِلَة. فإذا ما نُفّذ العمل السابق بطريقة جيدة، فلن يكون لدى السكان أعذار بعد الآن لرفض التعاون مع السلطات. عادة ما ينبغي أن يؤدي تدمير الخلايا السياسية إلى تغيير إيجابي مفاجئ ودراماتيكي في المناخ العام؛ سيتوقف الناس عن تجنُّب التواصل مع أفراد مُكَافَحَة التَّمَرُّد، ولن ينصاعوا بعد الآن لتعليمات ودعاية المتمردين، وستظهر العناصر الودية بشكل تلقائي.

لكن، إذا بقي سلوكهم بعد التطهير كما كان قبله، فهَذَا يعني:

1. أن التطهير لم يكن كاملاً، ويمكن استدراك ذَلِكَ بسهولة.

2. أن السكان لم يقتنعوا تمامًا بعد بإرادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد وقدرتها على الانتصار، لكن الواقع سيتغلب عاجلاً أم آجلاً على تحفُّظاتهم.

3. أن السكان مرتبطون ارتباطًا وثيقًا وصادقًا بقضية المتمردين. وهَذَا الأمر أكثر خطورة، لأنه يوضح مدى الانحراف الأيديولوجي لديهم، والجهد الَّذِي يجب أن تبذله مُكَافَحَة التَّمَرُّد في طريق الإصلاحات إذا كَانَت تريد كسب دعمهم. وبالرغم من ذَلِكَ، لا يعني هَذَا بالتأكيد أن مُكَافَحَة التَّمَرُّد ستخسر الحَرْب، لأنها لا تزال قادرة على الحصول على الدعم المطلوب حَتَّى تحقيق النصر. وإذا ما كَانَت طاقتها مماثلة لضعف شعبيتها، فيمكنها الانتظار حَتَّى يصبح السلام هُوَ القضية الرئيسية، وحينها تعتمد إلى حد كبير على قوتها وعلى القلة القليلة من مؤيديها.

ومهما كَانَت الحالة، فإن المشكلة تكمن في البدء في تنظيم مشاركة السكان في النضال، ويمكن ذَلِكَ عبر وضع القادة المحليين في مناصب المسؤولية والسلطة. وهنا يمكن الاختيار بين نهجين متعاكسين: الأول، تعيين الرجال الَّذِينَ تعاونوا منذ البداية، وبالتالي فرضهم على السكان. ويجب أن يكون هَذَا النهج الملاذ الأخير، لأن قوة وتأثير هَؤُلَاءِ الرجال

ستعتمدان دائمًا على قوة مُكَافَحَة التَّمَرُّد، وسيُعتبرون دُمى لديها، إذ لن يشعر السكان أبدًا بأي ولاء حقيقي تجاههم.

قد يكون النهج الأفضل هُوَ الدعوة إلى انتخابات حرة تمامًا تُفضي إلى حكم ذاتي محلي مؤقت، ما يسمح للقادة المحليين بالخروج بشكل طبيعي من بين السكان، وعندها سيكونون أكثر ارتباطًا بهم، لأنهم نتاج اختيارهم. إن خطر انتخاب محايدين، أو حَتَّى مؤيدين للمتمردين لم يُكتشف أمرهم بعد، احتمال ضئيل. فالسكان سيدركون أن مُكَافَحَة التَّمَرُّد تعرف الآن من كان في صفهم، خاصة إذا بثت شائعات عن أن لديها معلومات حصلت عليها من العملاء المقبوض عليهم. فالراجح أن ينتخب السكان شخصيات معروفة، أو تميل لتأييد مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

وهناك خطر أكبر بكثير يكمن في أن السكان لن ينتخبوا قادتهم بشكل طبيعي، بل رجالاً يختارونهم لقدرتهم المفترضة على استرضاء المتمردين، ومن العلامات الواضحة على ذَلِكَ غياب عنصر الشباب من بين القادة المحليين المنتخبين.

ومهما كَانَت نتائج الانتخابات، يجب على مُكَافَحَة التَّمَرُّد قبولها بشرط معلن للعامة: أن هَؤُلَاءِ القادة المحليين الجدد هم في السلطة مؤقتًا حَتَّى إجراء انتخابات حاسمة بعد استعادة الاستقرار في جميع أنحاء البلاد.

ينبغي أن تؤكد الدعاية الموجهة للسكان خلال هَذِهِ الخطوة على أربع نقاط: أهمية الانتخابات، والحرية الكاملة للناخبين، وضرورة التصويت، والطبيعة المؤقتة للحكومة المحلية المنتخبة.

الخطوة السادسة: اختبار القادة المحليين

تعتمد النتائج النهائية لجهود مُكَافَحَة التَّمَرُّد تجاه السكان على فعالية القادة الَّذِينَ انتُخبوا للتو. فإن لم تكن فعاليتهم ذات قيمة، فسيتعيَّن على مُكَافَحَة التَّمَرُّد الاعتماد على نفسها فقط؛ وبالتالي ستبقى عنصرًا دخيلاً في مواجهة السكان، ولن تكون قادرة على خفض عدد قواتها في هَذِهِ المنطقة لاستخدامها في منطقة أخرى.

ولذا، ينبغي قبل كُلّ شيء اختبار هَؤُلَاءِ القادة المحليين الجدد، ومبدأ الاختبار بسيط: سيُكلفون بمهام محددة ويُحكم عليهم بناءً على قدرتهم على إنجازها. في هَذِهِ المرحلة، هناك العديد من المهام الَّتِي يمكن تكليفهم بها: كإدارة الحكومة المحلية، والقيام بمشاريع محلية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، وتولي بعض وظائف الشرطة، وتجنيد متطوعين لوحدات الدفاع المحلية، وبث الدعاية المؤيدة، وما إلى ذَلِكَ.

حينها، ستكتشف مُكَافَحَة التَّمَرُّد قريبًا القادة الَّذِينَ يرقون إلى مستوى توقعاتها. وسيميل عملهم إلى تثبيت مواقعهم وتعزيزها، مستخدمين لذلك جميع الموارد المتاحة وقوة نظام مُكَافَحَة التَّمَرُّد. أما بالنسبة لأولئك الَّذِينَ فشلوا في الاختبار، فسيكون من الأنسب التخلص منهم، أو إبعادهم، بدعم أو بموافقة من السكان على أقل تقدير.

من الممكن في بعض حالات الانتخابات المحلية أن يكون جميع الرجال المنتخَبين دون المستوى المطلوب، في ظل غياب مرشحين أفضل منهم. حينها، سيكون جليًا أن هَذَا من سوء الحظ، حَيْثُ لا يمكن هنا فعل الكثير على المستوى المحلي باستثناء إلزام الدائرة الانتخابية بدمجها مع دائرة أخرى مجاورة لها حَيْثُ يتوفر قادة أفضل. تكون هَذِهِ المشكلة أقل خطورة عندما يتعلق الأمر بانتخاب المئات من القادة المحليين منها عندما يتعلق بانتخاب أفضل قائد لمكافحة التَّمَرُّد على المستوى الوطني.

وبالطبع، تتجاوز قيمة المهام المختلَفة الموكلة إلى القادة المحليين مجرد الاختبار، حَيْثُ أن معظمها صُمم أيضًا لكسب دعم السكان من خلالهم. وُضعت بعض المهام لدفع السكان لأداء دور نشط في الصراع مع المتمردين: كتنظيم وحدات الدفاع المحلي، وتجنيد أنصار متفرغين للقوات النظامية، وتنظيم الاستخبارات وشبكات التحكم وفرق الدعاية.

ثمة ثلاث من المشكلات العديدة الَّتِي ستواجه مُكَافَحَة التَّمَرُّد خلال هَذِهِ الخطوة، تتطلب اهتمامًا خاصًا.

فالقادة المنتخَبون هم أهداف واضحة للمتمردين ويجب حمايتهم، ولكن ليس بالاعتماد الكلي على حماية مُكَافَحَة التَّمَرُّد. وعلى العكس، يجب أن يعلموا أن دعم السكان هُوَ أفضل حماية لهم، وعليهم الحصول عليه.

لا يمكن تجنب درجة معينة من الرعاية الأبوية لهؤلاء القادة في البداية، لأنهم غير معروفين وغير مدرَّبين على حد سواء، لكن الموقف الأبوي من جانب مُكَافَحَة التَّمَرُّد هُوَ بحد ذاته هزيمة ذاتية، فسيشجع وجود الإمّعات، ليصبحوا كالوباء في ظل مُكَافَحَة التَّمَرُّد. وبالتالي، يجب التخلص من هَذِهِ الرعاية الأبوية بأسرع وقت ممكن، حَتَّى لو انطوى ذَلِكَ على مخاطر.

تتطلب المهام الَّتِي يتعيَّن القيام بها دعمًا لوجستيًا على شكل أموال ومُعدَّات وموظفين مؤهلين، وَالَّذِي ينبغي أن يكون متاحًا بسهولة مع حد أدنى من الضوابط. أضف أن التلاعب بِهَذَا الدعم اللوجستي سياسة مطلوبة، فيجب تخصيصه بأولوية لصالح القرى أو المناطق الَّتِي يتفاعل سكانها أكثر مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد. فسلاح كَهَذَا له مثل هَذِهِ القيمة المُحفِّزَة لا يجب أن يُستخدم بشكل عشوائي.

عندما يصل الوضع في جزء من المنطقة المختارة إلى المرحلة الَّتِي يتفاعل فيها السكان بجد مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد، فهَذَا يعني أن الاختراق لِهَذِهِ البيئة قد تحقق، وينبغي استغلاله في الحال للتأثير على القطاعات الأقل تفاعلاً. وهَذَا هُوَ الهدف الرئيسي لمكافحة التَّمَرُّد خلال هَذِهِ الخطوة.

ونظرًا لأن الدعاية تكون أكثر إقناعًا عندما يكون مصدرها السكان، بدلاً من أن تأتي من عناصر مُكَافَحَة التَّمَرُّد، يجب إقناع السكان المحليين بالترويج لمشروع السلطة، ليس فقط في منطقتهم الخاصة ولكن في خارجها أيضًا. حينها فقط، تكسب مُكَافَحَة التَّمَرُّد الحَرْب فعليًا في المنطقة المختارة.

فإذا ما ازدادت الاستخبارات العفوية بشكل كبير، تكون هَذِهِ علامة مؤكدة أخرى على حدوث اختراق في هَذِهِ البيئة.

الخطوة السابعة: تشكيل حزب

مع تقدم العمل في المنطقة، سيبرز في النهاية القادة المختارون في كُلّ قرية وبلدة. وسيتعين حينها تجميعهم وتنظيمهم داخل حزب سياسي وطني معارض للتمرد، وذَلِكَ لأسباب عديدة هِيَ:

1. الحزب أداة السياسة، لا سيما في الحَرْب الثَّوْرِيَّة حَيْثُ يكون للسياسة أهمية كبيرة. لكن السياسة مهما تكن جيدة قد تفقد جدواها بالنسبة لمكافحة التَّمَرُّد حين لا تمتلك الأدوات اللازمة لتنفيذها.

2. يعمل القادة المختارون حديثًا والَّذِينَ برزوا محليًا داخل محيطهم، معزولين عن جيرانهم. وهم في أحسن الأحوال قادرون على تكوين مقاومة محلية تواجه المتمردين. بينما ينظم المتمردون أنفسهم ليس فقط على الصعيد المحلي ولكن أيضًا على الصعيد الوطني، وعلى جميع المستويات الوسيطة. وهكذا، يحتفظ المتمردون بميزة سِيَاسِيَّة كبيرة لا يمكن التغاضي عنها.

3. إن سلطة القادة الجدد على السكان هِيَ في الغالب ذات طبيعة إدارية. فإذا أُريد لسلطتهم أن تمتد إلى الميدان السياسي، فلا يمكنهم فعل ذَلِكَ إلا من خلال حزب.

4. تقوم علاقة القادة المحليين بالسكان على أساس اقتراع رسمي واحد. فهي علاقة هشة ما داموا غير مدعومين بآلة سِيَاسِيَّة متجذرة بقوة بين السكان. وكما سعت مُكَافَحَة التَّمَرُّد لاكتشاف هَؤُلَاءِ القادة، فعليهم بدورهم السعي لتجنيد مقاتلين من بين السكان؛ وللحفاظ على المسلحين في نسق موحد، يحتاج القادة إلى إطار عمل ودعم وتوجيه من حزب سياسي.

وهنا يطرح السؤال نفسه: هل الأفضل تجميع القادة المحليين والمسلحين داخل حزب قائم بذاته، أم إنشاء حزب جديد؟ تعتمد الإجابة بشكل واضح على الظروف الخاصة، ومكانة الحزب القائم، ونوعية قيادته، وجاذبية برنامجه.

بينما يثير إنشاء حزب جديد مشكلة تتعلق ببرنامجه السياسي. فلا يمكن القيام بذلك طالما أن مُكَافَحَة التَّمَرُّد لم تحدد بعد الإصلاحات السياسية الَّتِي تنوي تحقيقها.

وعلى الرغم من أن معظم الأحزاب السياسية في وقت السلم -باستثناء ملحوظ من الشيوعيين- تهدف إلى توسيع عضويتها مع القليل من الاهتمام بمواصفات المرشحين، إلا

أن ظروف التَّمَرُّد تفرض مزيدًا من الحذر. يجب على الحزب السياسي المناهض للتمرد اختيار أعضائه بعناية، والاعتماد على الكفاءة أكثر من العدد.

إن إنشاء الحزب ليس بالمهمة السهلة أو السريعة. ولكن، يبقى من الضروري تجميع القادة المحليين في نوع من التنظيم الوطني بمجرد ظهور عدد كاف منهم. ويمكن في البداية للمجموعات المناطقية أن تخدم هَذَا الهدف.

الخطوة الثامنة: الانتصار، أو القضاء على فلول المتمردين

بينما كَانَت مُكَافَحَة التَّمَرُّد تركز على المهام الضرورية لكسب دعم السكان، لم تتجاهل مواصلة تعقب فلول المتمردين في المنطقة المختارة بعد العمليات المكثفة الَّتِي شرحناها في الخطوة الأولى. ربما تكون قد قضت عليهم تمامًا، لكنها إذا لم تحقق ذَلِكَ فعليها القضاء على آخر الفلول.

تنتج هَذِهِ المشكلة التكتيكية عن تراخي مُكَافَحَة التَّمَرُّد: لضعف نشاطها الهجومي، ولتجنب الاحتكاك بالسكان ما يؤدي إلى تجفيف مصادر الاستخبارات، وفي بعض الحالات، لصعوبة التضاريس. في ظل هَذِهِ الظروف، قد تستغرق مطاردة فلول المتمردين بالكمائن المعتادة والدوريات والعمليات الصغيرة وقتًا طويلاً، ولن تكون مثمرة للغاية. لذا سيكون من الأفضل أن تعود مُكَافَحَة التَّمَرُّد الآن إلى نفس الجهد العسكري الواسع الَّذِي ميَّز الخطوة الأولى، ولكن هَذِهِ المرة مع الموارد المهمة المضافة من السكان المشاركين في العمليات بفعالية.

تكمن الصعوبة الرئيسية في هَذِهِ الخطوة في التصور الخاطئ الَّذِي قد يحمله قادة مُكَافَحَة التَّمَرُّد عن معسكر المتمردين. سيتساءل المسؤولون عن سبب ضرورة بذل مثل هَذَا الجهد في هَذِهِ المرحلة، خاصة وأن كُلّ شيء يبدو وكأنه يسير على ما يرام. ولا تنقصنا الحجج المعارضة لِهَذَا المنطق. فالحقيقة أن المتمردين الَّذِينَ ما زالوا يجوبون المنطقة سيكونون بالتأكيد نواة صلبة، وهُوَ تصنيف ينتجه الانتقاء الطبيعي، ومن الصعب تركهم للسكان والحامية الناشئة للتعامل معهم. فيما ستظهر العمليات الشاملة تصميمَ مُكَافَحَة التَّمَرُّد على سحقهم، ويجب أن تحقق فوائد سِيَاسِيَّة قيّمة داخل وخارج المنطقة المختارة، تنعكس على السكان والمتمردين وعلى قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد نفسها.

إن المبدأ العملياتي الأساسي للقضاء على عدد قليل من المتمردين المعزولين عن السكان، هُوَ في إجبارهم على التحرك ليصبحوا "قطاع طرق متجولين"، والقبض عليهم وهم يحاولون عبور شبكات متعاقبة من نقاط قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد. هَذَا المبدأ في جوهره شكل التكتيكات الَّتِي اتبعها الشيوعيون الصينيون أنفسهم بنجاح كبير في جنوب الصين بين عامي 1950- 1952، عندما قاموا بتصفية فلول القوميين.

إن متطلبات قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد كبيرة، ولكن بما أن المتمردين يعملون في مجموعات صغيرة جدًا مكوَّنة من بضعة رجال، إلى جانب ضعف التسليح لديهم، فقد يُعهد بالمهمة

إلى السكان الَّذِينَ يتم تجنيدهم وتسليحهم مؤقتًا، ويقودهم كوادر محترفون من الوحدات النظامية الثابتة. ولهذه المهمة ستُستخدم الاحتياطيات المتنقلة المخصصة للمنطقة لطرد المتمردين.

أما الوقت اللازم لإتمام هَذِهِ الحملة فيخضع لظروف ميدانية، والعامل الرئيسي فيه هُوَ اضطراب حياة السكان. ومن الواضح أن الوقت الأمثل يكون في غير المواسم الزراعية.

يجب أن تتزامن الجهود العَسْكَرِيَّة مع حملة نفسية منطقية مُكثَّفة ضِدّ فلول المتمردين، والورقة الرابحة هنا هِيَ في عرض العفو عليهم. تكتنف هَذِهِ الورقة على بعض الخطر، ولكنه خطر أقل من أي وقت مضى، فقد بلغت مُكَافَحَة التَّمَرُّد مستوى عالٍ من القوة في المنطقة المختارة، بناءً على الدعم الفعال من السكان.

ومع ذَلِكَ، لا يمكن التنبؤ بأن مثل هَذَا الجهد الكبير قادر على وضع حد كامل للتمرد في المنطقة، فبعض المتمردين لا زالوا قادرين على البقاء على مواصلة عملهم. وفي هَذَا الإطار، من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنه في سبتمبر 1962، وبعد أربعة عشر عامًا من بدء التَّمَرُّد في مالايا، كان قرابة عشرين إلى ثلاثين من رجال المتمردين الشيوعيين لا زالوا صامدين في الغابة الكثيفة داخل مالايا، فضلاً عن ثلاثمئة آخرين يعملون على الحدود مع تايلاند.

قد يستسلم هَؤُلَاءِ الناجون يومًا ما إذا ما انهار التَّمَرُّد، وقد يغادرون المنطقة للأبد، وقد يصمدون. وفي هَذِهِ الحالة الأخيرة، لا ينبغي أن يشكلوا مشكلة بعد الآن.

ملخص الفصل السابع

تمر عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد بعدة خطوات:

الخطوة الأولى: تدمير أو طرد قوات العدو

1- **توزيع وحدات عَسْكَرِيَّة للسيطرة على المنطقة.**
2- **تنفيذ عملية التمشيط من الداخل للخارج، بهدف طرد المتمردين على أقل تقدير.**
3- **تُقسَّم العملية الشاملة إلى عدة عمليات صغيرة الحجم.**

الدعاية الموجَّهة لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد: يجب تلقين القوات المُشاركة في العمليات عقيدة شاملة لتفادي الأخطاء، ومعاقبة المسيئين من قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد بشدة وعلى العلن إن كان ذَلِكَ يؤدي إلى إقناع السكان، للحيلولة دون استعداء السكان.

الدعاية الموجهة للسكان: من الحكمة أن يكون هدف مُكَافَحَة التَّمَرُّد الحصول على موقف محايد من السكان دون الانحياز لأحد الجانبين، وتكون الدعاية كالتالي: "ابقَ محايداً وسيعود السلام قريباً إلى المنطقة، أما لو ساعدت المتمردين فسنضطر للقيام بمزيد من العمليات العَسْكَرِيَّة وبالتالي سيحدث المزيد من الدمار".

الدعاية الموجهة للمتمردين: الغاية من الحَرْب النفسية على المتمردين هِيَ دفعهم للمواجهة بينما تكون مُكَافَحَة التَّمَرُّد في ذروة قوتها.

الخطوة الثانية: نشر الوحدات الثابتة

يتحوَّل التركيز في هَذِهِ المرحلة من النشاط العسكري إلى محاولة كسب السكان، وتُنشر الوحدات الثابتة لإنشاء شبكة من القوات تحمي السكان والجماعات السياسية المناهضة للتمرد بشكل معقول.

يجب نشر الوحدات حَيْثُ يعيش السكان بالفعل، لا في المواقع الَّتِي تُعتَبرَ ذات قيمة عَسْكَرِيَّة، ولا يعني هَذَا ترك حماية الجسور ومراكز الاتصالات والمنشآت الأخرى المُعرَّضة للخطر.

إن كان سكان الريف متفرقين للغاية بِحَيْثُ لا يسمحون بتمركز كتيبة عَسْكَرِيَّة في كُلّ مجموعة، فسيكون على مُكَافَحَة التَّمَرُّد إعادة توطينهم في أماكن أخرى.

لا ينبغي بناء الإنشاءات الضخمة والمكلفة لإسكان القوات، لا بسبب التكلفة بل لأسباب نفسية أيضاً، فَهَذِهِ الإنشاءات تعزل قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد عن السكان وتُشعِرهم بالاستقرار، ما يصعِّب عليهم الانتقال لاحقاً إلى أماكن أخرى.

الدعاية الموجهة لمكافحة التَّمَرُّد: وجوب توعية قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد كي تغير أسلوبها، لأنها ستتحول من الأسلوب العسكري إلى الأنشطة الأخرى.

الدعاية الموجهة للسكان: يجب إقناع السكان بأن قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد ستبقى ولن تغادر المنطقة، وهُوَ ما سيشجعهم لأخذ موقف إيجابي من مُكَافَحَة التَّمَرُّد والخروج من الحياد.

الدعاية الموجهة للمتمردين: يجب تحريض المتمردين على الرد في أسوأ وقت ممكن لهم.

الخطوة الثالثة: مخالطة بالسكان والسيطرة عليهم

في هَذِهِ الخطوة يتم العمل على:

1. مخالطة السكان: لا يستطيع السكان التعامل مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد بشكل مباشر لوجود حواجز نفسية، وخوفاً من المتمردين، لذا يجب أن تطلب منهم مُكَافَحَة التَّمَرُّد ثُمَّ تأمرهم بأداء عدد من المهام الفردية والجماعية الَّتِي ستدفع مقابلها.

2. السيطرة على السكان: تبدأ بإحصاء شامل، عبر تسجيل كُلّ فرد منهم ومنحه بطاقة هوية مضمونة. ويُعدُّ هَذَا الإحصاء مصدراً هامًّاً للمعلومات الاستخباراتية.

3. حماية السكان: لا يمكن لمكافحة التَّمَرُّد تحقيق الكثير ما لم يكن السكان محميين من المتمردين ويشعرون بِهَذِهِ الحماية.

4. جمع المعلومات الاستخباراتية: لابد من إنشاء جهاز استخبارات، ويجب توفير طرق آمنة وسرية للسكان الَّذِينَ تتقاطع مصالحهم مع مُكَافَحَة التَّمَرُّد لنقل المعلومات. ولتسريع الحصول على المعلومات يمكن وقتها ممارسة الضغط الإداري شريطة أن يُستخدم باعتدال وانضباط، ويمكن الحصول على المعلومات عبر زيارة السكان منتحلين صفة المتمردين.

5. البدء بكسب دعم السكان: عبر اكتشاف الإصلاحات السياسية المطلوبة والبدء بتنفيذها، ومن الأفضل عدم التباهي بالإصلاحات في هَذِهِ المرحلة.

الدعاية الموجهة لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد: التعامل مع السكان بلطف وود لأنهم يدركون أن سلامتهم تعتمد على العلاقة الجيدة مع السكان، وتصبح المبادرة لدى عناصر مُكَافَحَة التَّمَرُّد مطلوبة في هَذِهِ المرحلة.

الدعاية الموجهة للسكان: السعي لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسية: (1) الحصول على قدر من الموافقة على إجراءات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، أو تفهُّمها على الأقل، (2) إرساء العمل التحضيري للفصل النهائي بين السكان والمتمردين. (3) كسب ولاء العناصر المتعاطفة - المحايدة.

الدعاية الموجهة للمتمردين: ينبغي أن يكون هدف الحَرْب النفسية تقسيمهم وتفريق صفوفهم، وإثارة الخلاف بين العناصر والقادة بهدف كسب المعارضين منهم.

الخطوة الرابعة: تدمير الهيكل السياسي للمتمردين

يجب القضاء على عملاء المتمردين السياسيين بشكل سريع وحاسم، ويشارك جميع أفراد مُكَافَحَة التَّمَرُّد في الحصول على المعلومات الاستخباراتية، لكن تتعامل الشرطة وحدها مع العملاء المشتبه بهم، وعند القبض على ضالعين يجب اتباع نهج التساهل، ولاختبار صدقهم يُستخدَم معياران: أ- الاعتراف الكامل بنشاطهم السابق. ب- الاستعداد للمشاركة بنشاط في صف مُكَافَحَة التَّمَرُّد. حَيْثُ ييسِّر التساهل أعمال التطهير.

الخطوة الخامسة: الانتخابات المحلية

تهدف جهود مُكَافَحَة التَّمَرُّد في هَذِهِ المرحلة إلى الحصول على الدعم الفعَّال من السكان، وهُوَ شرط أساسي للقضاء على التَّمَرُّد بشكل تام، وأفضل طريقة هِيَ الدعوة لانتخابات حرة تُفضي إلى حكم ذاتي محلي مؤقت، ويجب أن تؤكِّد الدعاية الموجهة للسكان خلال هَذِهِ الخطوة على أربع نقاط: 1- أهمية الانتخابات 2- ضرورة التصويت 3- الحرية الكاملة للمُنتخِبين 4- الطبيعة المؤقتة للحكومة المحلية المنتخبة.

الخطوة السادسة: اختبار القادة المحليين

لاختبار القادة المحليين الجدد؛ يُكلَّفون بمهام محددة ويُحكَم عليهم بناءً على قدرتهم على إنجازها، مثل: إدارة المجالس المحلية، القيام بمشاريع محلية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية وتولي بعض وظائف الشرطة... وبما أن القادة المنتخبين يشكِّلون أهدافاً واضحة للتمرد يجب حمايتهم، لكن أفضل الحماية تأتي من الاعتماد الكلي على دعم السكان لهم.

الخطوة السابعة: تشكيل حزب

يجب في هَذِهِ المرحلة تجميع القادة المختارين في كُلّ قرية وبلدة وتنظيمهم في حزب سياسي وطني معارض للتمرد، لأن الحزب أداة سِيَاسِيَّة، والسياسة جزء لا يتجزأ من الحَرْب الثَّوْرِيَّة.

الخطوة الثامنة: الانتصار أو القضاء على فلول المتمردين

من الضروري القضاء على من تبقى من المتمردين لأنهم يشكلون نواة صلبة وهم نتيجة للاصطفاء الطبيعي، وأفضل طريقة هِيَ إجبارهم على التحرك ليصبحوا قُطَّاع طرق متجولين، والقبض عليهم وهم يحاولون عبور شبكات متعاقبة من نقاط قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

جدول (7): خطوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد

الخطوة	السمات	الدعاية الموجهة لقوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد	الدعاية الموجهة للسكان	الدعاية الموجهة للمتمردين
الخطوة الأولى: تدمير أو طرد قوات التَّمَرُّد	_ليست غاية في حد ذاتها. _تنتهي بطرد معظم رجال المتمردين.	_التقليل من الأخطاء للحيلولة دون استعداء السكان. _معاقبة المسيئين بشدة وعلناً. _تعويض السكان عن الأضرار.	_"ابقَ محايداً وسيعود السلام قريباً إلى المنطقة أما لو ساعدتم المتمردين فسنضطر للقيام بالمزيد من العمليات العَسْكَرِيَّة وبالتالي سيحدث مزيد من الدمار".	_غايتها دفع المتمردين لقبول المواجهة. _الإعلان عن نية البقاء في المنطقة بعد السيطرة عليها مما قد يدفع المتمردين لقبول التحدي.
الخطوة الثانية: نشر الوحدات الثابتة.	_تهدف لحماية السكان والجماعات السياسية المناهضة للتمرد. _تستمر الوحدات في تعقب المتمردين. _تنتشر الوحدات حَيْثُ يعيش السكان. _إعادة توطين السكان في حال كانوا متفرقين للغاية.	_شرح أسباب تبدُّل المهمة من العَسْكَرِيَّة إلى غيرها من الأنشطة.	_"انتشرت الوحدات كي تبقى".	_تحريض المتمردين على الرد في أسوأ وقت ممكن لهم. _دعوة المتمردين لمغادرة المنطقة أو الاستسلام مما قد يدفعهم لفعل العكس وهُوَ الهجوم.
الخطوة الثالثة: مخالطة السكان والسيطرة عليهم.	_عزل السكان قدر المستطاع عن المتمردين، عبر الوسائل المادية. _جمع المعلومات الاستخباراتية الضرورية للقضاء على خلايا المتمردين السياسية.	_حثهم على البقاء على أهبة الاستعداد مع إبداء الود للسكان. _حثهم على المبادرة وتوحيد الجهود نحو الهدف نفسه.	_الحصول على قدر من الموافقة على الإجراءات المختلفة الَّتِي تنفِّذها قوات مُكَافَحَة التَّمَرُّد. _التحضير لكسب ولاء العناصر المتعاطفة المحايدة.	_العمل على تقسيمهم وتفريق صفوفهم وإثارة الخلاف بين العناصر والقادة بهدف كسب المعارضين.
الخطوة الرابعة: تدمير الهيكل السياسي للمتمردين.	_نشاط بوليسي يجب أن ينفِّذه كادر لا يختلط أبداً مع أفراد مُكَافَحَة التَّمَرُّد الَّذِينَ يعملون لكسب السكان.	_الدعاية نفسها.	_الحد من الآثار السلبية الناتجة عن الاعتقالات.	_الدعاية نفسها.

الخطوات الأربع الأولى لمكافحة التَّمَرُّد: إزالة التهديد المباشر للمتمردين المسلحين والتهديد غير المباشر لعملائهم السياسيين من السكان.

الخطوة	الغاية	خطوات هامة
الخطوة الخامسة: الانتخابات المحلية.	وضع القادة المحليين في مناصب المسؤولية والسلطة وأفضل طريقة هِيَ الانتخابات الحرة، الَّتِي تُفضي الى حكم محلي مؤقت.	يجب أن تؤكد الدعاية الموجهة للسكان على: أهمية الانتخابات. • الحرية الكاملة للناخبين. • ضرورة التصويت. • الطبيعة المؤقتة للحكومة المحلية المنتخبة.
الخطوة السادسة: اختبار القادة المحليين.	تكليفهم بمهام محددة كإدارة المجالس المحلية والقيام بمشاريع محلية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، واستبعاد من يفشل.	حماية هَؤُلَاءِ القادة من انتقام المتمردين. توفير نوع من الرعاية الأبوية لهم. توفير الدعم اللوجستي على شكل أموال.
الخطوة السابعة: تشكيل حزب.	توسيع سلطة القادة الجدد من السلطة الإدارية إلى السياسية. ترسيخ علاقة القادة الجدد بالسكان وإعطائها مزيداً من الشرعية.	يجب على الحزب السياسي المناهض للتمرد اختيار أعضائه بعناية، والاعتماد على الكفاءة أكثر من العدد.
الخطوة الثامنة: الانتصار، والقضاء على فلول المتمردين.	القضاء على آخر الفلول	يجب أن تتزامن الجهود العَسْكَرِيَّة مع حملة نفسية منطقية مُكثَّفة ضِدّ فلول المتمردين، والورقة الرابحة هنا هِيَ في عرض العفو عليهم.

الخطوات الأربع الأخيرة لمكافحة التَّمَرُّد: الجزء البنَّاء، للحصول على الدعم الفعال من السكان، وَالَّذِي لا يمكن القضاء على التَّمَرُّد كُلّيًا من دونه.

ملاحظات ختامية

هَذِهِ هِيَ الآلية الأساسية لحَرْبُ مُكَافَحَة التَّمَرُّد من وجهة نظر المؤلف، سواء في الحَرْب الثَّوْرِيَّة الباردة أو الساخنة، والَّتِي يمكن تلخيص جوهرها في جملة واحدة: بناء (أو إعادة بناء) نظام سياسي يبدأ من السكان إلى أعلى مستوى.

إن التفكير أمر سهل جداً، لكن الصعوبة تكمن في التنفيذ، ويمكن استنتاج أين تكمن الصعوبات انطلاقاً من الواقع الَّذِي نعيشه الآن، ففي بلد مسالم ومتطور بشكل جيد نلاحظ الأمور التالية:

1. إن اللامبالاة العامة بالسياسة أمر مثير للإحباط. ففي صباح ذَلِكَ اليوم الثلجي من شباط، عندما بدأتُ بقرع الأبواب، قَالَت العوائل الأربع الأولى الَّتِي زرتها بصراحة: "نحن لا نصوّت أبدًا". يوجد في منطقة الكونجرس الَّتِي أعيش فيها حوالي ثلاثمئة وأربعة وثلاثين ألف بالغ مؤهل للتصويت، لكن اثنين وتسعين ألف منهم لا يكلفون أنفسهم عناء التصويت. فمن بين ثلاثمئة وأربعة وثلاثين ألف صوَّت مئتان وسبعة عشر ألف فقط في انتخابات كينيدي ونيكسون.

أظهرت دراسة حديثة في جامعة ميشيغان أن سبعة فقط، من بين مئة بالغ مسجَّل، يحضرون اجتماعات سِيَاسِيَّة مختلفة، وأربعة منهم فقط تبرعات مالية لحملة ما، وثلاثة فقط عملوا لصالح مرشح ما، واثنان فقط يعملان بالفعل كأعضاء عاملين في حزب سياسي.

إن مسؤولية حكم أمتنا تتحملها، بشكل مخيف، فئة محدودة من الشعب. وخلال قيامي بحملتي، شهرًا بعد شهر، أرى هَؤُلَاءِ الأشخاص نفسهم مرارًا وتكرارًا. أما الآخرون فلم ألحظهم أبدًا.[1]

لاحظ نابليون أن "الحَرْب فن بسيط، إذ يكمن جوهرها في التنفيذ (وليس في التنظير)". قد يسأل القارئ، ماذا سيحدث إذا تبنى الحزب الَّذِي أنشأتْه مُكَافَحَة التَّمَرُّد في النهاية برنامج التَّمَرُّد الأصلي؟

[1] جيمس أ. ميشينر. "ما يجب أن يعرفه كُلّ مرشح جديد"، مجلة نيويورك تايمز، 23 سبتمبر، 1962.

والجواب البسيط هُوَ: ستكون هَذِهِ قصة مختلفة. انتصر الحلفاء في الحَرْب عام 1918، وسُميت بـ "الحَرْب لإنهاء كُلّ الحُرُوب". لكن ما فعلوه بانتصارهم كان مختلفًا تمامًا، لذا لا توجد حلول نهائية في المشكلات الإنسانية.

إن الخطر المتمثل في أن حزبًا أنشئ خصيصًا لمكافحة التَّمَرُّد قد يتبنى لاحقًا قضية المتمردين موجود بالفعل، لا سيما عندما كان التَّمَرُّد قائمًا أساسًا على الاختلافات العرقية أو القومية، كما هُوَ الحال مثلاً في الصراع الحالي بين الأكراد والعرب في العراق. فإذا ما حدث هَذَا، فإن المكسب الَّذِي حققته مُكَافَحَة التَّمَرُّد هُوَ مجرد الحصول على فترة راحة، وهِيَ في حد ذاتها مكسب ثمين.

يمكن لمكافحة التَّمَرُّد أن تأمل في أن يختار قادة الحزب الجديد اتباع مسار أكثر سلمًا، بدلاً من الشروع في تمرد جديد. ويمكنها التنازل لهم عن الإصلاحات الَّتِي أُجبرت على رفضها أمام حزب متمرد عنيد وُلد من رحم الإرهاب والعنف. أليس هَذَا في الواقع ما حدث في مالايا حين منح البريطانيون للآخرين ما رفضوا إعطاءه للمتمردين الشيوعيين؟ وطالما بقي الوضع الثَّوْرِيّ قائمًا، حَتَّى بشكل بارد، وطالما لم تُحلَّ المشكلة الَّتِي أدت إلى نشوء التَّمَرُّد أساسًا، فإن الخطر مستمر، وسيتطلب درجات متفاوتة من اليقظة من جانب مُكَافَحَة التَّمَرُّد.

هل يمكن هزيمة التَّمَرُّد دائمًا؟ قد يوحي هَذَا الكتاب من خلال السياق الفكري الَّذِي سبق وذكر فيه؛ بأن الإجابة هِيَ: "نعم بالتأكيد". عندما يتعلم المرء في المدارس العَسْكَرِيَّة عن الهجوم، يتولد لديه انطباع بألا شيء يمكن أن يقاوم هجومًا مدروسًا جيدًا، وَالَّذِي يبدو أنه "القوة الَّتِي لا تقاوم". ثُمَّ يتعلم عن الدفاع ويتولد لديه انطباع بألا شيء يمكنه اختراق دفاع محكم، كـ "الكتلة الثابتة". (دعونا نتجاهل الصاروخ ذو الرأس النووي وَالَّذِي لم يُبتكر دفاع ضده بعد).

من الواضح أنه من غير الممكن دائمًا هزيمة التَّمَرُّد. صحيح أن التَّمَرُّد اليوناني كان محكومًا عليه بالفشل منذ البداية، وكذلك كَانَت حالة التَّمَرُّد على الفرنسيين في الهند الصينية. لكن باستثناء هَذِهِ الحالات الواضحة، كان من الممكن أن يكون النصر في معظم الحُرُوب الثَّوْرِيَّة الأخيرة لأي من المعسكرين، إذ لم تكن النتيجة مضمونة مسبقًا لماو تسي تونغ أو شيانغ كاي شيك أو باتيستا أو كاسترو أو لجبهة التحرير الوطني أو للفرنسيين في الجزائر.

نشأت حركات التَّمَرُّد في الماضي القريب من سببين رئيسيين:

1. صعود القومية في البلاد المستعمَرَة.

2. الضغط الشيوعي، وَالَّذِي يُلهم التَّمَرُّد أحيانًا ويوجهه بمفرده، ويتحد أحيانًا مع الأول، ولكنه دائمًا ما يكون حاضرًا ونشطًا.

لقد انتهى الاستعمار الآن، باستثناء حالات قليلة منعزلة تتركز ضدها "رياح التغيير" الغاضبة. يمكن للمرء أن يتوقع موت المشكلة بموت الاستعمار. لكن ولسوء الحظ، هَذَا لم يحدث، فبعد الاستعمار يأتي "الاستعمار الجديد"، وهُوَ ليس مجرد شعار شيوعي. لا توجد مستعمرات في أمريكا اللاتينية باستثناء غويانا وهندوراس البريطانية وأماكن أخرى غير مهمة، ومع ذَلِكَ، تغلي القارة بأكملها بالاضطرابات.

لم تكن الحَرْب الثَّوْرِيَّة في كوبا -الَّتِي لم تكن مستعمرة حَتَّى- سوى علامة على ذَلِكَ. وقد حذر إدواردو سانتوس، الرئيس الكولومبي السابق[1] من أنه "مع تفاقم الأمور الآن، فإن أعظم ثورة في التاريخ تختمر في أمريكا اللاتينية". إن قضية الاستعمار الجديد ليست قاصرة على أمريكا اللاتينية وحدها، إذ يمكن سماع الشكاوى العفوية والمفتعلة ضِدّ الاستغلال الغربي الاقتصادي في كُلّ من أفريقيا وآسيا. فبعض الدول المحررة حديثًا تمكنت من التعافي من الاضطرابات الَّتِي لا مفر منها، والَّتِي حَتَّى في أفضل الظروف، كَانَت بمثابة علامة على رحيل الحكام السابقين. قليل هم الَّذِينَ تمكنوا من إثبات أن الاستقلال يعني تقدمًا فوريًا للجماهير، كما كانوا يعتقدون. وستكون معجزة فيما لو تجاوز بلد ما مخاطر وصعوبات الانتقال من الحكم الاستعماري إلى الحكم الوطني، والَّتِي أثارها الشيوعيون بشدة، عبر إحداث اضطرابات وانتفاضات وتمردات متفرقة.

لا دليل على أن الضغط الشيوعي قد تراجع، وأن الجهاز الشيوعي لنشر الثَّورَة قد تفكك. فقد يتغير نمط روسيا السوفيتية الآن، لكنه قد يتغير مرة أخرى، كما حدث في الماضي قبل ستالين، وفي ظل حكم ستالين، وبعده. ومهما كان الموقف السوفيتي الأخير، تعزم الصين الحمراء بوضوح على الاستفادة من أصولها الرئيسية، لمواصلة تصدير فكرتها

[1] كما ورد لدى ويليام بنتون، "صوت أمريكا اللاتينية"، في كتاب بريتانيكا للعام 1961.

الرئيسية وهِيَ مبدأ متماسك للثورة في "البلدان المستعمَرة وشبه المستعمَرة، حَيْثُ تسود ظروف مماثلة"، كما قَالَ ليو شاو تشي.[1]

وقد ادعت الصين الوصاية على هَذِهِ البلدان في وقت مبكر من العام 1951. ففي 1 يوليو من ذَلِكَ العام، عندما احتفل الحزب الشيوعي الصيني بالذكرى السنوية الثلاثين لتأسيسه، أكدت جميع الخطب الرئيسية الَّتِي ألقيت في تِلْكَ المناسبة على الأهمية العالمية للثورة الصينية. قَالَ "لو تينغ يي"، رئيس قسم الدعاية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الصين آنذاك، وأحد الخطباء في بكين يومها، وبكل صراحة:

> "إن النموذج المبدئي للثورة في البلدان الرأسمالية هُوَ ثورة أكتوبر.[2] أما النموذج المبدئي للثورة في البلدان المستعمَرة وشبه المستعمَرة فهو الثَّورَة الصينية، وتجربتها لا تقدر بثمن لشعوب هَذِهِ البلدان."

في عام 1951، صدرت في الصين خريطة أيديولوجية للعالم (انظر الشكل- 10)، تُترجم بوضوح الآثار المترتبة على هَذِهِ النسخة الجديدة من معاهدة توردیسیلاس، الَّتِي مَنح البابا ألكسندر السادس بموجبها إسبانيا عام 1494 جميع الأراضي المكتشفة، والَّتِي تقدر بأكثر من ثلاثمئة وسبعين فرسخًا غرب جزر الرأس الأخضر، كما منح للبرتغال الحق في استكشاف وضم جميع الأراضي في إفريقيا وشرق المجال الإسباني. في خريطة العام 1951 هَذِهِ، اعتبر الصينيون كندا وأستراليا بوضوح دولتين مستعمَرتين، وأمريكا اللاتينية واليابان كدول رأسمالية. تشير التصريحات اللاحقة للشيوعيين الصينيين إلى أن كلاً من أمريكا اللاتينية، واليابان -الَّتِي يَعُدُّونَهَا "شبه مستعمَرة أمريكية"- تقع ضمن دائرة التأثير الصيني، بينما تقع أستراليا وكندا ضمن المجال السوفيتي. (انظر الشكل-11)

[1] ليو شاو تشي (1898- 1969) كان ثورياً صينياً ورجل دولة ومنظراً. خلف ماو تسي تونغ رئيسًا لجمهورية الصين الشعبية بين عامي 1959 و1968.

[2] ثورة شينهاي الَّتِي بدأت في 10 تشرين الأول 1911 وانتهت بإنهاء الملكية في الصين وخلع الإمبراطور.

الشكل (10): خريطة أيديولوجية للعالم كما رآها الشيوعيون الصينيون عام 1951.

الشكل (11): الخريطة الأيديولوجية للعالم كما تمت مراجعتها وفقًا للبيانات الشيوعية الصينية اللاحقة.

وهكذا، ينقسم العالم بالنسبة للصين الشيوعية بدقة إلى ثلاث كتل رئيسية، متساوية تقريبًا في الحجم والسكان، إن لم تكن في مرحلة التنمية الاقتصادية، وهِيَ:

الأصدقاء: "البلدان الشقيقة"، أي الدول الشيوعية، الحلفاء المحتملون، أي البلدان "المستعمَرة وشبه المستعمَرة"، والعدو، أي الدول "الرأسمالية".

تقوم الإستراتيجية الشيوعية الصينية، إن لم يكن الدور القيادي للصين، والَّتِي يبدو أن روسيا السوفيتية قد قبلت مبدأها، على خطوتين: الأولى: حرمان الرأسماليين من الكتلة الاستعمارية. والثانية: السيطرة على هَذِهِ الكتلة، وعندها سيكون للشيوعيين سيادة ثنائية على الرأسماليين والشعوب في المنطقة. وبمجرد إغلاق الأسواق وتعطيل القنوات التجارية، يمكنهم أن يأملوا في إخضاع رؤوس الأموال، بأقل قدر من المخاطر، وبشكل تدريجي. ستعمل القوة العَسْكَرِيَّة الشيوعية على حماية المكاسب الثَّوْرِيَّة وردع أي رد فعل في اللحظة الأخيرة على هَذِهِ الإستراتيجية من جانب الرأسماليين.

يمكن أن نجادل بلا نهاية في تأثير ظهور الأسلحة النووية وخطر الاشتباك العرضي، أو النزاع الصيني السوفياتي الحالي على فرص نجاح هَذِهِ الإستراتيجية. لكن الحقيقة، بعيدًا عن كُلّ شيء، أنه حَتَّى لو تحول الدب الروسي فجأة إلى حصان- قوي لكنه مسالم- فإن تصميم روسيا لا يترك مجالاً للشك في أذهان أولئك الَّذِينَ شاهدوا ما فعله الشيوعيون في بلادهم، بأنها ستستمر في هَذَا النهج عبر جذب المتطرفين، من الَّذِينَ عادة ما يُشعلون حركات التَّمَرُّد.

ختامًا: هناك سبب آخر لنفترض أن قائمة الحُرُوب الثَّوْرِيَّة لم تُغلق بعد. فمن المؤكد أن البدء بتمرد أسهل من قمعه، وقد رأينا مدى الفوضى الَّتِي استطاع الشيوعيون اليونانيون إحداثها، على الرغم من عدم توفر المتطلبات الأساسية لنجاحهم. ومع وجود العديد من حركات التَّمَرُّد الناجحة في السنوات الأخيرة، سيكون الإغراء دائمًا كبيراً لمجموعة من الغاضبين في أي مكان لبدء التَّمَرُّد. وقد يراهن هَؤُلَاءِ على الضعف المتأصل في مُكَافَحَة التَّمَرُّد (متأصل لعدم التناسق بين معسكر وآخر)، وقد يقامرون بحصولهم على الدعم من طرف أو آخر. وفوق كُلّ هَذَا، قد يقامرون بفاعلية عقيدة التَّمَرُّد والحَرْب الَّتِي يَسْهُل فهمها، والَّتِي تنتشر اليوم على نطاق واسع، بِحَيْثُ يمكن لأي شخص تقريبًا الدخول في هَذَا التوجه.

يمكننا افتراض أن الغرب، بشكل تلقائي، سيشارك بشكل مباشر أو غير مباشر في الحُرُوب الثَّوْرِيَّة القادمة. ومع وجود الشيوعيين في خط واحد، من المحتمل أن يتورط الغرب في دعم نظام دولة ما، أي إلى جانب مُكَافَحَة التَّمَرُّد. ولهذا كُتِبَ هَذَا الكتاب.

كامبريدج، ماساتشوستس.

تشرين الثاني سنة 1963م

ملحق

تجربة جاليولا في العامرية - العراق، الشعب هُوَ المفتاح[1]

(الكولونيل الأمريكي ديلي كويل)

يشكك بعض النُّقَّادِ العسكريين المختصين بعمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد، بالنهج العقائدي الجديد الَّذِي طوره الجيش ونشره في دليل الميدان لمكافحة التَّمَرُّد بما يخصُّ عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد. وخاصةً النظرية الَّتِي ذكرت في دليل الميدان لمكافحة التَّمَرُّد (FM 3-24) **والقائلة: أنه لنجاح تمرد على المدى الطويل يجب على المتمردين ضمان الدعم الشعبي [والتأييد لقضيتهم] أو أقلها قبول الناس لهم [أو لقضيتهم]. هَذِهِ النظرية يتبناها المتمردون ويعتبرونها ركيزة أساسية لبناء إستراتيجيتهم.**

لذلك استناداً لخبرتي في عمليات مُكَافَحَة المتمردين لمدة أربعة عشر شهراً في شمال غرب بغداد، بما في ذَلِكَ العمليات في حي العامرية السني، أعتقد أن مؤلفي دليل الميدان لمكافحة التَّمَرُّد (FM 3-24) **على حق. وبينما يحاجج البعض أن نهج الجيش في مقاومة التَّمَرُّد دوغماتي، فإنني لا أشاطرهم هَذَا الرأي. إنني لم أقرأ الدليل الميداني الجديد بكامله لأنه صدر بعد نشر وحدتي العَسْكَرِيَّة، ومع ذَلِكَ استنادا إلى دراستي السابقة لمكافحة التَّمَرُّد، اعتقدت أن اكتساب ثقة السكان المحليين كان جوهرياً لعملياتنا. لقد صحَّ ذَلِكَ على الأقل فيما يتعلق بوحدتنا.**

حين عدنا إلى الولايات المتحدة، كان لدي الوقت لأفكر مليّا وأدرس عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد مسلحاً هَذِهِ المرة بمستوى جيد من التجارب الشخصية. لقد قرأت لأول مرة مؤخراً "حرب مُكَافَحَة التَّمَرُّد: النظرية والتطبيق' ـ (Counterinsurgency Warfare: Theory and Practice) **ـ بقلم ديفيد جاليولا ووجدت أنه في الوقت الَّذِي تركز فيه مقالته على حركات التَّمَرُّد الشيوعية وتلك المعادية للاستعمار فإن الكثير من أفكاره تنطبق على معركتنا الحالية مع التَّمَرُّد في العراق. ويتفق جاليولا مع مؤلفي الدليل الميداني** (FM 3-24) **بأن دعم السكان عنصر أساسي لهزيمة المتمردين. ويطرح أربعة أسس للقيام بحملة لمكافحة التَّمَرُّد:**

---

[1] مقال للكولونيل ديلي كويل، يتحدث فيه عن تطبيق الجيش الأمريكي لنظريات جاليولا الَّتِي أصَّل لها في هَذَا الكتاب، رأينا أن نجعله ملحقاً للكتاب لتكتمل الفائدة، المقال ترجمة مركز تنمية الفكر الإستراتيجي.

1. إن دعم السكان ضروري لحملة مُكَافَحَة التَّمَرُّد بقدر ما هُوَ ضروري للمتمردين.
2. اكتساب الدعم عن طريق أقلية نشطة.
3. دعم السكان أمر مشروط.
4. كثافة الجهد واتساع الوسائل أمران جوهريان.

أُرسلت الكتيبة الأولى، الفرسان الخامسة، إلى العراق في أكتوبر 2006. وتسلمت في أواخر نوفمبر المسؤولية عن أحياء الخضرة والعامرية وطريق المطار من السرب الثامن، الفرسان العاشرة. بعد فترة وجيزة من نقل السلطة اتسعت منطقة عملياتنا إلى ثلاثة أضعاف حجمها الأصلي لتشمل منطقة المنصور الأمنية بكاملها، من معسكر الحرية إلى المنطقة الدولية. وأصبحنا تحت قيادة العقيد ج. ب. بيرتون وفريق خنجر اللواء القتالي من اللواء الثاني. احتوت قواتنا على فرقتين فقط من سرية المشاة الميكانيكية. فصلنا فصيلتي دبابات ومقر السرية لتخدم كفريق انتقالي عَسْكَرِيّ (Military transition team MiTT)، وأُلحق فريق سرية واحدة بكتيبة أخرى. كذلك احتفظت كتيبتنا الأم، الكتيبة الثانية، فرقة الفرسان الأولى بسرية الهندسة لدينا. زودنا العقيد بيرتون بلواء قوات استطلاعية (Brigade reconnaissance troop BRT) لها فصيلة واحدة ومقر قيادة للقوات لمساعدتنا في تحديات القوى العاملة.

واجهنا خلال الانتشار تحديات محاولة تخفيف حدة العنف الطائفي الَّذِي يتخلل بيئة عملياتنا. استفدنا من زيادة القوات الَّتِي وفرتها الطفرة العَسْكَرِيَّة. انطلقنا إلى القطاع مصحوبين بالوحدات الفرعية الأخرى من "لواء الخنجر" (لواء مقاتل) لنقيم عددا من المواقع القتالية والمراكز الأمنية المشتركة. لاحظنا تحسينات مثيرة في الأمن حين حولنا تركيزنا لتهيئة بيئة آمنة للسكان بدل التركيز على عملية انتقال مسؤولية الأمن لقوات الأمن العراقية. (إن العمل بشكل وثيق مع الجيش العراقي مع استمرار التركيز على النقطة السابقة يجعل عملية الانتقال لسلطة عراقية شاملة أسهل في المستقبل).

تأمين السكان واكتساب ثقتهم كانا أمران جوهريان. تطلب ذَلِكَ جنوداً منضبطين وقادةً نزولاً إلى مستوى المجموعة لديهم فهم لأساسيات عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد. لم نركز بالضرورة على اكتساب قلوب وعقول السكان المحليين، بل أردنا فقط أن يثقوا بنا وبالجيش العراقي والحكومة العراقية أكثر من ثقتهم بالمتمردين، الَّذِينَ كانوا في منطقتنا تحت سيطرة القاعدة في العراق. ومع أنني لم أقرأ جاليولا قبل انتشارنا عكست العمليات عموماً قوانينه الأربعة.

دعم السكان:

يجادل جاليولا أن جوهر مشكلة مُكَافَحَة التَّمَرُّد لا يكمن في طرد المتمردين خارج منطقة معينة لأنه يمكن للمتصدي للمتمردين أن يخرجهم منها. لكن عند طرد المتمردين من هَذِهِ المنطقة وتمركز قواتنا فيها، يكمن التحدي في حقيقة أنه يمكن لهم العودة والسيطرة على المنطقة مرة أخرى مالم يكن المتصدي للمتمردين قادراً على كسب تأييد السكان المحليين. ونتيجة لذلك يكافح المتصدي ضِدّ المتمردين للحصول على هَذَا الدعم. ويتمتع المسلحون بميزة في هَذَا الصراع وهِيَ استناد منظمتهم على القواعد الشعبية وتجذرهم بين الناس.

لقد لاحظنا هَذِهِ الظاهرة طوال فترة الحَرْب في العراق. طاردنا تنظيم القاعدة من معقل إلى آخر. خلال فترة تواجدنا في بغداد تم طرد مسلحي القاعدة من شارع حيفا فانتقل كثير منهم إلى منطقة العامرية. على مدى السنوات العديدة الماضية بذلت محاولات تطهير العامرية خلال عملية "معاً إلى الأمام" (Operation Together Forward) في أغسطس 2006 إلى عملية "ضرب رأس السهم 9"(Operation Arrowhead 9) في أبريل 2007. لكن عاد متمردو القاعدة بعد كُلّ هَذِهِ العمليات لأننا ما زلنا لم نكتسب بالكامل ثقة السكان. كان المتمردون إما أن يغادروا أو يندمجوا بين السكان حَتَّى ينتقل تركيز القوات إلى موقع آخر. كَانَت المكاسب سطحية ومؤقتة، وظلت منظمات القاعدة السياسية والعَسْكَرِيَّة المحلية سالمة داخل المنطقة.

كان المفهوم الكامن وراء هَذِهِ العمليات متفقاً مع نموذج "طَهِّر ـ احتفظ ـ ابنِ" المعتمد في إستراتيجية الأمن القومي للنصر في العراق وفي الدليل الميداني. كان القصد تركيزاً كبيراً للقوات الأمريكية وقوات الأمن العراقية (ISF) لإخلاء المتمردين من منطقة معينة عن طريق إجراء عمليات تطويق وتفتيش واسعة وإجراء غارات دقيقة. وعندما تنتقل قوات الإخلاء إلى منطقة أخرى كان على القوة الَّتِي بقيت في المنطقة المخلاة أن تعتمد بشكل كبير على قوات الأمن العراقية للاحتفاظ بالمنطقة وتوفير الأمن لعامة الناس وإعادة الوجود الفعال للحكومة العراقية. وبعد استتباب الأمن، كان من المفترض أن نبدأ مشاريع إعادة الإعمار لبناء البنية التحتية وقدرة الحكومة والاقتصاد المحلي وزيادة ثقة المواطنين بالحكومة العراقية.

كَانَت هَذِهِ الإستراتيجية قوية، لكننا واجهنا العديد من المشاكل عند تنفيذها. فحتى تكون فعالة، على عمليات التطهير أولاً الاستناد إلى استخبارات مفصلة بشكل كافٍ للسماح بالاستهداف الدقيق والغارات الدقيقة. ببساطة لم يكن لدينا هَذَا المستوى من المخابرات، لذلك كَانَت عمليات التطهير الَّتِي قمنا بها أداة فظة وكان لها القليل من الأثر على النشاط طويل الأجل للمتمردين. لقد عطلت العمليات نشاط المتمردين طوال تواجد قوة التطهير لكنها لم تؤثر على البنية التحتية المترسخة للمتمردين. ثانياً، ببساطة لم تكن قوة الاحتفاظ قادرة على توفير الأمن للسكان. لم يكن لدينا ما يكفي من القوات الأمريكية، ولم يثق السكان السنيون المحليون في المقام الأول بكتيبة الجيش العراقي لهيمنة الشيعة عليها. أخيراً، كنا غير قادرين على ضمان أمن السكان وغير فعالين في المضي قدماً في المشاريع المدنية.

الدعم عن طريق أقلية نشطة:

إن التحدي الَّذِي تواجهه عمليات مُكَافَحَة التَّمَرُّد هُوَ كيفية اكتساب دعم السكان. لا تبحث مُكَافَحَة التَّمَرُّد عن دعم سلبي أو معنوي مجرد، بل الدعم النشط في محاربة المتمردين. يقول جاليولا أن هَذَا الدعم يأتي من معتقد أساسي في ممارسة السلطة السياسية: في أي وضع ومهما كَانَت القضية، ستكون هناك أقلية نشطة تدعم القضية وغالبية محايدة وأقلية نشطة ضِدّ القضية.

واجهنا تحديات كثيرة في العامرية. في الحقيقة كان تنظيم القاعدة في العراق يسيطر على الأحياء. وفي الوقت الَّذِي لم تدعم فيه غالبية السكان نشاط التنظيم، حكمت الأقلية النشطة للقاعدة في العراق بالخوف. كان النظام الَّذِي وضعناه للسيطرة على تحركات المتمردين غير فعال إذ كان فيه العديد من الثغرات الَّتِي سمحت عملياً بطرق دخول وخروج دون صعوبات. لم يثق السكان المحليين في قوات الأمن العراقية الَّتِي يسيطر عليها الشيعة حَيْثُ شعر السكان بأن لها جدول أعمال طائفي. أجبر استهداف القاعدة لقوات الأمن العراقية تِلْكَ القوات على المرابطة في مواقع ثابتة على محيط الحي، ما وفر القليل من الحماية للسكان.

في مايو 2007 بعد الانتهاء من عمليات التطهير خلال "ضربة رأس السهم 9 " أصبحت العامرية مكاناً عنيفاً للغاية. وحَيْثُ كان الجيش العراقي فعلياً خارج الصورة، وجه تنظيم القاعدة عملياته ضِدّ الولايات المتحدة والسكان المحليين. أحدثت القنابل الارتجالية

المتفجرة (IEDs)، المدفونة عميقاً، أثرها في ثلاث انفجارات كبيرة في مايو فأودت بحياة خمسة جنود ومترجم واحد. كما أننا شهدنا زيادة في نيران الأسلحة الصغيرة الَّتِي قتل بها جندي آخر. وبسبب التهديد المتزايد سُحِبت قوة قتالية من أجزاء أخرى من منطقة عمليات الكتيبة في المنصور من أجل التركيز على منطقة العامرية. كما أنني طلبت وتلقيت سرية سترايكر من المشاة.

سمحت لنا القوة القتالية الإضافية زيادة الدوريات في منطقة العامرية. قللنا عدد عمليات تطويق وتفتيش المنازل السكنية واسعة النطاق. وبدلاً من ذَلِكَ استهدفنا على وجه التحديد المناطق الَّتِي قيل إن القاعدة تلتقي فيها أو توزع فيها أدبياتها والأقراص المدمجة. وقد واصلنا تحسين نظام الحواجز حول الحي هَذِهِ المرة، باستخدام عوائق طول الواحد منها ستة أقدام ووضعناها بعيداً عن المنازل.

شكلت الهياكل الجديدة حاجزاً أكثر تماسكاً ضِدّ تحركات المتمردين، مانعة تدفق الأسلحة والذخائر والمتفجرات. ونفذ الجيش العراقي حظر تجول مشدد ومنع حركة السيارات.

بحثنا لعدة أشهر عن مكان داخل العامرية لإقامة مخفر قتالي دائم. كنا قد أقمنا مخافر غيرها في جميع أنحاء منطقة عمليات الكتيبة في حي المنصور وأثبتت فعاليتها في مساعدتنا على فهم أفضل للسكان المحليين وفي كسب ثقة المواطنين. اتفقنا على منطقة في الجزء الشمالي الغربي من منطقة العامرية على الرغم من أنه لم يكن المكان الأمثل. في 19 مايو انفجرت عبوة ناسفة مدفونة تحت المركبة المصفحة برادلي وقتلت ستة جنود ومترجم واحد بينما كنا نعمل على إقامة هَذَا المخفر.

كان ردنا على هَذِهِ الكارثة حاسماً في كسب تأييد أقلية نشطة في المجتمع المحلي، الَّتِي تحالفت معنا ومع الجيش العراقي لهزيمة القاعدة. نما حجم الأقلية بعد وقت بشكل هائل وأدى إلى حصولنا على ثقة الغالبية المحايدة.

بعد عودتي إلى مقري القيادي في تِلْكَ الليلة اتصلت بأحد أئمة المساجد المحلية وطلبت دعمه لمساعدتنا في إخراج القاعدة من الحي. كنت على يقين من أن الأئمة المحليين يعرفون من الَّذِي يقف وراء أعمال العنف، لكنني أعلم أيضاً أنهم يخافون تنظيم القاعدة. اعتباراً من فبراير أخذَت لقاءاتنا مع الأئمة طابع السرية. طلبوا مني ألا أجتمع معهم إلا في أوقات متأخرة من المساء. وجادلت بأن رجالي كانوا يعانون، وأنني كنت أعرف أن هَؤُلَاءِ القادة المحليين (الأئمة) لديهم معلومات كنا في حاجة إليها.

كان غير معروف لي في ذَلِكَ الوقت أن رجل الدين هَذَا كان بالفعل جزءً من الأقلية المعارضة لتنظيم القاعدة، سوف ينكشف هَذَا الجهد قريباً للجميع.

كان الضباط وضباط الصف يشعرون بالإحباط لزيادة أعمال العنف وعدم قدرتنا على تحديد عدونا بشكل إيجابي واستهداف شبكته. بسبب التذمر بدأ الحديث عن فكرة القيام بـ "فلوجة" بمعنى عملية إخلاء واسعة النطاق مع الاعتماد على قوة نيران كثيفة. لكني أصريت على ضرورة ضبط النفس والاستمرار بالعمليات المركزة والتعامل مع السكان المحليين بكرامة واحترام. لم يكن هَذَا الخيار ذو شعبية بين الجنود، لكن سيطر قادة الكتيبة على جنودهم وحافظوا على انضباطهم. بعد مضي عدة أشهر وبينما كنا نستعد لإعادة الانتشار قَالَ الإمام القيادي، وهُوَ المواطن الأكثر نفوذاً في العامرية أن خيار ضبط النفس الَّذِي اعتمدناه كان المفتاح لكسب ثقة الشعب.

في مساء 29 مايو حصلت على الجواب من الإمام الَّذِي كنت قد تحدثت إليه بعد تدمير عربة البرادلي. قَالَ إن السكان المحليين كانوا سيلاحقون جنود القاعدة في اليوم التالي. بالإضافة إلى استهداف الجنود الأمريكيين زادت القاعدة ضغطها على الشعب العراقي وأن صبرها قد نفذ. تجادلنا لحوالي عشرين دقيقة حَيْثُ حاولت إقناعه بإعطائنا المعلومات وترك أمر التعامل مع الأهداف لنا، ولكنه أصر أن على العراقيين التعامل مع هَذِهِ الأهداف. لم يكن يطلب الحصول على إذن للتنفيذ فقد كانوا في طريقهم لمهاجمة القاعدة سواء وافقت أم لا. طلبت مِنْهُ ضمان أن رجاله لن يهددوا جنودي أو المدنيين غير المسلحين، وإلا سنطلق عليهم النار ثُمَّ تمنيت له حظاً سعيداً. عدَّلنا قواعد الاشتباك في اليوم التالي وانتظرنا ما سيحدث.

كان اليوم التالي محورياً، هاجم السكان المحليون القاعدة وقتلوا عدداً من زعمائها في العامرية. استخدم الإمام مكبر الصوت في مسجده لدعوة الناس لمهاجمة القاعدة ودعم قوات التحالف. خرج العشرات من الرجال يحملون بنادق الكلاشنكوف ورشاشات إلى الشوارع لتأمين حيِّهم. لم نطلق النار لأنه لم يُمثِل أحدٌ من هَؤُلَاءِ تهديداً لتشكيلات قواتنا. اتصل بي الإمام في تِلْكَ الليلة منتشياً بالنجاح الَّذِي حققه العراقيون، وادعى أنهم قد أخلَوا ثلثي العامرية، كنا متفائلين بحذر.

كان اليوم التالي قصة مختلفة، شنت القاعدة هجوماً مضاداً مجبرة المقاتلين المحليين على التقهقر إلى معقلين حول مسجدين. بدأتُ في الحصول على تقارير عن الموقف من جنودي،

وكان الإمام يتصل بي كُلّ خمس أو عشر دقائق ليوافيني بآخر المستجدات. يئس عندما انسحب رجاله إلى مسجده وطلب منا المساعدة. أمرت فصيلي سترايكر بقيادة النقيب كيفين سالج للذهاب لمساعدة العراقيين. كان توقيت توجه الفصيلين للمساندة مناسب تماماً. حَيْثُ أوقفوا تقدم القاعدة وأقاموا محيطاً آمناً للسماح لأصدقائنا الجدد بالتقاط أنفاسهم. كان المسجد في فوضى لتناثر الزجاج المكسر ونيران الأسلحة الخفيفة والقذائف الصاروخية (RPG) . تناثرت جثث القتلى والجرحى على أرضية الحرم. اتصل بي الإمام في العامرية لعقد اجتماع رسمي مع زعيم المقاتلين في العامرية. لم نكن نعرف حَتَّى ذَلِكَ الحين من الَّذِي يوجه العمليات المحلية.

لم يسرْ لقائي الأول مع أبو عابد على ما يرام. كان من الواضح أنه مرهقٌ، فتقدم بمطالب لم أكن مرتاحاً لها. التقينا مرة أخرى في الليلة التالية، وتوصلنا بعد عناء إلى اتفاق حول كيفية التعاون لهزيمة عدونا المشترك. كَانَت علاقتنا مؤقتة في البداية لكن مع مرور الوقت بدأنا نثق ببعضنا البعض بعد أن رأينا النتائج الإيجابية للعمل معاً. تأكد العراقيون أننا كنا ملتزمين بحماية حيِّهم.

يصرح جاليولا أن مكافح التَّمَرُد الَّذِي يرفض الالتزام ومتابعة القانون الثاني له (اكتساب الدعم عن طريق أقلية نشطة) وَالَّذِي يلتزم بقيود زمن السلم سيطيل أمد الحَرْب ولن يقترب من النصر. كان التحدي الَّذِي واجهناه هُوَ أن قوات الأمن في المنطقة نُظِر إليهم كمحتلين رغم أنهم كانوا عراقيين. كان معظمهم من الشيعة ويميلون إلى استخدام القوة المفرطة. ومما عقّد الأمور، أن السكان المحليين كانوا يخافون من أي قوة متصلة بوزارة الداخلية. وقد اعتقلت الشرطة الوطنية العشرات من الرجال عشوائياً ولم تعطِ تفاصيل عن مصيرهم. ذكر أيضاً أن أعضاء في وزارة الداخلية قد نهبوا المصرف المحلي.

أثبتت حجة جاليولا "بأن الحصول على الدعم من أقلية نشطة أمر ضروري" صحتها بالنسبة لنا. لم يؤدِ استخدام قوة تهيمن عليها الشيعة لتوفير الأمن إلا إلى تعزيز أحد الأسباب الرئيسية للتمرد السني: عدم وجود فرص للسنة ليصبحوا جزءً من القوة الأمنية المشروعة. إن أبو عابد ورجاله هم الأقلية النشطة الَّتِي احتجنا إليها، وقد هاجموا أساس التَّمَرُد.

الدعم الشعبي المشروط:

يقول جاليولا بأن الأقلية المعادية للمتمردين لن تظهر طالما أن التهديد لم ينخفض بشكل معقول. وحَتَّى في حال ظهور هَذِهِ الأقلية فلن تكون قادرة على حشد باقي السكان إلا إذا كانوا مقتنعين بأن المتصدي لديه الإرادة والوسائل والقدرة على الفوز. علاوة على ذَلِكَ، فإنه من المستحيل القيام بالإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية طالما أن المتمردين يسيطرون على السكان.

شاهدنا كُلّ هَذِهِ التحديات في العامرية. ما زلت غير متأكد من السبب الَّذِي دفع أبو عابد ورجاله إلى التقدم إلى الأمام عندما فعلوا. إن جزءاً من الجواب يكمن من دون شك في الأساليب الوحشية الَّتِي استخدمتها القاعدة للسيطرة على الجماهير بما في ذَلِكَ عمليات الخطف والتعذيب والقتل. علاوة على ذَلِكَ أعاقت القاعدة أي تحسينات على المجتمع المحلي، معطلة الخدمات الأساسية كجمع النفايات وإصلاح المجاري وتوزيع الغاز والبروبان والكيروسين الَّذِي تكثر الحاجة إليه.

وأظن أن أبو عابد وأتباعه تقدموا نحونا بسبب الالتزام الَّذِي قطعناه للمجتمع. ففي فبراير 2007 في اجتماع مع قادة المجتمع المحلي قلت لهم أننا كنا ملتزمين بهزيمة القاعدة وحماية العامرية من الميليشيات الشيعية. شاهد الناس كيف سيطر جيش المهدي على حي الحرية في يناير. كما شاهدوا توسع جيش المهدي إلى الجنوب في حي العامل والجهاد، مما زود القاعدة بأداة تجنيد كبيرة. انضم المتمردون المحليون إلى القاعدة لحماية أحيائهم من جيش المهدي، ولكنهم ندموا على هَذَا القرار. لقد وفر التزامنا للسكان المحليين بوقف توسع جيش المهدي بديلاً آخر. لم يرق القمع الَّذِي كَانَت ترتكبه القاعدة ومشروعها السياسي لإقامة الخلافة للسكان المحليين أو المجموعات المتمردة المحلية. كان السكان المحليون بصفة عامة متعلمين جيداً وأكثر علمانية في توقعاتهم. حَتَّى الأئمة تحدثوا عن ضرورة تشكيل حكومة علمانية بدلاً من حكومة تديرها الأحزاب الدينية. اعترف زعماء أقليات مرموقين بالتزامنا، على الرغم من زيادة العنف في العامرية لأنه بالرغم من خسائرنا، واصلنا البناء.

مع زيادة عدد الدوريات في المنطقة اقتنع السكان بأننا لن نغادر. تحسين الحواجز وفرض حظر التجول والقيود المفروضة على قيادة السيارات جعل التنقل أكثر صعوبة لناشطي القاعدة مما ساعد بعزلهم عن السكان. وبزيادة المعلومات الاستخباراتية اكتشفنا الأنماط

المعقدة لعمليات القاعدة وعطلنا اجتماعاتها. أخيراً منع الرد المنضبط من جنودنا على الخسائر الَّتِي عانوها، السكان غير الملتزمين من التحول ضدنا.

في 30 مايو تفجرت انتفاضة شعبية جلبت عشرات الرجال إلى الشوارع عندما أطلق أبو عابد الطلقة الأولى، ما أسفر عن مقتل زعيم بارز من القاعدة في المنطقة. ومع ذَلِكَ تسبب رد فعل القاعدة العنيف في أن يتوارى الكثيرون عن الأنظار. عندما جئنا للمساعدة، كان لدى أبو عابد حوالي نصف دزينة من الرجال الملتزمين معه فقط. وارتفع العدد إلى نحو ثلاثين في غضون أيام قليلة. لكنها كَانَت لا تزال مجموعة صغيرة. كان الجزء الأكبر من السكان لا يزال غير مقتنع. وعلى مدى شهرين ونصف تاليين عملنا بشكل وثيق مع هَذِهِ المجموعة الصغيرة من المقاتلين والجيش العراقي للسيطرة على السكان، ومن خلال الاستهداف الفتاك والدقة انتزعنا السيطرة من القاعدة.

مررنا بتغييرات مختلفة لاسم المجموعة، ورسونا على فرسان الرافدين أو "فرسان أرض بلاد ما بين الرافدين". خلال فترة تواجدنا في بغداد كانوا معروفين بشكل عام أكثر باسم "المواطنين المحليين المعنيين"، الَّذِي تغير منذ ذَلِكَ الحين إلى "أبناء العراق". زاد عدد المتطوعين كلما شاهد الناس النجاح. قارب العدد في الشهر الأول حوالي ثلاثين، ولكن عندما وقعنا عقد أمن معهم بعد ثلاثة أشهر، كان لدينا ما يقرب من ثلاثمئة رجلٍ. حارب هَؤُلَاءِ الرجال وقتلوا في بعض الحالات من دون أن يدفع لهم رواتب لأكثر من ثلاثة أشهر. جادل الكثيرون بأن السبب الوحيد لمجيء أهل السنة إلى جانبنا هُوَ أننا كنا ندفع لهم، كان هَذَا الادعاء غير دقيق في منطقتنا.

أنشأنا في وقت مبكر خلية بقيادة النقيب داستن ميتشيل قائد لواء القوات الاستطلاعية 4/5 للعمل مع الفرسان على أساس يومي. خدم هَؤُلَاءِ الرجال كمستشارين من الفريق الانتقالي العسكري لأبي عابد، يزودونه بالنصيحة حول كيفية الانتقال من مشرف على وحدة صغيرة إلى كونه زعيماً لمنظمة كبيرة. وعندما أعاد ميتشيل وجماعته الانتشار، أنشأنا سرية مؤقتة بقيادة النقيب إريك كوسبر، ضابط دعم النار لدي لاستمرار العلاقة الوثيقة مع الفرسان.

وعندما واصلنا العمل مع الفرسان، وجدنا أن كلاً من كتيبتنا وكتيبة الجيش العراقي اكتسبا شرعية لدى السكان المحليين. لقد عملنا على معالجة الكثير من المسائل معهم، بما في ذَلِكَ الشكاوى من التخويف والنشاط الإجرامي. كَانَت بعض التقارير الَّتِي تلقيناها

جزء من حملة عملية تضليل نشطة من قبل القاعدة وغيرها سعياً لتشويه سمعة أبو عابد والفرسان.

وفي الحقيقة كان لدينا بعض الحوادث الَّتِي وجب التعامل معها، ولكن تلقينا عدداً أقل من الشكاوى حول الفرسان مما تلقينا حول الجيش العراقي. وعندما حققنا بالشكاوى ضِدّ الفرسان وجدنا مبرراً لبعضها. وهكذا فإننا ضبطنا عدة أعضاء واعتقلنا بعضهم.

تلقينا شكاوى مماثلة أيضاً حول جنود الجيش العراقي في المنطقة. قمنا بتعيين مجموعة متنوعة من قادة الجيش العراقي. تطابق عدد الشكاوى مباشرة مع نوعية القادة للجيش العراقي. وجدنا أن عدد الشكاوى قد انخفض بشكل ملحوظ عندما كنا نقوم بعمليات مع جميع القوى الثلاث معاً، وزاد هَذَا من ثقة السكان وعزل المتمردين عنهم.

كان ظهور أبو عابد كزعيم للأقلية المكافحة للتمرد ضرباً من الشجاعة والأمان. كَانَت لديه الشجاعة ليتقدم نحونا على الرغم من أننا لم نفعل شيئاً يذكر للحد من التهديد الَّذِي قاله جاليولا بأن من الضروري لجمه لدفع هَذِهِ الأقلية لتظهر نفسها. ومع ذَلِكَ كان له وللأئمة الَّذِينَ دعموه الإيمان في جهودنا لدعمهم، ورأوا أن الوقت قد حان. كان النمو بطيئاً. كَانَت الغالبية العظمى من السكان لا تزال غير مقتنعة بأن لدينا الإرادة والوسائل والقدرة للفوز. ومع ذَلِكَ كلما نما نجاحنا في استهداف القاعدة زادت أعداد أولئك المعادين لحركة التَّمَرُّد، وتضخمت صفوف المتطوعين للفرسان. وأصبحت الجماهير بصفة عامة أكثر ثقة. وبدأوا التنديد علناً بالقاعدة وإظهار التأييد للجهود الَّتِي بذلناها. زادت الشراكة الَّتِي شكلناها مع الفرسان والجيش العراقي شرعية الحكومة العراقية، ومهد الأمن الَّذِي تم إنشاؤه الطريق للتنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كثافة الجهود واتساع الوسائل:

يشرح جاليولا بأن العمليات اللازمة لتخفيف الخطر على السكان من المتمردين يجب أن تكون مكثفة ولفترة طويلة. ولا يمكننا تخفيف جهودنا في التصدي للمتمردين في جميع أنحاء البلاد بل يجب علينا تخفيفه بمنطقة تلو الأخرى. في النهاية منحت لنا الطفرة العَسْكَرِيَّة بعدد القوات العام المنصرم وتركيزها على بغداد القدرة القتالية اللازمة ليكون لها أثر دائم. وبدون زيادة الكتيبتين في منطقة عملياتنا والزيادة الأخرى في منطقة اهتمامنا، لم يكن النجاح الَّذِي أحرزناه ممكناً. سمحت لنا إضافة مدفعية الميدان 32-2

والمدرعات 64-1 إلى حي المنصور الأمني أن نركز جهودنا في العامرية. انخفض عدد الوحدات العراقية المشاركة في عملنا إلى مستوى يمكن السيطرة عليه.

أدت جهود هَذِهِ الكتائب أيضاً في تعطيل قدرة القاعدة على التحرك بحرية وحرمتها من القدرة على إعادة إنشاء نفسها في مناطق أخرى. وإلى الشمال منا أوقفت بشكل فعال عمليات سلاح الفرسان 12-2 والمشاة المحمولة جوا 325-1 توسع جيش المهدي، بينما انتزع سلاح الفرسان 12-2 السيطرة على جنوب الغزالية من القاعدة.

وبينما لم تكن بالضرورة مصمَمَة لدعم جهودنا، ساعدت الجهود الَّتِي بذلها فريق اللواء القتالي الثاني في فرقة المشاة الأولى على تعزيز التزامنا تجاه شعب العامرية. كَانَت خطة حملة العقيد بيرتون وموظفيه بسيطة لكنها فعالة: التركيز على وقف توسع المجموعات الشيعية المتطرفة وهزيمة القاعدة. لقد أعطى قادته المرونة للتعامل مع التحديات الفريدة من نوعها بالنحو الَّذِي يرونه مناسباً. ضَمِنَ موظفوه لنا تلقي الموارد اللازمة لمتابعة المكاسب الأمنية مع تحسين الخدمات والمشاريع لتحسين البنية التحتية. مكَّنت الطفرة العَسْكَرِيَّة القيام بمثل هَذِهِ الجهود وتم تنفيذها من خلال خطة شاملة حملت لواء الأمل للمواطنين المحليين الَّذِينَ بدأوا بالاعتقاد في نهاية المطاف بأن لدينا القدرة على الفوز. وقد أدى الأمل إلى زيادة عدد الأشخاص الَّذِينَ كانوا على استعداد لتقديم الدعم لنا صراحة في جهودنا لهزيمة القاعدة، وبالتالي زادت صفوف الفرسان زيادة قوية.

الاستنتاج:

كان أساس نجاحنا في العامرية الجنود المنضبطين واعتماد سياسة ضبط النفس في مواجهة الشدائد، وقادة متفهمين على مستوى المجموعة الَّذِينَ أدركوا أننا في حاجة لتأييد السكان المحليين لهزيمة القاعدة. أسسنا نظامنا اعتماداً على العلاقات الَّتِي كَانَت موجودة سابقاً وأضفنا عليها إنجازاتنا ليتوارثها الجنود الَّذِينَ سيأتون بعدنا. كَانَت تنمية ثقة السكان المحليين أمر ضروري، ولبنائها كان علينا أن نظهر أننا ملتزمين بسلامتهم. ولكي نكون فعالين كان علينا أن نثق بالسكان المحليين الَّذِينَ تقدموا للقتال إلى جانبنا وجانب الجيش العراقي لهزيمة القاعدة. وكَانَت النتائج مثيرة، لم نتعرض لأي هجمات كبيرة على الكتيبة في العامرية من 7 أغسطس حَتَّى غادرنا في 2 يناير. ووقع آخر هجوم بقذائف الهاون على الحي في يوليو، وانخفضت عمليات القتل والاختطاف من حوالي

ثلاثين في الشهر إلى أربع فقط في النصف الأخير من العام. فتح أكثر من مئتي متجر خلال الوقت الَّذِي أعدنا فيه انتشارنا. ضغط نجاح عملياتنا أيضاً على الحكومة العراقية لتقديم الخدمات داخل المجتمع، والتحرك نحو المصالحة بقبول السنة في قوات الشرطة العراقية. تطلب نجاحنا التفاني القوي من جانب الجنود والقادة فضلاً عن الوقت والصبر. وما أن اتضحت المكاسب الأمنية، حَتَّى تمكنا من تحقيق تحسن ملحوظ في نوعية الحياة للمواطنين في العامرية.

بناءً على تجربتنا، يبدو أن جاليولا محق بأن اكتساب تأييد السكان أمر ضروري للتصدي للمتمردين. لقد أدركت أن اكتساب ثقة السكان المحليين يعتبر نقطة محورية لعملياتنا وعمليات المتمردين. وقد كنت أستطيع استخدام العنف واتباع نهج أكثر فتكاً، إلا أنني دائماً ما اعتقدت أن هَذَا سيؤدي إلى نتائج عكسية وسيكون سلاحاً في أيدي أعدائنا على حساب الجماهير. لم نكن قادرين على كسب ثقة السكان المحليين حَتَّى تمكنا من إقناع المعادين للتمرد للتقدم نحونا. أدى الأمن الَّذِي ترسخ إلى دعم السكان لنا عندما رأوا أنه كَانَت لدينا الإرادة والوسائل والقدرة على الفوز. وأخيراً كان يمكننا تركيز جهودنا على منطقة العامرية لتطهيرها. سمحت الطفرة العَسْكَرِيَّة في عدد القوات بتركيز جهود كتيبة بأكملها في المنطقة لفترة طويلة. وقد كنا قادرين على توفير الموارد الأخرى لبناء البنية التحتية المحلية والاقتصاد لتوفير قدر أكبر من الشرعية للحكومة العراقية. لذا يمكننا استنتاج أن العمل المشترك الَّذِي تم بين قواتنا والجيش العراقي والفرسان وسكان العامرية أثبت صواب حجج جاليولا لعمليات الجيش الأمريكي في العراق.

عَنْ مَرْكَزِ الخَطَّابِيِّ

هُوَ مركزُ دراساتٍ وأبحاثٍ مختصٌ في علومِ وفنونِ الحروبِ الثَّوْرِيَّة، تَمَّ إنشاؤهُ في إدلب-سوريا سنة 2019. يسعى مركز الخطابي إلى إيجادِ مراجعَ شاملةٍ تتناولُ مبادئَ وإستراتيجياتِ وتكتيكاتِ الحروبِ الثَّوْرِيَّة، لتلبيةِ حاجةِ الثُّوَارِ التَّدريبيَّةِ والبحثيَّةِ، كما يَهدِفُ إلى توفيرِ مصادرَ علميَّةٍ وافيةٍ عن الفنونِ السِّيَاسِيَّة والعَسكَرِيَّة والاجتماعيَّةِ التي يحتاجُهَا الثُّوَارُ في العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ، وذَلِكَ من خلالِ التحليلِ الدقيقِ والتقييمِ العلميِّ لتاريخِ أَهَمِّ الثَّورَاتِ السابقة، وتقديمِ التوجيهاتِ والتحليلاتِ الدقيقةِ التي تحتاجُهَا النُّخَبُ الثَّوْرِيَّة حولَ أَهَمِّ النوازلِ المعاصرة، والأرشفةِ الشاملةِ عن أحداثِ الثَّورَةِ السوريَّةِ على المستوى العَسكَرِيّ والسِّيَاسِيّ والاجتماعيِّ.

ومنذُ نشأتِه، قدَّمَ الخطَّابيُّ لمتابعيهِ أكثرَ من عشرين مادةً علميَّةً.

أَهَمُّ المؤلفاتِ والكتبِ:

1. **الخطَّابي، مُلهِم الثورات المُسَلَّحَة، ثورة الريف الثالثة (1921 - 1926م): السياق التاريخي والأبعاد السِّيَاسِيَّة والعَسكَرِيَّة والاجتماعية.**
2. **لمحةٌ عن المسارِ السِّيَاسِيّ لآلِ سعودٍ في الدولة الثالثة.**
3. **"أستانا"، مسارُ القضاءِ على الثَّورَةِ السورية.**
4. **الاحتلالِ بين النظريَّةِ والتطبيقِ، عواملُ قوةِ عَمَلِيَّات مكافحةِ التمردِ الأمريكيَّة، وجدوى هَذِهِ العـواملِ في أفغانـستان بين 2001 و2020.**

5. انتفاضةِ الصحراءِ، الثَّورَة الليبيَّةُ 1911 - 1931 وأبعادُها السِّيَاسِيَّة والاجتماعيَّةُ والعَسكَرِيَّة.

6. التجنيد الاستخباري؛ دوافعه، مراحله، مخاطره.

7. الدفاع في الحرب الثَّوْرِيَّة؛ مدخل إلى مبادئ الدفاع وأنواعه وعوامل قوته وإجراءات السيطرة فيه خلال الحرب الثَّوْرِيَّة.

8. الصلحُ في الشريعةِ وتطبيقاتُهُ في الثَّورَةِ السوريةِ، إدلب نموذجاً.

9. العقيدة العسكرية، الخصائص والتكوين.

أَهَمُّ الترجماتِ:

1. نشوبُ الثَّورَة المُسَلَّحَة، دروسٌ من الفيت كونغ وصولاً إلى الدولةِ الإسلاميَّةِ، تأليف سيث جونز.
2. تكتيكاتُ طالبان جنوبَ أفغانستان بين 2005 و2008، تأليف كارتر مالكاسيان وجيري ميرلي.
3. الجانبِ الآخرِ من الجبلِ، تكتيكاتُ المجاهدين في الحرب الأفغانيَّةِ السوفييتيَّةِ، تأليفُ أحمد جلالي ولستر غراو.
4. مكافحةُ الانقلابِ، لجين شارب وبروس جينكيز.
5. من الدولةِ العميقةِ إلى تَنْظِيْم الدولةِ الإسلاميَّةِ، الثَّورَة العربيَّةُ المضادةُ وموروثها الجهادي، لجان بيير فيليو.
6. ردع الأعداء داخل البلاد وخارجها، كَيْفَ تصبح ضابط استخبارات، ويليام جونسون.
7. الملا عمر وطالبان أفغانستان، مذكرات الملا مطمئن الناطق الرَّسْمِيّ للملا عمر، ترجمة أحمد مولانا وأنس خضر.

يُشَرِّفُنَا اطِّلاعُكَ على أرشيفِ المركزِ أو التواصلِ معَنَا على المواقعِ الرَّسْمِيَّةِ التاليَّةِ:

- **الويب:** (/https://alkhattabirw.com)
- **الفايسبوك:** (http://fb.me/alkhattabirw1)
- **التويتر:** (https://twitter.com/alkhattabirw)
- **التلغرام:** (https://t.me/alkhattabirw)

مركز **الخطابي** للدراسات

Khattabi Centre for Studies

الباحث أحمد مولانا:

اكتسب جاليولا خبرته من الحرب العالمية الثانية، وعملِه في الملحقية العسكرية الفرنسية بالصين خلال الحرب الأهلية، ومشاركتِه في مواجهة الثورة الجزائرية، ودراستِه لحرب فرنسا في فيتنام، كما عمل باحثاً في مركز الشؤون الدولية بجامعة هارفارد ليجمع بين الخبرة العملية والنظرية، وهو ما برز في كتابه الموجز الذي يُقدم لقراء اللغة العربية للمرة الأولى.

يمثل كتابه هذا الأساسَ النظري الذي بنى عليه الجيش الأمريكي عقيدته لمكافحة التمرد المنشورة في عام2006.

alkhattabirw